إفحام اليهود

وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم

للإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي (٥٧٠ هـ)

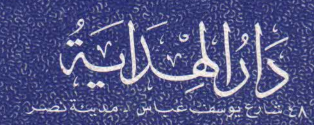
"الحبر شموائيل بن يهوذا بن آبون"

تقديم، تحقيق، تعليق

الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي

قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة



دارُ الهِدايَة
٤٨ شارع يوسف عباس - مدينة نصر

إفحـــام اليهـــود

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

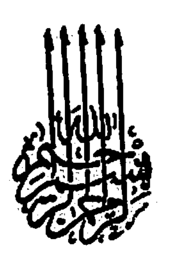
إفحام اليهود

وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم

للإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي (٥٧٠ هـ)
"الحبر شموائيل بن يهوذا بن آبون"

تقديم، تحقيق، تعليق
الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي
قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

دار الهداية
٤٨ شارع يوسف عباس - مدينة نصر



إفْحَام اليَهـود

وقصة إسلام السّموأل ورؤياة النبيّ ﷺ

قال تعالى :

﴿ قُلْ يا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كِلمةٍ سَواءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً من دُوْنِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(سورة آل عمران : آية : ٦٤)

تصـــدير

بقلم الدكتور أحمد العسّـال

الحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات ، وبفضله ومنته يجرى الخير على يد من أحب من عباده ، والصلاة والسلام على نبىّ الهدى محمد بن عبدالله ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، وعلى كل من دعا بدعوته ، وأدّى حقَ رسالته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

وبعـــد .

فإنّ العمل العِلمى يعظُم نفعهُ ، ويبقى أثره بقدر مايحمل للنّاس من خير ، ويعطيهم من زاد ينفعهم فى حياتهم الدنيا والأخرى ، ولقد أحسن الأخ الزميل الأستاذ الدكتور محمد الشرقاوى حين اختار الكتاب النفيس الموسوم بـ (إفحام اليهود) للإمام المهتدى السموأل بن يحيى المغربى ، وبذل فيه جهد التحقيق والتعليق حتى وطّأه ويسّره للباحث والقارىء ، فقدّم بذلك خيراً كثيراً نسأل الله أن يجزيه على جهده خير الجزاء ؛ **ذلك أن الكتاب ليس مجرد كتاب عابر يعالج موضوعاً مما اعتاد الناس أن يعالجوه** . كلّا : إنه يعالج موضوعا هاما وهو إظهار تحريف اليهود لكتبهم وبيان كذبهم ، ويزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه ليس إنسانا عادياً جاء من عامة اليهود ، ولكنه من خاصتهم فهو ابن حبر يهودى فقد كان والد السموأل حبراً كبيراً وإماماً ضليعاً فى اليهودية ، وكذلك كانت أمه ، ومما يزيد فى أهمية السموأل أنه جاء لوالديه على شغف ورغبة كما سترى فى ترجمته الذاتية فى هذا الكتاب ؛ فلا عجب أن نرى ذلك الحدَب والرعاية (للسموأل) مما هيّأ له فرصة عظيمة للتضلع فى فنون المعرفة والثقافة الموجودة فى عصره ، مما جعله قادراً بعد

ذلك على الحكم عليها ووزنها بميزان البداهة والفطرة حتى قاده ذلك لأن يهتدى بنور الإسلام والحمد لله .

إن المتعة فى هذا الكتاب تأتى من أكثر من جانب :

أولاها : أنها تطلعنا على نشأة السموأل وكيف أنه تمكن من اللسان العبرى ، ودرس التوراة وفقهها وعلومها ، وكيف أنه أجاد الهندسة والرياضيات والهيئة وشيئا من علوم اليونان وكيف أنه أجاد الطب وحذقه ، وكيف أنه رحل إلى العلماء والمشايخ ، وكيف درس الأساطير وقرأ « تجارب الأمم » لابن مسكويه ، وتاريخ الطبرى ... والسيرة النبوية الشريفة وقد أعانه على ذلك ذهنٌ متوقد ، وشغف شديد كان يلهيه عن الطعام والشراب كما عبر عن نفسه .

ثانيها : أن الكتاب يرينا استقلال ملكته العقلية ، وتحرر نظره من أسر التقليد ومجاراة الأسلاف ، مما أعطاه بصيرةً نفاذة قادرة على الموازنة والترجيح ، وعلى إحقاق الحق وإبطال الباطل ؛ فقد هضم العلوم التى درسها وتمثلها تمثلاً صحيحا . يقول عن نفسه : (فخلوتُ بنفسى فى بيتٍ مدة ، وحللت جميع تلك الكتب وشرحتها ، ورددت على من أخطأ من واضعيها ، وأظهرت أغلاط مصنفيها ، وعزمت على ماعجزوا عن تصحيحه وتحقيقه وأزريت على (إقليدس) فى ترتيب أشكال كتابه بحيث أمكننى إذا غيَّرت نظام أشكاله أن استغنى عن عدةٍ منها لايبقى إليها حاجة بعد أن كان كتاب إقليدس معجزاً لسائر المهندسين) .

ويقول عن نفسه فى صناعة الطب : (اتضح لى – بعد مطالعة ما طالعته من الكتب التى بالعراق والشام وأزربيجان وكوهستان – الطريق إلى استخراج علوم كثيرة ، واختراع أدوية لم أعرف أنى سبقت إليها ، مثل الدرياق الذى وسمته بالمخلص ذى القوة النافذة ، وهو يبرىء من عدة أمراض عسيرة فى بعض يوم وغيره من الأدوية التى ركبتها مما فيه منافع وشفاء للناس بإذن الله تعالى) .

فإذا جئنا إلى موقفه من المعجزة القرآنية والسيرة النبوية المعصومة ... ومن

قضية العقيدة نجده يَنْفَحُنا بكلام برهانه الخبرة الكاملة والرأى الراجح مما يزيد الحق وضوحاً ونوراً . استمع إليه وهو يحكى عن نفسه فيقول : ..

(ومع ذلك ؛ فإنى لكثرة شغفى بأخبار الوزراء والكتاب – قد اكتسبت بكثرة مطالعتى لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم ، قوة فى البلاغة ، ومعرفة بالفصاحة ، وكان لى من ذلك ماحمده الفصحاء ، وتعجب به البلغاء ... فشاهدت المعجزة ، التى لاتباريها الفصاحة الآدمية فى **القرآن** فعلمت صحة إعجازه ، ثم إنى **لمّا هذّبتُ خاطرى بالعلوم الرياضية – ولاسيما الهندسة وبراهينها** – راجعت نفسى فى اختلاف الأديان والمذاهب ، وكان أكبر المحركات لى فى البحث عن ذلك مطالعتى كتاب : (برزويه الطبيب) من كتاب : (كليلة ودمنة) وماوجدت فيه ، فعلمت أن العقل حاكم يجب تحكيمه على كليات أمور عالمنا هذا ؛ إذ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل ، وتصديق المشايخ والسلف لما صدقناهم فى سائر ما تلقيناه عنهم ، وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف وأصل اتباع الأنبياء مما أدى إليه العقل ؛ فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب ، وإذا نحن حكّمنا العقل على مانقلناه عن الآباء والأجداد ، علمنا أن النقل عن السلف **ليس يوجب العقل قبوله من غير امتحان لصحته** ، وليس لمجرد كونه مأخوذا عن السلف **لكن من أجل أنه يكون أمراً ذا حقيقة فى ذاته والحجة موجودة بصحته .**

فأمّا الأُبوةُ والسّلفيةُ وحدهما فليستا بحجة ، إذ لو كانتا حجة ، لكانتا أيضا حجةً لسائر الخصوم الكفار كالنصارى ؛ فإنهم نقلوا عن أسلافهم أن عيسى ابن الله وأنه الرازق المانع الضار !! فإن كان تقليد الآباء والأسلاف يدل على صحة ما نقل عنهم فإن ذلك الإقرار بصحة مقالة النصارى ومقالة المجوس ...

ويمضى فى مناقشة اليهود على هذا النحو إلى أن يقول : « فلما علمت أنّ اليهود ، لهم أسوة بغيرهم فيما نقلوه عن الآباء والأسلاف ، علمت أنه ليس بأيديهم حجة صحيحة بنبوة موسى (عليه السلام) إلا شهادة التواتر ، وهذا

التواتر موجود لعيسى ومحمد كوجوده لموسى عليهم السلام أجمعين . **فإن كان التواتر يفيد تصديقاً فالثلاثة صادقون ونبوتهم معاً صحيحة ثم يشرح ذلك فيقول :**

« وعلمت أيضاً – أنى لم أر موسى بعينى ، ولم أشاهد معجزاته ولا معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام ، ولولا النقل وتقليد الناقلين ، لما عرفنا شيئا من ذلك فعلمت أنه لا يجوز للعاقل أن يصدق بواحد ويكذب بواحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام لأنه لم ير أحدهم ؛ ولا شاهد أحواله إلا بالنقل ، وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم . فليس من العقل ولامن الحكمة أن يُصدق أحدهم ويُكذب الباقون ، بل الواجب عقلا : إما تصديق الكل ، وإما تكذيب الكل .

فأمّا تكذيب الكل فإنّ العقل لايوجبه أيضا لأنا إنما نجدهم قد أتوا بمكارم الأخلاق وَنَدَبُوا إلى الفضائل ونهوا عن الرذائل ، ولأنا نجدهم ساسُوا العالم بسياسة بها صلاح أهله » .

ثم يختم كلامه بهذا المقطع الرائع والنتيجة الحاسمة :

« فصحَ عندى بالدليل القاطع نبوةُ المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم وآمنت بهما» .

ثالثة الفوائد : ازدياد اليقين بهذا الدين بقراءة هذه التجربة العلمية والإيمانية التى يقدمها لنا هذا الكتاب ، ولقد سجل القرآن الكريم فى سورة الأحقاف مثل هذا الدور حين شهد عبدالله بن سلام رضى الله عنه للرسول الكريم وآمن به ، فقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم إنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيل عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحقاف / ١٠ .

رابعتها : أن الكتاب يناقش القضايا التى أثارها اليهود وحرّفوا فيها التوراة مثل قضية النسخ ، وتكذيبهم بنبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام ، وذكر المواضع التى أشير فيها فى التوراة إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السّلام أجمعين ثم يورد بعد ذلك أمثلة عديدة لتبديل التوراة ويبيّن بعض فضائحهم ، ثم يعدد فرقهم ، ويكون مسك الختام رسالة من يهودى للإمام السموأل أجابه عليها . وذكر أنّ استخدامه للعقل فى منهجه العلمى أثمر وصولاً إلى الدين الحق .

هذه لمحات سريعة قدمتها - بين يدى الكتاب للدلالة على قدْره ونفاسته ، ولاشك أنّ الكتاب بهذه الفوائد الجليلة وغيرها ، يأتى فى فترةٍ حاسمةٍ تواجه فيه أمتُنا صلَفَ اليهود وظُلْمَهم ، وتعنُّتَهم وفسادَهم وإفسادهم ... فما أحرانا ، بل ما أشدّ حاجتنا لمزيد من جرعات الحق تزيدنا رسوخاً وثباتاً ، ولخبرة العلماء تعرُّفنا تصريفَ القول ، وتعطينا نوراً نفهم به غيرنا وندعوهم إلى كلمة سواء .

والله أسأل أن يرحم مؤلف الكتاب ، ويغفر له ، ويتقبله فى الصالحين ، ويثيب الأخَ المحقق الثواب الحسن الجميل وينفع بجهده طلابَ العلم والدعاة إلى الإسلام ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. أحمد محمد العسال

أستاذ ورئيس قسم الدعوة بكلية

الدعوة والإعــلام

الرياض

الرياض فى يوم الخميس ١٣ من جمادى الثانية ١٤٠٤ هـ

١٥ مــن مــــــارس ١٩٨٣ م

مقدمـــة المحقـــق

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله ،

وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه ..... **وبعــد :**

فهذان كتابان نفيسان ، وضعهما : « الحبر شموائيل بن يهوذا بن آبون » ، بعد أن هداه الله تعالى ، وشرح صدره للإسلام ، وتسمى بـ (السموأل بن يحيى المغربى) .

وهو رياضى . طبيب . عالم باليهودية والإسلام . أجمع المترجمون على أنه من أعيان علماء القرن السادس الهجرى فى الطب والرياضيات .

– أمّا الكتاب الأول ، فهو : إسلام السّموأل وقصة رؤياه المصطفى ﷺ ، وهو سيرة ذاتية .. دقيقة وأمينة للرجل ، سطرها بقلمه .

– والكتاب الثانى ، هو : « إفْحَام اليهود » ، وضعه السّموأل – مستشعراً مسئوليته العلمية والدينية – لبيان وكشْف ما عليه اليهود من تبديل وتحريف وتزييف .. ودهاء وتناقض .. وحقدٍ وجبنٍ وتعصبٍ .. وأن ذلك ديدنهم ووجهتهم وسبيلهم قبل الأسْرِ البابلى وبعده .

– ركّز فيه على عدة نقاط بالغة الأهمية .. كما أنه عالجها بمنهج متفرد متميز لم يسبق إليه ، واستفاد منه من جاء بعده .

وكان مما ركز عليه : تفنيد دعواهم : أنّ النّسخ بداءٌ ، وأنّ البداء محال على الله تعالى ، وأنه سبحانه – فى زعمهم – لايقدر أن ينسخ شيئاً مما شرعه لعباده ،

فحاجّهم فى ذلك بنصوص من كتابهم وألزمهم القول به . كما ألزمهم – بالنصوص أيضاً – نُبُوّة عيسى ومحمد عليهما السلام .

كما كشف جانباً من كفرهم وتبديلهم ، وأعرب عن بعض فضائحهم ومعتقدات فرقهم ، وتعرض لمعتقدهم فى عيسى ومحمد عليهما السلام ، فأبان مكنونات نفوسهم ، وأظهر أسرار كتبهم .

وأبان السبب فى التبديل ، وقصة تزييف التوراة ، ودَوْرَ « عِزْرا والفريسيين » فى ذلك .

ذكر كل هذا بعقل الرياضى الذى يعوّل على الحجة القاطعة ، والبرهان الدامغ ، وبفهم المتبحر فى الكتب اليهودية وتفسيراتها وفقهها وتقاليدها فهو حبرٌ وابن حبرٍ ، ومطلع على ماهو محجوب عن عامتهم ، بل وبعض خواصهم .

ولقد أبعد العاطفة والتقليد ، وكان باحثاً موضوعياً نزيهاً ناقداً ، يعتدُّ بالعقل ، ويعول عليه كثيراً ، وينفر من التقليد ، ويمقته أكبر المقت !! .

وعلى أهمية كتابه هذا فى مقارنة الأديان عموما ، وفى الجدل الدينى خصوصاً ، فإنّ أكثر الباحثين ، بل المتخصصين المعاصرين فى هذا الحقل العلمى الخصيب لايكادون يعرفون الكتاب أو الكاتب .

وكنت قد تعرفت عليه ، أثناء انشغالى بتحقيق كتاب الإمام أبى حامد الغزالى المتوفى سنة (٥٠٥ هـ – ١١١١ م) المسمى : « الرّد الجميل لإلٓهية عيسى بصريح الإنجيل » ، فعزمتُ – مستعينا بالله تعالى على تحقيقه والتعليق عليه ونشره ، أداءً لأمانة العلم ، وقياماً بحق الدعوة إلى الله فإنّ :

كلَّ مَنْ لم يناظر أهل الإلحاد والبدع (واليهود أئمة ورُوَّاد هـذا السبيل) مناظرة تقطع دابرهم ، لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفى بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور ، وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه

العلم واليقين » . (ابن تيمية فى درء تعارض العقل والنقل) ولعل نشر هذا الكتاب يؤدى بعض ذلك !! (ج ١ . ص ٣٥٧) .

هـذا ،

ويسرنى أن أشكر كل من أعاننى على تحقيق وطبع ونشر هذا الكتاب ، وأخص الأستاذ الدكتور أحمد العسال ، أستاذ ورئيس قسم الدعوة الإسلامية بكلية الدعوة والإعلام بالرياض على احتفائه بهذا الكتاب ، وتشجيعه لى ، وتقديمه الكريم له ، وأسأل الله الصدق والإخلاص قولاً وعملاً ، والحمد لله رب العالمين ، وأصلى وأسلم على محمد وآله وصحبه .

د . محمد عبد الله الشرقاوى

الرياض فى يوم الجمعة ٧ من صفر الخير ١٤٠٤ هـ - ١١ نوفمبر ١٩٨٣ م

القسم الأول

دراسات
بين يدى الكتاب

١ – المؤلِّف فى كتب التراجم

اسمه العبرانى : « شموائيل بن يهوذا بن آبون » ، وبعد أن شرح الله صدره للإسلام ، تخلى عن هذا الاسم ، وتمسك باسمه العربى : « السّمَوْأل بن يحيى المغربى » .

ويعد السّموأل من علمائنا القلائل الذين كتبوا سيرتهم الذاتية ، وكان من النادرين الذين كتبوها بدقة وشمول ... فأمّا عن شمولها ، فسنذكر لمحات منها فيما بعد ، ... وعن دقتها ، فإنّا قد امتحنا ماجاء فيها ، بما كتبه عنه المترجمون وكتّاب الأعلام ، والطبقات ، فلم نجد ما يستوقفنا من مخالفةٍ أو اختلاف .

ويحسن بنا أن نسوق بعض ماجاء فى كتاب الصاحب جمال الدين القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ عن « تاريخ الحكماء » ؛ قال عنه :

« السموأل بن يهوذا المغربى ، الحكيم اليهودى ، أظنه من الأندلس[١] ، قدم هو وأبوه إلى المشرق ، وكان أبوه يشدو شيئاً من علم الحكمة ، وكان ولده السّموأل هذا قد قرأ فنون الحكمة ، وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها ، وكان عددياً – أى مشتغلاً بالحساب – هندسياً ، هيئياً ، وله فى ذلك مصنفات ، منها :

– كتاب المثلث القائم الزاوية ، وقد أحسن فى تمثيله وتشكيله ، وعدة صوره ، ومبلغ مساحة كل صورة منها ، صنفه لرجلٍ من أهل حلب ... .

---

(١) هذا مجرد ظن ولقد كان السموأل معاصراً لأبى عمران موسى بن ميمون اليهودى المتوفى (٦٠١ هـ) ، وأسرة ابن ميمون هاجرت من الأندلس إلى أفريقية أثناء حكم الموحدين ، وعاش فترة فى فاس ثم رحل عنها إلى مصر [انظر : ديلاسى أولبيرى : الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ، ترجمة د. تمام حسان ص ٢٢١) ولا أعتقد أن السموأل كذلك لأنه لم يشر إلى ذلك . ولم يذكره المترجمون له اللهم إلاّ القفطى .

- وصنف منبراً فى مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها ، وصنف كتباً فى الطب .

وارتحل إلى آزربيجان ، وخدم بيت البهلوان ، وأمراء دولتهم ، وأقام بمدينة (مراغة) ، وأوْلَدَ أولاداً هناك ، سلكوا طريقته فى الطب .

وأسلم فحسُن إسلامه ، .... وصنَّف كتاباً فى إظهار معايب اليهود ، وكذب دعاويهم فى التوراة ، ومواضع الدليل على تبديلها ، وأحكم ماجمعه فى ذلك . ومات بالمراغة قريباً من سبعين وخمسمائة »[١] .

أما صاحب كتاب : « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » ابن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ، فيقول :

هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربى ، كان فاضلاً فى العلوم الرياضية ، عالما بصناعة الطب ، وأصله من بلاد المغرب ، وسكن مدة فى بغداد ، ثم انتقل إلى بلاد العجم ولم يزل بها إلى آخر عمره .

« وكان أبوه - أيضا - يشدو شيئاً من علوم الحكمة ... وللسموأل بن يحيى بن عباس المغربى من الكتب :

- رسالة إلى أبى خدود : جبر ومقابلة .

- كتاب : إعجاز المهندسين ... صنفه لنجم الدين أبى الفتح شاه غازى ملك شاه بن ظغرلبك ، وفرغ من تصنيفه فى **٥٧٠ هـ** .

- كتاب : الرد على اليهود .

- كتاب القوافى فى الحساب الهندى ، ألفه سنة ٥٦٨ هـ[٢] » .

(١) انظر : القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٠٩ طبعة ليبرت ١٩٠٣ م ، ص ١٤٢ ط دار الآثار لبنان .

(٢) انظر : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، الطبعة الأولى بيروت بتحقيق نزار رضا ١٩٦٥ م وانظر ص ٣١ جـ ٢ من نشرة ميلّر ١٨٨٤ م .

ويذكر عنه موفق الدين عبداللطيف البغدادى ، وهو معاصر له ، تقريباً ، توفى سنة ٦٢٩ هـ ، يقول - فيما نقله لنا عنه ، ابن أبى أصيبعة :

« هذا السموأل ، شاب بغدادى ، كان يهودياً فأسلم ، ومات شاباً بالمراغة ، وبلغ فى العدديات مبلغا ، لم يصله أحد فى زمانه ، وكان حاد الذهن جداً ، ... بلغ فى الصناعة الجبرية الغاية القصوى ، وأقام بديار بكر ، وآذربيجان ، وله رسائل فى الجبر والمقابلة ، يرد بها على ابن الخشاب النحوى ، وذلك أن ابن الخشاب كان معاصره ... ، وله مشاركة فى الحساب ، ونظر فى الجبر والمقابلة » ا.هـ .

وأشار الإمام ابن القيم ، رحمه الله (ت ٧٥١ هـ) ، إشارة ضمنية إليه ، فقال : « قال بعض أكابرهم بعد إسلامه » ، ثم نقل عنه صفحاتٍ وفصولا كثيرة[١]

ولو ذهبنا نتتبع ماذكره عنه العلماء ، من الإشادة والثناء الجميل ، كالصفدى ، صاحب : الوافى بالوفيات ، وابن العبرى ، صاحب : مختصر تاريخ الدول ، والزركلى ، صاحب الأعلام ، وغيرهم ، لطال الحديث ، وخرج عن حده المرسوم له ... لكننا نكتفى بما سقناه[٢] ، ففيه الغُنية إن شاء الله .

٢ - ثقافتــه ونبوغـه

ولد السموأل فى بيت علم ، فكان أبوه حَبْراً يهودياً ، ومن ثم نشأ ابنه وحيده تنشئةً علمية ممتازة ، فتمكن من اللسان العِبْرى ، ودرس التوراة وفقهها وعلومها .

---

(١) (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى) ص ١٠٨ . طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٢) وقارن ما كتبه عادل أنبوبا فى مجلة « المشرق » ١٩٦١ م ص ٦١ وما بعدها .

ثم درس الهندسة والرياضيات والهيئة وشيئاً من علوم اليونان والطب على كبار المهندسين والأطباء المرموقين ، والمشهود لهم من المفكرين أمثال : الدسكرى ، وهبة الله بن ملكا البغدادى والشهرزورى ، وغيرهم .

وقام برحلات وأجرى مقابلات ولقاءات مع العلماء والشيوخ .

وكان قد التفت قبل ذلك إلى دراسة الأساطير ، فالتاريخ ، والسيرة النبوية الطاهرة ، ومما أعانه على النبوغ فى كل فن من هذه الفنون ، ذهنٌ متوقد ، وتفرغ ، وحرص ، وحب عظيم للعلم وتشاغل به .

ومما يؤكد ذلك – فضلا عن الكلام الذى سقناه لابن القفطى وابن أبى أصيبعة ولمعاصره وزميله فى الطلب موفق الدين البغدادى – قوله :

« وكان بى من الشغف بهذه العلوم والعشق لها ما يلهينى عن المطعم والمشرب ، إذا فكرت فى بعضها ، ... فخلوتُ بنفسى ، فى بيتٍ مدةً ، وحللت جميع تلك المسائل وشرحتها ، ورددت على من أخطأ من واضعيها ، وأظهرت أغلاط مصنفيها ... وأزريت على أقليدس فى ترتيب أشكال كتابه ، بحيث أمكننى إذا غيرت نظام أشكاله ، أن استغنى عن عِدَّةٍ منها ، لا يبقى إليها حاجة ، بعد أن كان كتاب (إقليدس) مُعْجزاً لسائر المهندسين ، إذ لم يحدِّثوا أنفسهم بتغيير نظام أشكاله ، ولا بالاستغناء عن بعضها ... **حصل على كل هذه العلوم ، وهو فى السنة الثامنة عشرة من عمره .**

ثم صنف ، واتصلت تصانيفه منذ تلك السنة إلى أن وافاه الأجل ، « وفتح الله علىّ كثيراً مما ارتج على من سبقنى من الحكماء المبِّرزين » .

وكان له حظ وافر فى صناعة الطب والصيدلة .

ومما قرأه من كتب التاريخ : « تاريخ الطبرى » وتاريخ أبى على مسكوية المسمى « تجارب الأمم » .

ومن قراءة التاريخ تعرف على سيرة الرسول ﷺ ، وجهاده ، وصبره ، واحتماله ، وعمله وحلمه ، وسمّو خلقه ، وهجرته ، وعرف سيرة صحابته ، والغزوات والانتصارات المعجزة ، لقلة العَدد والعُدد ، من هنا انتبه نخسهُ وقلْبه وعقله ووجدانه إلى الرسول ﷺ ، ودرس رسالته .

ثم كان له نصيبٌ وافر من الفصاحة والبلاغة والتذوق الأدبى الرفيع ومن ثم التفت إلى معجزة القرآن الذى لا يباريه كتاب فى هذا الباب ، فعلم وتيقن من حصة إعجازه ، ولقد انعكست ثقافته المتنوعة الواسعة فى رصانته العملية ، وإحكام براهينه ، وقوة جدله ، وصحة لغته وجزالة أسلوبه ، وفخامة لفظه ، يبرز هذا لو قارنّا كتابه : (إفحام اليهود) بما كتبه المهتدى سعيد بن حسن الإسكندرانى – الذى انتقل إلى الإسلام من اليهودية سنة ٦٩٧ هـ فى كتابه المسمى : « مسالك النظر فى نبوة سيِّد البشر »[١] .

٣ – كراهيته للتقليد والجمود

كان قد تجمع له فيض ذاخر من المعرفة بالإسلام ، وكان عقله وقلبه قد اطمأنا إلى صحة معجزة القرآن الكريم ، ولأنه قد تربى حسُّه على المنطق وتهذّب خاطره على العلوم الرياضية والهندسية ، وما تقتضيه من ضروب البرهنة ، والتحقق من صحة الفروض تحققاً عقلياً ، كان للعقل عنده دور عظيم جداً ... ولم يكن للتقليد والجمود إلّا حظ النفور والكراهية والمقت .

فراجع نفسه فى اختلاف الناس فى الأديان والمذاهب ... وفكر وتدبّر وكان قد رسخ يقينهُ قبل ذلك بأن العقل حاكم ، يجب تحكيمه على كليّات أمور عالمنا هذا ، إذْ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل وتصديق المشايخ

(١) انظر نشرة المستشرق (S.A. Weston) لهذا الكتاب فى (JOAS) (Vol. xxiv,1953, P.P 312-383) وهى نشرة مليئة بالأخطاء والتصحيفات .

والسّلف . لما صدّقناهم فى سـائر ما تلقيناه عنهم يقول فى ذلك مانصه : « ... وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف ، وأصل اتباع الأنبياء ، مما أدّى إليه العقل ، فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب .

وإذا نحن حكمنا العقل على مانقلناه عن الآباء والأجداد ، علمنا أن النقل عن السلف ، ليس يوجبُ العقلُ قبوله من غير امتحان لصحته ، بل بمجرد كونه مأخوذاً عن السلف ، لكن من أجل أنّه يكون أمراً ذا حقيقة فى ذاته ، وحجة موجودة بصحته .

فأمّا الأبوّةُ والسلفية وحدهما ، فليستا حجةً ، إذ لو كانتا حجة ، لكانتا - أيضا - حجةً لسائر الخصوم الكفار : كالنصارى ، فإنهم نقلوا عن أسلافهم أنّ عيسى ابن الله ، وأنه الرازق المانع الضار النافع[1] .

فإنه كان تقليد الآباء والأسلاف ، يدل على صحة مانُقل عنهم ، فإن ذلك يلزم الإقرار بصحة مقالة النصارى ، ومقالة المجوس[2] .

ويوظف الإمام السموأل هذا الأصل العلمى المنهجى الثابت فى مناقشـة دعاوى اليهود ، وتفنيد مزاعمهم ونقص تأسيسهم ويستخدمه بمهارة واقتدار يعكسان ثقافته الرياضية الهندسية والمنطقية .

(١) انظر : « شريعة إيمانهم » فى المصادر التالية :
- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، للبطريرك سعيد بن البطريق .
- النصيحة الإيمانية لفضيحة الملة النصرانية ، للمهتدى نصر بن يحيى المتطبب .
- تثبت دلائل النبوّة . للقاضى عبدالجبار . والبداية والنهاية ، والفصل لابن حزم .

(٢) إسلام السموأل : المخطوط .

٤ - دوره فى مجادلـة اليهـود

لئن كان دور السموأل بارزاً فى فضح يهود التلمود ، لدى المسلمين وقراء العربية ، كما سنذكر فيما بعد إن شاء الله تعالى ، فإنه ولاشك حلقة مهمة فى سلسلة أحبار وحاخامات اليهود الذين خرجوا على اليهودية .

ولعل من المفيد أن نذكر القارىء الكريم ، ببعض من سبق أو لحق السموأل فى هذا الباب ، وهو الخروج علىّ اليهودية سواء إلى النصرانية أو الإسلام ، وكتب أو جادل وناظر فى فضح اليهود وإفحامهم .

- من أهمهم : (نيكولاس دونين Nicolas Donin) ، (وبابلو كرستيانى Pablo Cristiani) .

وقد عقدت مناظرة كبرى بين بابلو كرستيانى ، والحاخام « موسى بن نحمان » فى برشلونة سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٣ م وكرستيانى هذا يهـودى روعته تعاليم اليهود الوحشية ، فانتقل إلى النصرانية ... ، وأسهم بدور كبير فى كشف حقائق اليهود ، وعدائهم للنصرانية (وبقية الأمم) ، واشترك فى مناظرة برشلونة الشهيرة ، واستطاع أن يقنع البابا كلمنت بأخطاء التعاليم التلمودية ، فأصدر - الأخير - مرسوما بتحريم قراءة التلمود وحيازته ، ومصادرة نسخه ، وأعاد تنفيذ قانون لويس الحادى عشر ، الصادر فى ٥٣١ هـ - ١١٣٦ م بإلزام اليهود

بوضع شارة على أكتافهم لتميزهم[1] .

وتخبرنا (دائرة المعارف اليهودية) عن طرف من هذه المناظرة ، وتضيف بأن إحدى هذه المناظرات ، قد أقيمت بأمر من البابا (بنديكت) Bendict ، واستمرت سنةً وتسعةَ أشهر فى طرسوسة[2] .

ومن الجديد ذكره – هنا – أن اليهود قد اضطروا إلى الاعتراف ، ببعض عقائدهم الدينية السرية فى بعض هذه المحاكات ... ومنها مثلا :

« أن يسوع الناصرى ، موجود فى لُجَّات الجحيم ، بين الزفت والنار ! (قاتلهم الله) وأن أمه مريم قد أتت به من العسكرى بندارا بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس النصرانية ، هى بمثابة قاذورات ، وأن الواعظين بها أشبه بالكلاب النابحة ، وأن قتل المسيحيى من الأمور المأمور بها ديناً ، وأن العهد مع المسيحى لايكون عهداً صحيحاً يلتزم به اليهودى ... وأن من الواجب أن يلعن ثلاث مرات ، رؤساء المذهب النصرانى ، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بنى إسرائيل »[3] .

– وفى القرن السادس عشر ، كشف « جوهان فيفركورن Johan Pheffrkorn » .

– وكان يهوديا ، ثم خرج عليها إلى النصرانية – عن حقائق خطيرة من معتقدات يهود[4] .

---

(١) ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه ، ص ٤٢ ط ٢ نشر دار النفائس .

(٢) السابق ص ٤٣ .

(٣) الكنز المرصود فى قواعد التلمود، ص ١١ ، ترجمة عن الفرنسيه د. يوسف حنا مسعد ، نشر المكتب الإسلامى ببيروت ، ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ . وفضح التلمود لبرانايتس ، دار النفائس .

(٤) التلمود ص ٤٦ .

- ولقد تحول كثير من اليهود إلى الإسلام ، لكن دور بعضهم كان بارزاً فى إظهار تناقض اليهود ، وتهافتهم وتحريفهم ... وضمت هذه القافلة المباركة كثيراً من الرجال ... وكان من بينهم :

- هبة الله على بن الحسين بن ملكا ، صاحب كتاب : « المعتبر فى الحكمة » والذى يلقبه الإمام ابن القيم بـ (فيلسوف الإسلام فى وقته)[١] .

- وجاء السموأل - فى القرن السادس الهجرى - وصنف كتابه « إفحام اليهود » ، وكان بالغ الأهمية فى هذا الباب ، ذا جهد متميز فاق من سبقوه ومن لحقوا به .

ثم جاء سعيد بن الحسن الإسكندرانى ، فى القرن السابع والثامن الهجرى ، ووضع كتابه : « مسالك النظر فى نبوة سيد البشر » سنة ٧٢٠ هـ ... بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وانتقل إليه من اليهودية[٢] .

- وفى سنة ١٢٥٦ هـ أشهر الحاخام موسى أبو العافية إسلامه ، وأعلن أمام المحكمة بعض فضائح التلمود ، وترجم منه مقاطع مطولة ، صادق على صحتها - مضطراً - يعقوب العينتابى ، الحاخام الأكبر للشام - آنئذ -[٣] .

٥ - صلته بابن ملكا البغدادى وموفق الدين عبداللطيف البغدادى

قد يُظن أنّ تلمذة السموأل على الفيلسوف (اليهودى الذى أسلم) هبة

---

(١) ابن القيم : إغاثة اللهفان جـ ٢ ص ٢٥٧ بتحقيق محمد حامد الفقى ، نشر دار المعرفة ، بيروت .

(٢) انظر بحث المستشرق Sidney Adams Weston فى Jornal of the American oriental Society, vol 24, Part 2, 1953.

(٣) الدكتور محمد أسد : الأصول العربية لتاريخ سوريا فى عهد محمد على ص ٢٠ جـ ٥ ط الكاثوليكية بيروت ١٩٣٣ م .

الله بن ملْكا ، صاحب : (المعتبر فى الحكمة) .... ، وقد يظن كذلك أنّ زمالته ومعاصرته لموفق الدين البغدادى – فى طلب العلم – وأن هذا الأخير قد كتب رسالة فى الرد على اليهود)[1] – جعلته يتأثر بهذا المناخ الجدلى الفكرى !! .

أقول : إنّ ذلك ليس ببعيد !! .

لكن ينبغى أنْ لاننسى أنّ السموأل نفسه قد أخبرنا أنه انتقل من اليهودية إلى الإسلام ، بعد أن نظر وفكر وتدبر ، وأيقن بالبرهان القاطع بطلان ماعليه اليهود ، بل إنّه يصرُّ على ذلك ، لدرجة أنه لم يذعْ منامينه اللذين رأى فيهما شموائيل النبى ، والمصطفى ﷺ ، إلّا بعد أربع سنوات من إعلان إسلامه ، حتى لايظن أنه قد ترك دينه لأضغاث أحلام وهواجس غامضة !! .

وإنه فى سيرته الذاتية التى كتبها بقلمه ، قد كفانا مؤونة الافتراض والتخمين والاستنتاج ، ولم تكن الرؤيا هى التى حملته على الانتقال إلى الإسلام ، فهى كانت رادعة له وزاجرة عن التمادى فى عدم إعلان أو إشهار ما آمن به ، وأيقن بصحته ... فهو قد آمن بالإسلام بعد نظر وتمعن ومقارنة بين الأديان وعقائدهم وحججها .

٦ – مولده ووفاته

ذكر لنا السموأل – فى سيرته الذاتية التى أسماها : « إسلام السموأل وقصة رؤياه المصطفى ﷺ » – كثيرا من التفاصيل الدقيقة عن حياته ، وأساتذته ، وثقافته ، ونشأته ، وأسرته ، ... وغير ذلك ، لكنه لم يتعرض قط لتاريخ ميلاده .

---

(١) انظر ترجمته فى (فوات الوفيات) جـ ٢ ص ٣٨٤ بتحقيق د . إحسان عباس ، ويبدو أن حجاب المعاصرة لم يدفع موفق الدين إلى الانتقاص من شأن السموأل ، فهو قد أشاد به وامتدحه كما ذكر آنفاً .

كما أن الذين ترجموا له لم يذكروا شيئاً عن تاريخ مولده .

وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ وفاته ، فإنهم لم يذكروه على وجه التحديد ، اللهم إلّا القفطى فإنه ذكر أنه توفى قريباً من سنة ٥٧٠ هـ .

ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه ألف كتابه « إعجاز المهندسين » سنة ٥٧٠ هـ .

بيد أن السموأل نفسه قد ذكر لنا تواريخ إنجاز بعض كتبه التى ألفها وكان آخرها هو سنة ٥٥٨ هـ .

كما أن ناسخ مخطوطة (إفحام اليهود) قد ذكر أنه نقلها عن نسخة بخط السموأل ، كتبها المؤلف سنة ٥٦٥ هـ .

والسموأل نفسه يذكر أنه لم يظهر قصة إسلامه ورؤياه المصطفى ﷺ ، إلّا بعد أربع سنوات من إشهاره إسلامه ، وتصنيفه كتابه فى إفحام اليهود ، أى أن ذلك كان فى ٥٦٢ هـ تقريباً .

ومهما يكن من أمر ، فإن بعض من ترجم له ، ذكر أنه توفى شاباً ، وهذا يعنى أنه توفى فى القرن السادس الهجرى يقيناً ، أى أنه - رحمه الله - من علماء هذا القرن ، وكان حياً فى سنة ٥٦٢ هـ قطعاً ، وقد عاش بعد ذلك ولعله قد عاش إلى سنة ٥٧٠ هـ كما ذكر القفطى ، وقد ألف فى غضون هذه السنة كتابه الموسوم بـ « إعجاز المهندسين » كما ذكر ابن أبى أصيبعة .

٧ - أهمية كتاب : إفحام اليهود

يُعد هذا المؤلف - على صغر حجمه النسبى - ذا أهمية علمية وتاريخية عظيمة نلمس ذلك إذا ما استصحبنا الاعتبارات التالية :

(أ) أنّ الكتاب فكر موضوعى واقعىٌ فى مخاطبة اليهود ، وهو ليس

امتداداً لما كتبه الأئمة السابقون عليه ؛ كابن حزم الأندلسي[1] والجويني[2] وغيرهما . والسموأل ، وإن كان يثنى على جهودهم ، ويدعو لهم بالثواب المضاعف فإنه يأخذ عليهم ، أن مناظرتهم لليهود ، لم تكن باللغة التي يفهمونها ، وأنها كانت تدور حول مسائل لايلتزمون بها ، ومن ثم فهي قليلة الجدوى .

يقول :

« والغرض من إنشاء هذه الكلمة (يقصد كتاب إفحام اليهود) الردُّ على أهل اللجاج والعناد ، وأن تظهر ما يعتور كلمتهم (ملتهم) من الفساد على أن الأئمة – ضوعف ثوابهم – قد انتدبوا – قبلى – لذلك ؛ إلّا أن أكثر ما نوظروا به (يعنى اليهود) يكادون لايفهمونه !! أو لايلتزمونه !! وقد جعل (الله) إلى إفحامهم طريقاً مما يتداولونه فى أيديهم من نص تنزيلهم ، وأعماهم الله عنه ، عند تبديلهم ليكون حجةً عليهم ، موجودة فى أيديهم » .

والكتاب – كما رأينا – نسيج وحده ، فهو لم يتأثر فيه بمن سبقه أو عاصره فى منهجه أو مضمونه .

– وهو – فوق ذلك – وثيقة هامة ؛ لأنه أطْلَع علماء المسلمين على أسرار يهودية ، يحرص أصحابها ، غاية الحرص – على تكتمها وعدم إذاعتها ، كما نشر الكتاب ، فى البيئة الثقافية الإسلامية تفصيلات دقيقة عن اليهود لم تكن معروفة من قبل ، ولم يكن هنالك من سبيل للاطلاع عليها من مصدر موثوق به ، لولا أنْ قيَّض الله السّموأل لذلك .

وآية ذلك ، أن علماء المسلمين قد تلقوا هذا الكتاب بالقبول واستفادوا منه فائدة عظيمة ، فى جدالهم اليهود .

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، الجزء الخاص بالرد على اليهود والنصارى ، نشرة دار الندوة الجديدة بيروت .

(٢) شفاء الغليل ، نشرة أحمد السقا ، القاهرة ١٩٨٠ م .

فلقد أفاد منه ، أو استحسنه ، أو نقل عنه أئمة كبار مثل (القرافى : أحمد بن إدريس الصنهاجى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) و (ابن القيم : محمد بن أبى بكر المتوفى سنة ٧٥١ هـ) ، وغيرهم رحمهم الله جميعاً .

ولقد بلغ من احتفاء عالم كابن القيم ، بالمعلومات الدقيقة التى أوردها السموأل ، أن اعتمد عليها وجعلها العمدة والأساس فى كتابه : (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى) ، فلقد ضمّن ابن القيم كتابه هذا فصولاً بأكملها من كتاب (إفحام اليهود) بحروفها وألفاظها .

كما أنه ضمن كتابه : « إغاثة اللفهان »[1] كتابات السموأل بنصها ، فى فصول مطولة ، واعتمد عليها اعتماداً كليا وليس ذلك فحسب لكنه عندما تحدث عن أحكام اليهود فى كتابه : « أحكام أهل الذمة »[2] أخذ عن كتاب السموأل نصاً وروحاً ، وبذلك كان السموأل مصدراً علمياً مهما لابن القيم ، ولم أر من الدارسين لابن القيم – على كثرتهم – من وضعه بين شيوخه الذين نهل من تراثهم ، وهى نقطة جديرة بالبحث ، خصوصاً وأن ابن القيم – رحمه الله – لم ينسب كلام السموأل إلى صاحبه صراحة !! بل سكت عن ذلك فى كل المواضع !! .

بقى أن أقول :

أن ابن تيمية – رحمه الله – قد استفاد – بشكل غير مباشر – فى كتابه : « الجواب الصحيح » من فكر السموأل ، ولقد سبقه فى ذلك الإمام القرافى فى كتابه : « الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة فى الرد على اليهود

---

(١) بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى ، جـ ٢ ص ٣٥٨ وما بعدها إلى فصول متعددة نشرة دار المعرفة ، بيروت .

(٢) بتحقيق د . صبحى الصالح ص ٢٦٧ – ٢٦٩ جـ ١ ، ط ١ بيروت .

والنصارى » فهو يسرد عنه بتصرف فى عبارته حيناً وبألفاظه أحياناً[1].

ويمكن القول بأن ابن القيم قد نشر كتاب (إفحام اليهود) فى كتبه ، نشراً يكاد يكون تاماً أكثر من مرة ، وهو بذلك قد أفاد المسلمين بلاريب ، وأما عدم الإشارة إلى السموأل أو غيره ، ربما كانت طريقة فى التأليف والتصنيف آنذاك !! .

وبذلك يمكن القطع بأن كتاب : « إفحام اليهود » قد أثر تأثيراً إيجابيا عميقاً فيمن كتب فى مجال مقارنة الأديان عموماً ، وفى جدل اليهود خصوصاً . ولقد عرض السموأل فيه لقضايا أساسية رئيسية مثل « النسخ » ونبوة محمد وموسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام ، وفرق اليهود ، وتحريفهم ، وتدوين التوراة ووضع شروحهم عليها ، كما عرض لقضايا فرعية أو جزئية ؛ لكنه قد وظّفها بمهارة عجيبة فى جدال خصمه من ناحية ، وفى تجلية قضاياه الرئيسة وكشفها من ناحية أخرى .

ولقد أظهر السموأل قدرة جدلية فائقة ، تميزت عن جدل المتكلمين التقليديين بإلزامها الخصم وقطعه ، وإقناع القارىء فى نفس الوقت بما أحب أن يقنعه به ؛ فهو جدال علمى رصين ، غير جافٍ أو مستكره .

ولسنا نرى إثقال كاهل هذه المقدمة بسوق نماذج من قضايا الكتاب ومعالجة السموأل لها ، لأن القارىء سيطالع ذلك بنفسه ، فلا حاجة للتكرار والإعادة

وقد نص السموأل على أنه أسمى كتابه : « إفحام اليهود » ، وذلك فى مخطوطة (إسلام السموأل) ، وهنالك بعض مخطوطات الكتاب تعنون له :

---

(١) انظر للقرافى : الأجوبة الفاخرة فى الرد عن الأسئلة الفاجرة ، مخطوط رقم ١٧٧٢ أحمد الثالث بتركيا ورقة رقم (٥٤ ب) وما بعدها ، والورقة رقم (٢٧ ب) وما بعدها من نسخة مخطوطة أخرى رقم 4832 R.506 مكتبة طوبقو سراى .

« بذل المجهود فى إفحام اليهود »[1] ، وتاريخ تأليف الكتاب سنة ٥٦٨ هـ طبقا لما ذكره المؤلف ولما ذكره ناسخ المخطوطة التى بين أيدينا ، إلّا أن المؤلف قد أعاد فيه النظر ، ونقحه وزاد عليه فصولاً فيما بعد ، كما قد أشار إلى ذلك بنفسه .

٨ - توثيق نسبة النص

لسائل أن يسأل : هل ألف السموأل كتاب « إفحام اليهود » ؟ وقبل الإجابة على ذلك نسوق مايلى :

- لقد أشار السموأل إليه فى كتابه : « قصة إسلام السموأل » ، وذكر أنه ألف كتاباً فى إفحام اليهود ، غداة أنْ أعلن إسلامه ، بمراغة فى آذربيجان سنة ٥٦٨ هـ .

- وكذلك فإنّ من ترجموا له ، ومنهم معاصرون له ، قد أجمعوا على أنه كتب كتاباً فى « الرد على اليهود » بعد أن أعلن إسلامه .

- كما أنّ ناسخى بعض مخطوطات الكتاب يذكرون أنهم نقلوها عن نسخة كتبها المؤلف بخط يده سنة ٥٦٨ هـ .

- وأشار ابن القيم - رحمه الله - مرة واحدة : بأن بعض كبرائهم قد ذكر بعد إسلامه - كذا وكذا - وفى هذا إشارة قوية إلى السموأل ، برغم أنه لم يذكر اسمه صراحة .

ولقد ذكره الكاتب اليهودى : « سعد بن منصور بن كمونه »[2] المتوفى

---

(١) مثلا النسخة المحفوظة فى الظاهرية بدمشق رقم ٥١١١ ، وهى ناقصة ، ولها مصورة فى قسم المخطوطات بجامعة الإمام بالرياض ، ميكروفيلم رقم (١١٩٠) .

(٢) انظر ترجمته فى : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، لابن الغوطى ، نشرة د. مصطفى جواد ، بغداد ١٩٣٢ ص ٤٤١ - ٤٤٢ ، وكذلك كتاب

سنة ٦٨٣ هـ ، فى كتابه المعروف بـ « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث »[١] وقد أفرد هذا المؤلف اليهودى عدة صفحات ، فى مواضع متفرقة لنقض كتاب السموأل والرد عليه ، يقول مثلا فى ص ٢٨ :

« فإن صاحب كتاب **إفحام اليهود** » قال فى كتابه المذكور ماحكايته ... إلخ .

ويذكر ابن كمونه فى موضع آخر :

« واستدل صاحب كتاب **الإفحام** » الذى كان يهودياً ، فعاند اليهود وأسلم .... إلخ .. ص ٩٥ من نشرة M.PERLMAN وينقل عنه عدة نصوص ، فى عدة مواضع انظر ص ٩٥ ، ٩٦ وغيرهما .

وقد ذكر حاجى خليفة فى **كشف الظنــون** « إفحام اليهود » ونسبه إلى السموأل ، وكذلك فعل إسماعيل البغدادى فى **هدية العارفين** .

– كما أنّ المجمع الأمريكى للبحوث اليهودية بنيويورك ، فى نشرته للكتاب التى أعدها المستشرق اليهودى : موشى برلمان ، لم يقدح فى نسبة الكتاب إلى مؤلفه ولا أظن أنهم ، لو وجدوا مطعناً فى ذلك كانوا يقصرون عن إذاعته وإشهاره !! .

كل ذلك يجعلنا نجيب على السؤال المطروح : بالإيجاب القطعى .

« تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب » لابن الغوطى الجزء الرابع ، القسم الأول ص ١٥٩ – ١٦١ نشرة مصطفى جواد ، دمشق ١٩٦٢ م .

(١) نشرة المستشرق اليهودى Mashe Perlman) سنة ١٩٦٧ م فى لندن وكاليفورنيا ، وقد صوّرت هذه الطبعة – دار الأنصار بالقاهرة ونشرتها .

٩ - خطـة تحقيـق النـص

لم ينشر هذا الكتاب نشرة محققة تحقيقاً علمياً من قبل ، وإن كان المستشرق اليهودى (موشى برلمان) قد عنى بنشره وترجمته إلى الانجليزية ، وطبع فى المجمع الأمريكى للبحوث اليهودية سنة ١٩٦٤ .

وهى نشرة غير محققة تحقيقاً علمياً ملتزماً بالأصول المنهجية المعتبرة فى تحقيق النصـوص وفى الحقيقة إن موشى برلمان لم يزعم لنفسه ذلك ، فهو قد كتب على الغلاف عبارة : عنى بنشره وترجمته فحسب .

وهذا حق ومع أنه قد قابل - لفظياً - بين عدة نسخ لمخطوطات الكتاب ، فهو لم يفقه النص العربى فقهاً جيداً ، ومن ثم جاءت نسخته ملأى بالأخطاء اللغوية ، كما أنها لم تسلم من التغيير والسقط والنقص !! .

ولم يبذل الناشر المترجم أى جهد علمى فى التعريف بالمؤلف ولا بالأعلام ولا بالأفكار الواردة فى الكتاب ولم يعزُ النصوص ، هذا فضلا عن أن نشرته تعد نادرة جداً ، فلا تكاد تعثر على نسخةٍ منها وإن حاولت ذلك !! .

وهو لم يهتم بمخطوطة : إسلام السموأل ورؤياه النبى ﷺ ، فوضعها فى ذيل الكتاب ، وكان الأجدى والأجدر أن يضعها فى مفتتح الكتاب لأنها (سيرته الذاتية) ، ومكان - هذه الأخيرة - صدر الكتاب وبين يديه .

وقد اعتمدنا فى تحقيقنا على مخطوطة طوب قابى سراى بتركيا ، وهى المرقمة برقم 4832 R506 ومنها مصورة فى جامعة الإمام محمد بن سعود برقم ٤٥٤ وهى نسخة كاملة ، منسوخة عن مخطوطة بخط المؤلف ، وقد نسخت فى ١٧ صفر سنة ١١١٥ هـ ، وهى تقع ضمن مجموع يحتوى على بعض الكتب الأخرى .

وخطها نسخى دقيق جداً ، ... وتبلغ مسطرتها تسعةً وعشرين سطراً ، .... اتخذنا هذه النسخة أصلاً ، ورمزنا لها : بـ (الأصل) .

وقابلناها مقابلة دقيقة بنسخة (موشى برلمان) ورمزنا إلى هذه الأخيرة بالرمز : (م) ، ثم قابلنا هاتين النسختين بنسخة المكتبة الظاهرية رقم (٥١١١) وهى نسخة مخرومة فى أولها وآخرها ، ورمزنا لها بالحرف : (ظ) .

ونظراً للأهمية العلمية للكتاب ، فإنّا علّقنا عليه فى الحواشى ، بشىء من التوسع والتفصيل ؛ حتى أن هذه الحواشى تمثل دراسة وجيزة لأهم أفكار الكتاب ؛ آثرنا تعليقها فى الهامش تتميماً للفائدة وتعميقاً .

وهنالك « سؤال وجوابه » ، لم يذكرا فى المخطوطتين اللتين معنا ، لكن « برلمان » أثبتهما ، ورأينا من الفائدة ذكرهما فى آخر الكتاب .

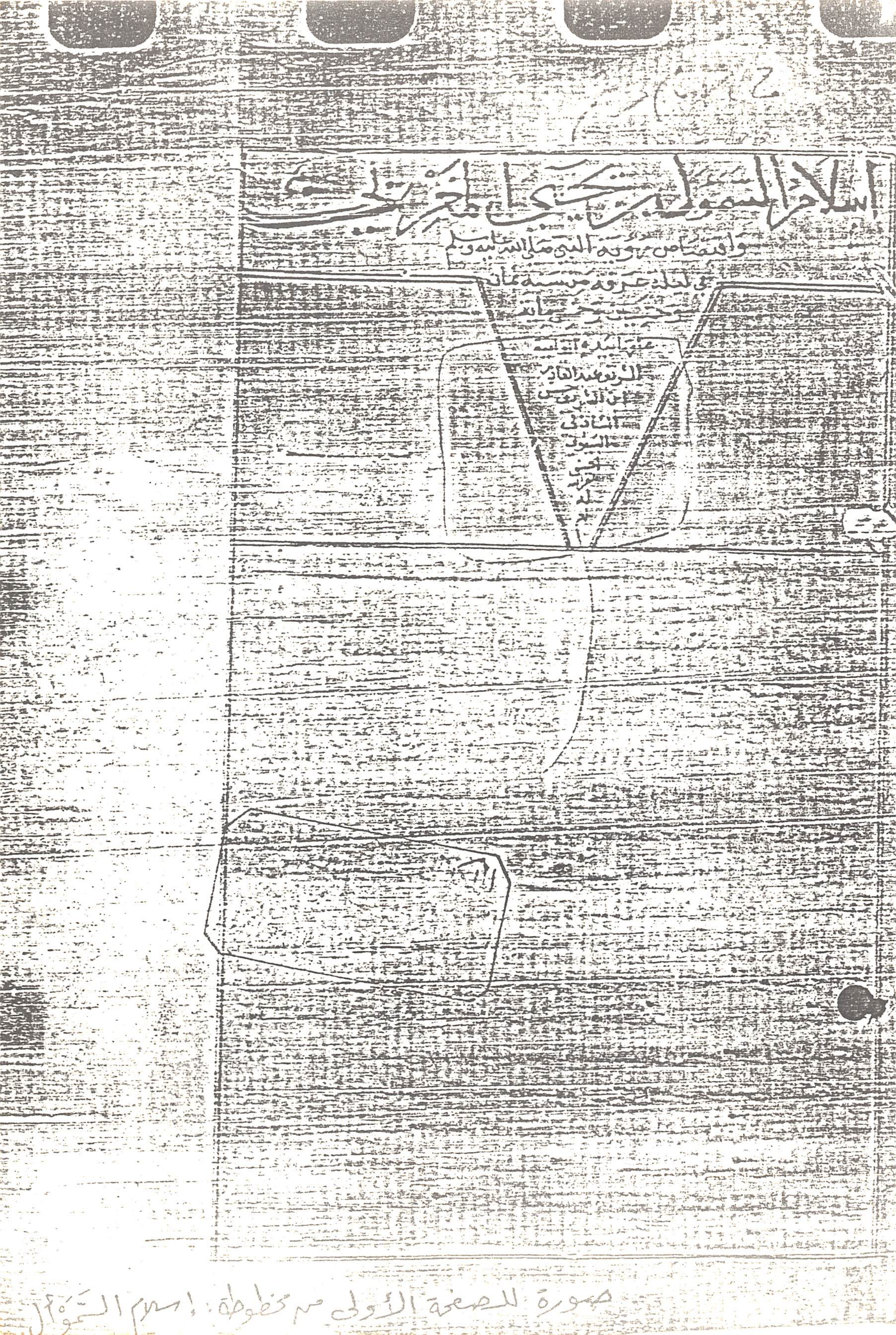
وكنت أود أن أكتب النصوص العبرية التى وردت فى متن الكتاب ، فى الحواشى ، بحروف عبرية ، لكن عرفت أن أكثر المطابع العربية لاتحتوى على حروف عبرية ، فتراجعت ، واكتفيت بإثباتها فى الصلب بحروفها العربية مثلما كتبها المؤلف نفسه ، مع إثبات ملحق بهذه النصوص – بحروف عبرية – فى آخر الكتاب ، مرتبة حسب ورودها .

ومن أجل الأهمية العظيمة لهذا النص ، ومن أجل التعريف بالمؤلف العلّامة : السموأل بن يحيى المغربى (الحبر شموائيل بن يهوذا) الذى لم يعرف – كما يجب – بين علماء الجدل الدينى ومقارنة الأديان وإن كان قد تبوّأ مكانةً مرموقة بين الأطباء والرياضيين ، من أجل ذلك قصدت إلى تحقيق هذا الكتاب ، والتعليق عليه ، راجيا أن أكون قد قدمت للمكتبة الإسلامية عملاً مفيداً .

والله أسأل أن يتقبل عملى هذا ، خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ويجعله فى ميزان حسناتى ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه .

المحقــق



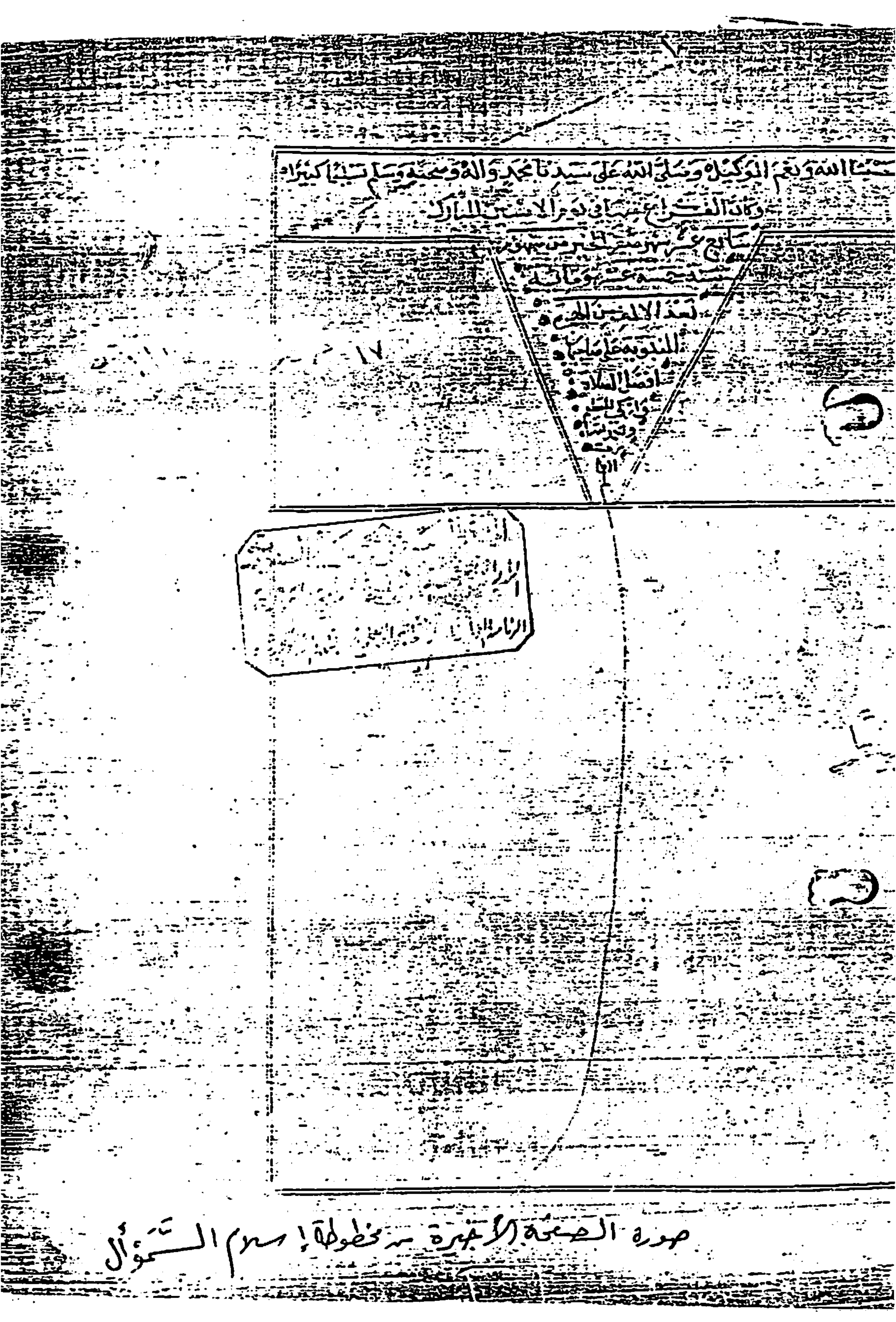
إسلام السموأل بن يحيى المغربي

واقتصاص رؤية النبي صلى الله عليه وسلم

في ليلة [illegible] من سنة ثمان

[illegible]

صورة للصفحة الأولى من مخطوطة: إسلام السموأل


حسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وكان الفراغ منها في يوم الاثنين المبارك

سابع عشر شهر صفر الخير من شهور

سنة خمسة عشر ومائة

بعد الالف من الهجرة

النبوية على صاحبها

افضل الصلاة

وازكى السلام

[illegible]

١٧

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة إسلام السموأل

الكتابُ الأول

إسْلَامُ السَّمَوْأَلِ بنِ يَحْيىٰ الْمَغْرِبِي

واقتصاص رؤياه[أ] النَّبِىَّ ، ﷺ ،
فى ليلة عرفة ، سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مئة[١]

بتحقيق
الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى

(أ) فى نسخة ، م ، رؤيته .
(١) فى الأصل : علقها بيده الفانية ، الشريف عبد القادر بن الشريف حسن الشاذلى البسيونى الحسنى ، غفر الله له .

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر وأعن يا الله[أ]

قال السَّمَوْأل .

بعد حمد الله والصلاة على نبيه ، محمد المصطفى ، وعلى آله ....

إنّ العناية الإلٰهيةَ لتَسُوقُه من تَسبِقُ – فى علم الله – هدايتُه حتى يُوجَدَ منه الاهتداء ، فى الوقت الذى سبق فى علم الله تعالى[ب] وجوده منه فيه[ج] .

وأنا أذكر سبب[د] ما وفقنى الله له من الهداية ، وكيف انْسَاقتْ بى الحال ، منذ سنات . بى انتقالى عن مذهبِ اليهود ، ليكون عِبرةً وموعظةً لمن يقعُ إليه .

ولِيعلم مُتأمِّله ، أنّ اللُّطفَ الإلهى ، أخفى من أن يُحاط بِكُنْهه فإنّ الله يخُصُّ بفضله من يشاء ، ويؤتى الحكمة من يشاء ، ويهدِيه صراطاً مستقيماً .

وذلك أن أبى كان يقال له : « الرّآب يهوذا بن آبون » ، من مدينة (**فاس**) التى بأقصى المغــرب .

(أ) سقطت هده العبارة من ، م .

(ب) تسقط نسخة م ، وصف (تعالى) بعد لفظ الجلالة (الله) فى جميع المواضع التى ذكر فيها هذا الاسم العظيم .

(ج) فى الأصل : منه ، وسقطت من : م .

(د) سقطت كلمة سبب من : م .

والرآب : لقبٌ ، وليس باسم ، وتفسيره : **الحِبر**[1] ، وكان أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة ، وأقدرهم على التوسع فى الإنشاء والإعجاز والارتجال ، لمنظوم العبرانى ومنثوره .

وكان اسمه المدعو به ، بين أهل العربية : (**أبا البقاء يحيى بن عباس المغربى**) ، وذلك أن أكثر متخصصيهم ، يكون له اسم عربى ، غير اسمه العبرى ، أو مشتقٌ منه ، كما جعلت العرب ، الاسم غير الكُنية .

وكان اتصاله بأُمّى ، (ببغداد) ، وأصْلها من (البصرة) ، وهى إحدى الأخوات الثلاث المنجبات فى علوم التوراة والكتابة بالقلم العبرى ، وهنّ بنات (إسحاق بن إبراهيم البصرىّ اللّيوى) ، أعنى من سِبْط لِيوى ، وهو سبط مضبوط النّسب ، لأنّ منه كان موسى عليه السلام .

وكان إسحاق هذا* ذا علوم يُدرِّسها ببغداد ، وكانت أُمُّهن (نفيسة بنت أبى نصر الداوودى ، [وهذا]** من رؤسائهم المشاهير ، وذريته إلى الآن بمصر .

وكان اسم أُمّى ، باسم أم شموائيل[2] النبى ، عليه السلام ، وكان هذا

(١) الحِبر ، والحَبر ، بالكسر والفتح ، العالم ذميًّا كان أو مسلماً ، وسأل عبدالله بن سلام ، كعباً عن الحِبْر ، فقال : هو الرجل الصالح ، وجمعه أحبار وحبور ، واختلف فقهاء اللغة فى الضبط الأصوب لحاء حبر ، بين الفتح والكسر . وكان يقال لابن عباس ، رضى الله عنهما ، الحَبْر والبحر ، لعلمه . انظر : « لسان العرب لابن منظور – دار اللسان بيروت » .

* فى الأصل : وكان هذا إسحاق ذا علوم ، وأرى أن الأصوب هو ماأثبتناه : وكان إسحاق هذا ويتكرر ذلك فى مواضع عديدة من الكتاب .

* فى نسخة أشار إليها (برلمان) : « المصرى » .

** ما بين المعقوفين زيادة من المحقق ، لتستقيم العبارة .

(٢) شموائيل : من أنبياء بنى إسرائيل ، كما تذكر أسفار العهد القديم ، ويُنسَب إليه سِفْران ، من أسفار التوراة التى بيد اليهود اليوم .

النبى قد ولد بعد أن مكثت أمه عاقراً ، لاترزق ولداً ، ولاتحمل ، عدة سنين ، حتى دَعَتْ ربّها فى طلب ولد ، يكون ناسكا لله ، ودعالها رجل صالح من الأئمة ، يقال له : (عَيْلى) .

فرُزِقتْ شموائيل النبى ، وذلك كُلّه مشروح فى أوائل سِفْر شموائيل النبىّ .

فمكثت أمى - عند أبى - مدة لاترزق ولداً[أ] ، حتى استشْعرت العُقْم ، فرأت فى منامها أنها تتلو مناجاةَ (حَنَّة) أم شموائيل لربها ، فَنَذَرتْ أنّها إنْ رزقت ولداً ذكراً ، تسميه شموائيل ، لأنّ اسمها كان باسم أم شموائيل .

فاتّفق أنها بعد ذلك اشتملت علىّ ، وحين رُزَقَتنى ، دعتنى : شموائيل ، وهو إذا عرب : السموأل ، وكنانى أبى : أبا نصر ، وهى كنية جدى . وشغلنى أبى بالكتابة بالقلم العبرى ، ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها ، حتى أحكمت علم ذلك ، عند كمال السنة الثالثة عشرة من مولدى .

= وترجمت البروتستانت - فى نشرتها للكتاب المقدس سنة ١٩٧٠ م - شموائيل إلى صَمُوئيل ، ويذكر السَّمَوْأل أن شموائيل حين تترجم إلى العربية تصبح : السَّمَوْأل ، وهو - عندى - أوثق ؛ لتمكنه من اللسانين .

وقِصَّةُ حمل أُمّه به مذكورة - بتوسع - فى الإصحاحات الأولى من سفر صَمُوئيل الأول . انظر : ص ٤٢٦ - ص ٥٢٧ من الكتاب المقدس ، (الترجمة العربية) نشرة البروتستانت بالقاهرة .

جاء فى الإصحاح الثالث : ١٩ - ٢٠

« وكبر صموئيل ، وكان معه الرب ، ولم يدع شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الأرض ، وعرف جميع إسرائيل ؛ مِنْ دَان إلى بئر سبع ، أنّه قد اؤتمن صموئيل نبيًّا للرب » . جاء فى الإصحاح الرابع : ١

« وكان كلام صموئيل إلى جميع إسرائيل » .

(أ) هذه الكلمة سقطت من : م .

فشغلنى ، حينئذ ، بتعلُّم[أ] « الحساب الهندى »[1] وحل « الزيجات »[2] ، عند الشيخ **الأستاذ أبى الحسن بن الدسكرى°** ، وقراءة علم الطب على الفيلسوف **أبى البركات هبة الله بن على**[3] ، والتأمل فى علاج الأمراض ، ومشاهدة مايتفق من الأعمال الصناعية فى الطب ، والمعالجات التى يعالجها خالى **أبو الفتح بن البصرى°** .

فأما الحساب الهندى و « الزيج » فإنى أحكمت علمهما فى أقل من سنة وذلك حين كمل لى أربع عشرة سنة ، وأنا فى خلال ذلك لا أقطع القراءة فى الطب ، ومشاهدة علاج الأمراض .

ثم قرأت « الحساب الديوانى » وعلم « المساحة » على الشيخ **أبى المظفّر الشهرزورى°** ، وقرأت « الجبر والمقابلة » – أيضا – عليه[ب] .

وتردّدت إلى الأستاذ أبى الحسن بن الدسكرى° ، وأبى الحسن بن

(أ) فى : م : بتعليم ، وهو خطأ

(1) استعمل الهنود النظام العشرى فى الحساب والترقيم ، وهو يقوم على أساس القيم الموضوعية (أو الخانات كما نسميها اليوم) ، فالرقم (٢) مثلا فى خانة الآحاد يساوى (٢) ، وفى خانة العشرات يساوى (٢٠) ، وفى خانة المئات يساوى (٢٠٠) ، وفى خانة الألوف ، يساوى (٢٠٠٠) وهكذا ، وهو أيسر وأكمل من النظام الستيني ، الذى كان يستخدمه البابليون والآشوريون . (انظر : د. جمال الدين الفندى فى : الله والكون ص ١٠٣) .

وجاء الرياضيون المسلمون ، وبتأثير مباشر من القرآن الكريم – عمقوا وهذّبوا الحساب الهندى ، وأدخل جَمْشيد : غياث الدين بن محمود الكاشي ، العلامة العشرية ، وأدخل الصِّفر ، ويعتبره كثير من الباحثين مؤسس علم الحساب الحديث .

(2) الزيج أو الزيجات : هى الجداول الفلكية ، ومن أشهر من ألّف فيها : ابن الشاطر ، وأبو حنيفة الدنيورى ، وأبو معشر البلخي ، ومحمد الطوسى ، وابن يونس .

(3) أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن على بن ملكا البلدى ، كان يهودياً وأسلم ، وكان من المتميزين فى صناعة الطب والفلسفة ، قد عمى فى آخر عمره ، وأملى كتابه (المعتبر) على ابن النقّاش ، ويوسف موفق الدين عبداللطيف البغدادى ، وعلى بن الدهّان =

النقاش[1] ، لقراءة « الهندسة » ، حتى حللت المقالات التى كانا يحلانها من (إقليدس)[2] ، وأنا – فى خلال ذلك – متشاغل بالطب ، حتى استوعبت ماعند من ذكرته – من الاستاذين – من هذه العلوم .

وبقى بعض كتاب إقليدس ، وكتاب « الواسطى » فى الحساب وكتاب « البديع » فى الجبر والمقابلة ، **للكرخى[3]** ، لا أجد من يعرف منه شيئا ، وغير

= المنجّم . (انظر : عيون الأنباء ص ٣٧٤ – ٣٧٦ ، وانظر : رسالة الدكتور أحمد محمد. الطيب عن ابن ملْكا وفلسفته فى كلية أصول الدين بالقاهرة) وتوفى ابن ملْكا سنة ٥٤٧ هـ .

★ انظر نبذاً عن هؤلاء الرجال فى :

– مآثر العرب فى الرياضيات والفلك : منصور يوحنا جرداق ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٧ م

– تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك قدرى حافظ طوقان ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

– تاريخ علم الحساب العربى ، لأحمد سليم سعيدان ، عمان ١٩٧١ م .

– مقدمة فى تاريخ الطب العربى ، د. التجانى الماحى ، القاهرة ١٩٥٩ م .

– والمنجد فى اللغة والأعلام ، بيروت ١٩٨٤ م . والأعلام لخير الدين الزركلى ، طبعة دار العلم للملايين .

(ب) فى : م : زيادة « وعلى الكاتب ابن أبى تراب » ، وهى ساقطة من : الأصل .

(١) الإمام العالم أبو الحسن على بن أبى عبدالله عيسى هبة الله ابن النقاش ، مولده ومنشأه ببغداد ، اشتغل بصناعة الطب ، وكان يعرف الفارسية ، توفى ٥٤٤ هـ (عيون الأنباء ص ٦٣٠ – ٦٣٦) ، (فوات الوفيات جـ ٣ ص ٣٦٦) .

(٢) من أعظم الرياضيين والهندسيين اليونان (ت ٢٨٣ ق.م) وكتابه : (الأصول) من أعظم المنجزات العلمية – فى حينه – ترجمة إسحاق بن حنين ، وللرياضيين المسلمين عليه شروح وتعليقات ، وانتقادات ، وممن اشتغل به : الكندى الفيلسوف ، وأولاد موسى بن شاكر ، وابن الهيثم .

(٣) الكرخى : محمد بن الحسن الحاسب (٤٢٠ هـ) وهو من نوابغ علماء الرياضيات المسلمين ، انظر الأعلام ، انظر : للدكتور يوسف السويدى : الإسلام والعلم

ذلكَ من العلوم الرياضية ، مثل كتاب **شجاع بن أسلم**[١] ، فى الجبر والمقابلة ، وغيره .

وكان بى من الشغف بهذه العلوم ، والعشق لها ، ما يلهينى عن المطعم والمشرب ، إذا فكّرت فى بعضها .

فخلوْتُ بنفسى ، فى بيتٍ مدةً ، وحلّلْتُ جميع تلك الكتب وشرحتها ، **ورددت على من أخطأ من واضعيها ، وأظهرت أغلاط مصنفيها ، وعزَمْت على ماعجزوا عن تصحيحه وتحقيقه ، وأُزْرَيْتُ**[٢] **على (إقليدس) فى ترتيب أشكال كتابه** ، بحيث أمكننى ، إذا غيّرت نظام أشكاله ، أنْ استغنى عن عِدةٍ منها ، لايَبْقى إليها حاجة .

بعد أن كان كتاب (إقليدس) معجزاً لسائر المهندسين ، إذ لم يحدثوا أنفسهم بتغيير نظام أشكاله ، ولا بالاستغناء عن بعضها ، كل ذلك فى هذه السّنة ، أعنى الثامنة عشرة من مولدى .

واتّصلت تصانيفى ، فى هذه العلوم ، منذ تلك السنة وإلى الآن وفتح الله علىّ كثيراً مما ارتجّ[٣] على من سبقنى من الحكماء المبرزين فدوّنت ذلك ، لينتفعَ به منْ يقعُ إليه .

= التجريبى ، مكتبة الفلاح ١٤٠٠ هـ ص ١٤٩ / ١٥٠ ، والمنجد ص ٥٨٦ .

(١) توفى نحو ٣٤٠ هـ ، وهو عالم بالحساب ، ومهندس مصرى ، من كتبه : « المساحة والهندسة » و « والجبر والمقابلة » و « طرائف الحساب » انظر : الفهرست لابن نديم : الفن الثانى ، المقالة السابعة ، (وهدية العارفين) لإسماعيل باشا البغدادى جـ ١ ص ٤١٥ ، ولسان الميزان لابن حجر (جـ ٣ / ١٣٩ ، والإسلام والعلم التجريبى ، ص ١٥٥ .

(٢) فى لسان العرب لابن منظور : أزريت عليه قليلة . وأزْرى به إزراءً : قصّر به وحقّرة وهوّنه ، وهذا منقول عن ابن سيده ، والزّارى على الإنسان : الذى لا يعُدّه شيئا ، وينكر عليه فعله .

(٣) فى اللسان : ارتجّ البحر وغيُره ، اضطرب ، وفى الحديث : من ركب البحر =

وفى خلال ذلك ليس لى مكسبٌ إلا بصناعة الطب ، وكان لى منها أوفر حظٍ ، إذ أعطانى الله من التأييد فيها ماعرفت به كل مرض يقبل العلاج من الأمراض التى لاعلاج لها[١] ، فما عالجت مريضا إلّا وعوفى ، وما كرهت علاج مريض ، إلّا وعجز عن علاجه سائر الأطباء ، [وكفّوا][٢] عن تدبيره ، فالحمد لله على جزيل نعمته وعظيم فضله .

واتضح لى – بعد مطالعة ما طالعتهُ من الكتب التى بالعراق والشام وآذربيجان[٣] وكوهستان[٤] – الطريق إلى استخراج علوم كثيرة ، واختراع أدوية لم أعرف أنى سُبقت إليها ، مثل الدرياق الذى وَسَمْتُه بالمخَلصِّ ذى القوة النّافِذة ، وهو يُبْرِىءُ من عِدّة أمراض عسيرة فى بعض يوم ، وغيره من الأدوية التى ركبتها ، مِمّا فيه منافع وشفاءٌ للناس ، بإذن الله تعالى .

وقد كنت قبل اشتغالى بهذه العلوم – وذلك فى السنة الثانية عشرة ، والثالثة عشرة – مشغوفاً بالأخبار والحكايات ، شديد الحرص على الاطلاع على ما كان فى الزمان القديم ، والمعرفة بماجرى في القرون الخالية ، فاطلعت على التصانيف المؤَلّفة فى الحكايات والنوادر ، على اختلاف فنونها ثم انتقلت من ذلك إلى محبّة الأسْمار والخرافات الطوال ، ثم إلى الدواوين الكبار ؛ مثل ديوان أخبار عنتر ، وديوان ذى الهمه ، والبطّال ، وأخبار الإسكندر ذى القرنين ، وأخبار

= حين يرتجُّ ، فقد برئت منه الذمة ، يعنى إذا اضطربت أمواجه .
وروى : ارتج من الإرتاج : أى الإغلاق .

(١) أى التى لا علاج معروف لها .

(٢) فى الأصل ، وفى م : كاعوا ، وهو لا معنى له .

(٣) فى بلاد فارس (شمال غرب إيران الحالية ، وعاصمة هذا الإقليم (تبريز) وهى التى قصدها السموأل ، وهنالك أذربيجان التى سيطر عليها الاتحاد السوفيتى وعاصمتها : باكو .

(٤) ولاية فى إيران الحالية تقع فى مقاطعة كرمان ، وما يقصده المؤلف مدينة تقع فى كرمان الفارسية .

العنقاء ، وأخبار **الطرف بن لوذان**[1] ، وغير ذلك .

ثم إنّى لما طالعت ذلك ، اتضح لى أن أكثرهُ من تأليف المؤرِّخين ، فطلبت الأخبارَ الصحيحة ، فمالت هِمَّتى إلى التواريخ ، فقرأت كتاب : **أبى على بن مسكويه**[2] الذى سمّاه « تجارب الأمم » ، وطالعت تاريخ **الطبرى**[3] ، وغيرهما من التواريخ فكانت تمُّر بى – فى هذه التواريخ – أخبارُ النبى ، ﷺ وغزواته ، وما أظهر الله له من المعجزات ، وما خصّه به من الكرامات[أ] ، وحباه به من النصر والتأييد فى غزوة بَدْر[4] ، وغزوة خَيْبَرْ[5] ، وغيرهما ، وقصة منشئه فى اليتم .

---

(١) هذه بعض الدواوين المنسوجة حول هذه الشخصيات ، التى بعضها أسطورى خرافى ، وبعضها واقعى تاريخى ؛ إلاّ أن ما نسب إليها – فى هذه الدواوين – عبارة عن أسمار وخرافات وأساطير ، انظر الفهرست لابن النديم ، ص ٤٢٢ / ٤٢٥ طبعة دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٢) فاضل فى العلوم الحكمية ، متميّز فيها ، خبير بصناعة الطب ، جيد فى أصولها وفروعها ، وله من الكتب : كتاب الأشربة ، وكتاب تهذيب الأخلاق ، وكتاب تجارب الأمم ، انظر فى ترجمته : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، لابن أبى أصيبعة ، ص ٣٣١ .

(٣) (تاريخ الرسل والملوك) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، شيخ المفَسرين والمؤرخين ، وقد نشر الكتاب بتحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم ، ونشر بدار المعارف بمصر سنة ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٣ م .

(أ) فى : م : الكرامة بالإفراد .

(٤) غزوة بدر ، هى أكرم المشاهد ، وهو يوم الفرقان ، الذى أعزّ الله فيه الإسلام وأهلَه . ودفع فيه الشرك وأهله ، هذا مع قلّة عدد المسلمين ، وكثرة العدُوّ .

وكانت فى الثانى عشر من رمضان ، على رأس تسعة عشر شهراً خلون للهجرة المباركة ، ولم يُعد لها المسلمون ، قال تعالى : ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ﴾ .

(٥) غزوة خيبر : تقع خيبر شمال (المدينة المنورة) وكان يسكنها اليهود فى حصون منيعة ، زمانها : قال ابن إسحاق : خرج ﷺ فى بقية المحرم سنة سبع ، وقال مالك وجزم ابن حَزم بأنها كانت فى آخر سنة ست ؛ ورجُح ابن حجر ما ذكره ابن إسحاق .

حاصر الرسول ﷺ اليهود فى حصْنيهم : « الوطيح والسلالم » ، حتى إذا أيقنوا بالهلاك ، سألوه أن يُسَيِّرَهم ، وأن يحقـن دماءهم ، ففعل ، وتحقق وعد الله فيهم ، ولما سمع

والضعف ، ومعاداة أهله له ، [وإقامته](ب) فيما بين أعدائه يجاهدهم بإنكار دينهم عليهم ، والدعوة إلى دينه مدةً طويلة ، وسنين كثيرة ، إلى أن أُذِن الله له فى الهجرة إلى دار غيرها ؛ وما جرى للأعداء الذين جاهدوه من النكبات ، ومصرعهم بين يديه بسيوف أوليائه ببدر وغيرها ، وظهور الآية العجيبة فى هزيمة الفرس - ورستُم الجبّار[1] معهم ، فى ألوف كثيرة ، على غاية من الحشد والقوّة - بين يدى(جـ) **سعد بن أبى وقّاص**[2] ، وهم فى فئة يسيرة على حال من الضعف ، [ومدائن](هـ) **كسرى أنُو شَرْوَان**[3] ، وانكسار الروم ، وهلاك عساكرهم ، على يدى **أبى عبيدة**[4] **بن الجراح**(د) ، رحمة الله عليه ، ثم سياسة **أبى بكر وعمر** ، رضى الله عنهما ، وعدلهما[5] وزهدهما .

أهل فَدَكْ بعثوا إلى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يفعل بهم مثل ذلك ، انظر : للبلاذُرى المتوفى ٢٧٩ هـ كتابه : « فتوح البلدان » ص ٣٤ نشرة رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(ب) سقطت (وإقامته) من : م .

(جـ) سقطت (بين يدى) من : م .

(د) سقطت كلمة (الجراح) من : م .

(هـ) غير واضحة فى الأصل .

(١) ويسمى رستم الفرخزاذ ، خرج بنفسه لملاقاة جيش المسلمين فى مائة وثلاثين ألفاً عند جسر القادسية ، وكان عدد المسلمين ثلاثين ألفاً ، فنصرهم الله تعالى . انظر المصدر السابق ص ٢٥٥ .

(٢) صحابّى جليل ، أحد قُوّاد النبى الفاتحين ، قديم الإسلام ، بَدْرىّ ، توفى سنة ٥٥ هـ بالمدينة .

(٣) خِسْرو الأول ٥٣١ - ٥٧٩ ، الملقّب أنو شروان ، أى : النفس الخالدة من أعظم ملوك بنى ساسان .

(٤) قديم الإسلام ، بدرىّ ، وأحد قواد الرسول الفاتحين ، وأمين الأمة ، مات بالطاعون فى عَمْواس سنة ١٨ هـ .

(٥) ونفس هذه المعانى قد لفتت ذهن المهتدى على بن ربّن الطبرى فى القرن الثالث =

ومع ذلك ، فإنّي كنت – لكثرة شغفى بأخبار الوزراء والكتّاب – قد أكتسبت ، بكثرة مطالعتى لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم ، قوة فى البلاغة ، ومعرفةً بالفصاحة وكان لى فى ذلك ، ما حمده الفصحاء ، وتعجب به البلغاء ، وقد يعلم ذلك مِنّى ، مَنْ تأمّل كلامى ، فى بعض الكتب التى ألّفتها ، فى أحد الفنون العلمية .

فشاهَدْتُ المعجزة ، التى لاتباريها الفصاحة الآدمية فى القرآن ، فعلمت صحّة إعجازه ، ثم إنّى لمّا هذّبْتُ خاطرى بالعلوم الرياضية – ولاسيّما الهندسيّة . وبراهينها . **راجعت نفسى ، فى اختلاف الناس فى الأديان والمذاهب**[1] ، وكان أكبر المحرّكات لى ، فى[أ] البحث عن ذلك ، مطالعتى كتاب (**برذويه**

للهجرة ، وهى التى عطفت عقله ووجدانه للإسلام ، فتحوّل إليه من النّصرانية ، وسجّل كل ذلك فى كتابه النفيس ، « الدين والدولة فى إثبات نبوّةِ سيدّنا محمد ﷺ » . نشرة عادل نويهص ، دار الآفاق بيروت .

(أ) سقط حرف الجر فى ش : م .

(١) كأنَّ السموأل يعرض تطوره النفسى والوجدانى باتجاه الإسلام ، وما أثر فيه من قراءات ومواقف ، فهو أولاً : قد قرأ كتب التاريخ والسيرة والمغازى ، فاطلع على معجزات وكرامات النبى ﷺ . ثم هو ثانياً : أدرك وأيقن بصحة إعجاز القرآن الكريم ، ثم بدأت مرحلة التحُول النفسى بالمراجعة والمقارنة والتأمُّل ، وترك التقليد ، وتحكيم العقل .

إلى أن انتهى إلى التيقن بصحة النبوّات الثلاث : لموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

وعندما صحّ عنده ، بالدليل القاطع ، نبُوةُ المسيح ومحمد ، عليهما الصلاة والسلام ، آمن بهما ، إلّا أن شبهة البِرّ بوالده ، والتذمُّم لله مِنه ، منعته أن يعلن إسلامه إذ ذاك ، إلى أن فتح الله عليه ، وحلّ عنه تلك الشبهة بما رأى مناماً ، فهو لم ينتقل إلى الإسلام لمجرد الرؤيا !! بل إن هذه الرؤيا دفعته فقط لأن يشهر ما اطمأن – بالدليل العقلى القاطع – إلى صحته ، فاعتقده سِراً .

الطيب)[١] ، من كتاب (كليلة ودمنة)[٢] ، وما وجدت فيه .

فعلمت أن العقل حاكم ، يجب تحكيمه على كلّيات أمور عالَمِنا هذا ، إذ لولا أنّ العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل ، وتصديق المشائخ والسّلف ، لما صدقناهم ، فى سائر ما تلقيناه عنهم ، **وعلمت أنّه إذا كان أصل التّمسُّك بالمذاهب الموروثة عن السّلَف ، وأصل اتباع الأنبياء ، مِمّا أدّى إليه العقل ، فإنّ تحكيم العقل على كلّيات جميع ذلك واجبٌ .**

وإذا نحن حكّمْنا العقل ، على ما نقلناه عن الآباء والأجداد ، **علمنا أنّ النّقْل عن السّلف ، ليس يُوجب العقلُ قبولَه ، مِنْ غير امتحان لصحّته ، بل** بمجرد كونه مأخوذاً عن السّلف لكن من أجل أنّه يكون أمراً ذا حقيقةٍ فى ذاته ، والحُجّة موجودةٌ بصحّته .

فأمّا الأُبُوّة والسَّلَفِيّةُ وحدهما ، فليستا[أ] بحجّة ، إذ لو كانتا حجةً ، لكانتا[ب] أيضاً حجةً لسائر الخصوم الكفّار ، كالنّصارى ، فإنهم نقلوا عن أسلافهم : أنّ عيسى ابنُ الله ، وأنّه الرّازقُ المانعُ الضّارُّ النّافِعُ[٣] ، فإنْ كان تقليد

---

(١) برزويه ، كان عالماً بصناعة الطب ، فاضلاً فى علوم الفرس والهند ، جلب كتاب (كليلة ودمنة) من الهند إلى أنو شروان بن قباذ ، ملك الفرس [انظر ص ٤١٣ من عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، ط بيروت ١٩٦٥] .

(٢) من أشهر كتب الهند القديمة ، موضوعة الحكمة والتهذيب ، صيغ أكثره على ألسنة الحيوان والطير ، نقله عبدالله بن المقفع إلى العربية – من الفارسية – فوجد ذيوعاً واشتهاراً كبيراً ، ولم يزل يطبع وينشر فى العربية .

(أ) « وحدهما ، فليستا » سقطت من : م .

(ب) فى : الأصل ، وفى : م . هكذا : [لو كانت حجة ، لكانت أيضاً] وهو لا يستقيم لُغةً .

(٣) يقول تعالى : ﴿ وإذْ قال اللهُ : ياعيسى بنَ مَرْيَمَ ، أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذونى وأُمِّىَ إلَٰهين مِنْ دُونِ الله ؟ قال : سبحانك ! ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، إن كُنْتُ =

الآباء والأسلاف ، يدل على صحة ما نُقِل عنهم ، فإنّ ذلك يَلزم منه الإقرار بصحة مقالة النّصارى ومقالة المجوس .

وإن كان هذا التقليد لأسلاف اليهود ، خاصة دون غيرهم من الأمم ، فلا يقبل منه ذلك ، إلّا أن يأتوا بدليلٍ على أنّ آباءهم ، كانوا أعقل من آباءِ الأمم وأسلافِهم ، فإنّ اليهودَ ادّعت ذلك فى حقِ آبائها وأسلافها ، فجميع أخبار أسلافهم ناطقة بتكذيبهم فى ذلك[1] .

وإذا تركنا التعصُّبَ لهم ، فنحن نجعل لآبائهم أُسْوةً بسائر آباء غيرهم من الأمم ، فإذا كانت آباءُ النّصارى وغيرهم ، قد نقلوا عن آبائهم الكفرَ والضّلالَ ، الذى تهربُ العقول منه ، وتنفِر الطباعُ السّليمة عنه[2] ، فليس بممتنع أن يكون

= قُلْتهُ ، فقد علِمتَه ، تعلمُ ما فى نفسى ولا أعلمُ ما فى نَفْسِكَ ، إنّك أنْتَ علّامُ الغُيوب ، ما قُلْتُ لهم إلّا ما أمَرْتَنِى به ، أن اعبدوا اللهَ ربِّى وربَّكم ، وكُنْتُ عليهم شهيداً مادمْتُ فيهم ، فلّما تَوَفَّيْتَنى ، كُنْتَ أنْتَ الرّقيبَ عليهم ، وأنْتَ على كل شىءٍ شهيد ﴾ [المائدة : ١١٦ – ١١٧] .

وانظر للإمام حجة الإسلام الغزالى كتابه : الرّد الجميل لإلّهية عيسى بصريح الإنجيل ، بتحقيقنا وتعليقنا ، نشر دار أمية بالرياض ، سنة ١٤٠٣ هـ ... ففيه تفنيد علمى موضوعى ، بنصوص الإنجيل ، لدعوى النصارى ألوهية عيسى عليه السلام ، وهو من أدق وأعمق ماكتب فى بابه ، وانظر دراستنا عن الكتاب وتعليقاتنا عليه .

وانظر دراستنا لرسالة أبى عثمان : عمرو بن بحر الجاحظ « الرّد على النّصارى » نشرة دار الصحوة بالقاهرة .

وانظر (شريعة إيمان النصارى) التى قررها مُجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وهذّبتها المجامع المتتابعة .

(١) يقصد أن جل كتب العهد القديم (التوراة وأسفار الملوك والقضاة والأنبياء) ذم لبنى إسرائيل ، ولعن لهم ، ونعْى عليهم ، ونذارة لهم بالويل والخسران والتشتت والضياع .

(٢) انظر فى مناقشتهم وجدالهم : « الدين والدولة » لعلىّ بن ربّن الطبرىّ ، و « والمختار فى الرد على النّصارى » للجاحظ ، و « الرد على فرق النصارى » لأبى عيسى الورّاق ، و « تثبيت دلائل النبوّة » للقاضى عبد الجبار ، والجزء الخامس من : « المغنى » له =

مانقله اليهود عن آبائهم ، أيضاً ، بهذه الصّفة فلمّا علمتُ أن اليهود ، لهم أسوة بغيرهم ، فيما نقلوه عن الآباء والأسلاف ، علمت أنّه ليس بأيديهم حجة

و « الفصل » لابن حزم ، « وشفاء الغليل » للجويني « والرد الجميل » للغزالي ، و « مقامع هامات الصلبان » للخزرجي ، و « الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام » للإمام القرطبى ، و « النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية » للمهتدى نصر بن يحيى المتطيب ، و« الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة للقرافى » ، و« وتحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » للمهتدى عبدالله الترجمان وهو قسيس كاثوليكى أندلسى اسمه (انسلمو تورميدا) ، ورسالة المهتدى الحسن بن أيوب إلى أخيه على بن أيوب » « والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » للإمام أحمد بن تيمية ، و« إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الكيرانوى العثمانى الهندى ، والمناظرة الكبرى بينه وبين القسيس المنصّر الدكتور فندر والدكتور كثى ... وغير ذلك .

وانظر عقائد النصارى وشروحاتها وجدلياتها فى المصادر اللاهوتية النصرانية التالية :

« التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » ، و« نظم الجوهر » ، و« والجدل مع المخالف لبطريرك الإسكندرية المعروف : سعيد بن البطريق ، وكذلك ماكتبه يوحنا الدمشقى فى جدلياته الذائعة ، وما كتبه كل من : عيسى بن إسحق بن زرعة المنطقى اليعقوبى فى : « التثليث » . و« المواضع التى فيها الخلاف بين اليهود والنصارى » . و« المواضع التى فيها الخلاف بين المسلمين والنصارى » . و« أمر العقل وتمثيل الآب والابن والروح القدس بالعقل والعاقل والمعقول » .

– إيليّا مطرن نصيبين النسطورى فى : « حدوث العالم ووحدانية الخالق وتثليث أقانيمه » .

– وسمعان بن إكليل القبطي : فى « وحدانية البارىء وتثليث أقانيمه » .

– وابن العسّال فى : « التثليث » . و« شرح أعمال المسيح » .

– والفضل الأنطاكى الملكى ، فى « الرد على قضايا يجحدها الناس » .

– دانيال بن الخطاب اليعقوبى ، فى « وجود الخالق » .

– أيشو عاب بن ملكون مطران نصيبين النسطورى الدنيسرى فى : « البراهين والأدلة على صحة الإنجيل » و« الرد على من يتهم النصارى ... » و« القيامة العامة » .

– يحيى بن عدى : وأبو الخير بن الطيب المتطيب ، وأبو الفرج بن الطيب النسطورى . وانظر : للقس بولس سباط ، مباحث دينية فلسفية لبعض القدماء من علماء النصرانية ، نشرة سنة ١٩٢٩ م مكتبة فردريك .

صحيحة ، بنبوة موسى ، إلا شهادةُ التَّواتُر .

وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمدٍ ، كوجوده لموسى ، عليهم السلام أجمعين ، فإن كان التواتر يفيد تصديقاً ، فالثَّلاثة صادقون ، ونُبُوَّتهم معاً صحيحة .

وعلمتُ – أيضاً – أنّى لم أر موسى ، بعينى ، ولم أشاهد معجزاته ، ولا معجزات غيره من الأنبياء ، عليهم السلام ، ولولا النَّقلُ ، وتقليد الناقلين ، لما عرفنا شيئاً من ذلك ، فعلمتُ أنّه لايجوز للعاقل أن يصدِّق بواحد ، ويكذب بواحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام ، لأنه لم ير أحدهم ، ولاشاهد أحواله ، إلاّ بالنَّقْل وشهادةُ التَّواترِ موجودة لثلاثتهم ، فليس من العقل ، ولا من الحكمة أن يُصَدِّقَ أحدهُم ، ويُكَذِّبَ الباقون ، بل الواجب عقلاً إمّا تصديق الكل ، وإمّا تكذيب الكل .

---

(١) انظر فى معنى التواتر ، وإفادته العلم ، وشرائطه ، كتاب : (المحصول) للإمام فخر الدين الرازى ج ٢ ، القسم الأول ص ٣٢٣ – ٣٨٤ بتحقيق د. طه العلوانى ، نشرة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١ هـ .
وانظر كذلك كتاب : (أصول الدين) لعبد القاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ص ١١ وما بعدها ، تصوير دار الكتب العلمية بيروت .
وانظر (الإحكام فى أصول الأحكام) لابن حزم نشرة الشيخ أحمد شاكر ، تصوير دار الآفاق الجديدة بيروت .
وانظر كذلك القسم الأول من المجلد الأول من كتاب : (الموافقات فى أصول الشريعة) لأبى إسحاق الشاطبى المالكى الغرناطى المتوفى سنة (٧٩٠) هـ بشرح الشيخ عبد الله دراز ، وضبط ولده الدكتور محمد عبد الله دراز ، ط المكتبة التجارية بالقاهرة ، وتصوير دار الباز بمكة المكرمة .

فأمّا تكذيب الكل ، فإن العقل لا يوجبه أيضاً ، لأنّا إنّما نجدهم قد أتوْا بمكارم الأخلاق ، ونَدَبُوا إلى الفضائل ، وَنَهَوْا عن الرذائل . ولأنَّا نجدهم ساسُوا العالم بسياسة بها صلاحُ حال أهله .

فصحّ عندى ، بالدليل القاطع ، نُبُوَّةُ المسيح والمصطفى ، صلى الله عليهما وسلم ، **وآمنتُ بهما** .

فمكثتُ برهةً أعتقد ذلك ، من غير أن الْتزم الفرائض الإسلامية ، مراقَبَةً لأبى ، وذلك أنه كان شديدَ الحبِّ لى ، قليلَ الصَّبْر عنّى ، كثيرَ البِّر بى ، وكان قد أحْسَن تربيتى ، إذ شغلنى منذ أول حداثتى ، **بالعلوم البرهانية** ، وربّى ذهنى وخاطرى فى الحساب والهندسة ، العِلْمَيْن اللّذين مدح (أفلاطون)[1] عقل من يتربّى ذهنه فى النظر فيهما ، فمكثت مدة طويلة ، لايفتح علىّ وجْهُ الهداية ، ولا تَنْحَلُّ عنى هذه الشبهة ، وهى مراقبة أبى ، إلى أن حالت الأسفار بينى وبينه ، وبعُدت دارى عن داره ، وأنا مقيمٌ على مراقبته ، والتذمُّم من أنْ أفجعه بنفسى .

وحان وقت الهداية ، وجاءتنى الموعظة الإلٓهية برؤيتى للنبىّ ، ﷺ ، فى المنام ، **ليلة الجمعة ، تاسع ذى الحجة ، سنة ثمان وخمسين وخمسائة[2]**، وكان ذلك « **بمراغة** »[3] ، من آذربيجان ، وهذا شرحُ مارأيت .

---

(١) هو الفيلسوف اليونانى الشهير ، ولد سنة ٤٢٨ ق.م ، وتوفى ٣٤٨ ق.م ، انظر عنه وعن فلسفته : الملل والنحل للشهرستانى جـ ٢ ص ٩٤ - ١٠١ ، تاريخ الحكماء للقفطى ص ١٧ - ٢٧ ، أفلاطون للدكتور عبدالرحمن بدوى ، القاهرة ١٩٥٤ م .

(٢) يقصّ السموأل ، فى موضع آخر ، أنه لم يذكر هذه الرؤيا إلّا بعد أربع سنوات ، من وقوعها ، أى سنة ٥٦٢ هـ ، ونفهم من ذلك أنه كان حيًّا فى هذا التاريخ ، وبعده أيضاً ، لأن ناسخ كتاب (إفحام اليهود) يذكر أنه نقلها عن نسخة بخط السّموأل ، حررها سنة ٥٦٥ هـ .

(٣) عاصمة إقليم آذربيجان بإيران .

المَنَامُ الأَوَّلُ

رأيت كأنّى فى صحراء فَيْحاء ، مُخْضَرَّةَ الأرجاء ، يلوح من شرقيها شجرة عظيمة ، والنّاس يُهرعون إلى تلك الشجرة ، فسألتُ بعضهم عن حالِ النّاس ، فقال :

« إنّ تحت الشجرة شموائيل النبىّ جالسٌ والناسُ يسلّمون عليه فسررت بما سمعته ، وقصدت الشجرة فوجدت فى ظلها شيخاً جسيماً ، بهياً ، وقوراً ، شديدَ بياض الشّعر عظيم الهيبة ، بيده كتاب ينظر فيه ، فسلمت عليه ، وقلتُ بلسانٍ عربىّ :

« السلام عليك يانبىّ الله » ، فالتفت إلىّ مبتسماً وهشّ إلىّ ، وقال :

« وعليك السلام ، ياشريكنا فى الاسم ، اجلس لِنَعرِضْ عليك أمْراً » .

فجلستُ بين يديه ، فدفع إلىَّ الكتاب الذى بيده ، وقال :

« اقرأ ما تجده بين يديك » .

فوجدت بين يدىّ هذه الآية من التوراة :

(نابى أقيم لاهيم مقارب أحيهم كاموخا إيلاويشماعون)

تفسيره : « نبياً أُقيمُ لهم ، مِنْ وَسَطِ أُخوتهم مِثْلَكَ ، بِهِ فَلْيُؤْمِنُوا »[1] .

---

(١) جاء فى سفر التثنية ١٨ : ١٨ – ٢٢ .
يتكلم موسى عليه السلام قائلاً :

« قال لى الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا . أقيم لهم نبياً من وسط إخواتهم ، مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه .... إلخ » . وانظر الملحق الخاص بالنصوص مكتوبة بالحرف العبرى فى ذيل الكتاب .

وهذه مناجاةٌ مِنَ الله عز وجل لموسى ، وكنت أعرف أنّ اليهود يقولون : إنّ هذه الآية نزلت فى حق **شموائيل** النبىّ ؛ لأنّه كان مثل موسى ، يَعْنُونَ أنّه كان من سبط ليوى ، وهو السِّبط الذى كان منه موسى .

فلمّا وجدتُ بين يدىّ ، هذه الآية من التوراة ، قرأتُها ، وظننتُ أنّه يذهب إلى الافتخار ، بأنّ الله تعالى[أ] ذكره فى التوراة ، وبشّر به موسى ، عليه السلام .

فقلت :

« هنيئاً لك يانبىَّ الله ، ما خصَّكَ اللهُ به من هذه المنزلة » !! .

فنظر إلىّ مُغضباً ، وقال :

« أوَ إيَّايَ أراد اللهُ بهذا ، ياذكياً ... ! ما أفادتْك إذا البراهينُ الهندسيّة ؟! »[١] .

فقلتُ :

« يا نبىَّ الله ، فمنْ أرادَ اللهُ بهذا ؟! » :

قال :

« الذى أراد به فى قوله » :

(هُو فيَّع مَيْهَار فارَان[ه] .

وتفسيره : إشارة إلى نُبُوَّةٍ وُعِد بنزولها على **جبال فاران** . **فلمّا قال لى** ذلك ، عرفتُ **أنّه يَعْنِي** : **المصطفى** ، ﷺ ؛ **لأنه المبعوث من جبالِ فاران** ، **وهى جبال مكة** ؛ لأنّ التوراة ناطقةٌ نصّاً **بأنَّ فاران مسكنٌ لآل إسماعيل**[٢] ،

(أ) نسخة : م تسقط كلمة تعالى ، بعد لفظ الجلالة فى كل المواضع .

(١) أى : التى تربيت عليها وبرّزت فيها .

(٢) انظر سفر التكوين ، الإصحاح الحادى والعشرين ، فقرة رقم : ٢٠ — ٢١ =

وذلك قول التوراة : (ويشب بِمد نار فاران)(*) .

تفسيره : « [وأقام فى بُرِيةِ فاران][1] [أ] ، يعنى إسماعيل ولد إبراهيم الخليل عليهما السلام » .

ثم إنه عاد والتفت إلىّ ، وقال :

« وأما علمت أنّ الله لم يبعثنى بِنَسْخ[2] شيء مِنَ التوراة ، وإنّما بعثنى ، لأُذَكِّرهم بها ، وأحييَ شرائعها ، وأخلِّصهم من أهل فلسطين ؟! » .

فقلت : « بلى يا نبىَّ الله » ! .

قال : « فأىّ حاجةٍ لهم إلى أنْ يوصِيَهم ربُّهم باتباع مَنْ لم يَنْسخْ دينَهم ، ولم يغَيِّر شريعتهم ؟!! أرأيتهم احتاجوا إلى أن يوصيهم بقبولِ نُبُّوةِ دانيال ، أو أرميا ، أو حزقيل ؟ »[3] .

= « وكان الله مع الغلام ، فكبر وسكن فى البَرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى بريَّة فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » .

وجاء فى نفس السفر والإصحاح (١٧ : ٢٠) .

وقال الله تعالى لإبراهيم بشأن إسماعيل ، عليهما السلام ، : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيراً جداً ، اثنى عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة » .

(أ) ما بين المعقوفين سقط من الأصل ، ولا يصح الكلام بدونه .

(١) انظر : سفر التكوين ، الإصحاح الحادى والعشرين ، ١٨ : ٢١ (ص ٣١ نشرة البروتستانت ١٩٧٠ م) .

(٢) عن النسخ : معناه وحدّه ، وأحكامه انظر : للإمام فخر الدين الرازى كتاب المحصول ، تحقيق د. طه جابر العلوانى ج ١ ص ٤١٩ - ٥٦٧ طبعة ١٩٨٠ م ١٤٠٠ هـ . وانظر فتاوى الإمام تقى الدين ابن تيمية ج ١٣ ص ٢٩ ، ٣٠ ، ج ٥ ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ج ٤ ص ١١٢ ، ١١٣ ، ج ١٤ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ج ١٧ ، ص ١٨٤ - ١٩٢ .

(٣) طبقا للتوراة التى بين أيدى اليهود : هؤلاء الثلاثة أنبياء ، وتنسب إليهم أسفاراً =

فقلت : لا ، لَعَمْرى ، لم يُحْتَجْ إلى ذلك .

ثم أخذ المصحف ، من يدى وانصرف مُغْضَباً !!! ، فارتعْتُ لغضبه وازْدَجَرْتُ لموعظته ، واستيقظت مذعوراً ، فجلست[أ] ، وكان وقت السَّحَر ، والمصباح يَقُدُّ[1] فى غاية استنارته ، فتذكّرتُ المنام جميعَه ، فإذا أنا قد تَخَيَّلْتُه ، لا يذهب علىَّ مِنْه شئ !! .

فَعَلِمتُ[ب] :

« أنَّ ذلك ، لطفٌ من الله سبحانه وتعالى وموعظةٌ لإزالة الشُّبْهَةِ التى كانت تمنعنى من إعلان كلمةِ الحق والتَّظاهر بالإسلام » .

فتُبتُ إلى اللهِ مِنْ ذلك واستغفرته ، وأكثَرتُ من الصلاة على رسول الله المصطفى ﷺ .

= بأسمائهم : سفر دانيال ، وسفر أرمياء ، وسفر حزقيال .

ومما يجدر ذكره أن كثيراً من علماء اللاهوت يرون أن سفر حزقيال كتب أولاً ، أثناء الأسْر البابلى ، وكيفت الأسفار الأخرى بعد ذلك ، بسطاً وتفصيلاً وشرحاً لسفر حزقيال ، الذى تحدث عن « الوعد » وفلسف لليهود « السّبى إلى بابل » بأنه تطهير لهم من عند إلَهِهم (يهوه) ، استعداداً للعودة إلى أورشليم وإخضاع الأمم « الجوييم » ... فهذا السفر هو الذى صاغ لليهود - ولأول مرة - النبوءة والوعد بالعودة ، والسيطرة على العالم وإخضاعه !! .

[انظر : التوراة : تاريخها وغاياتها ، ترجمة سهيل ديب ، نشر دار النفائس ص ٢٥ ، ٣٩ ، ٤٠] .

ومن أبرز ماجاء فى سفر دانيال ، قصة السخط الذى أظهره الصدوقيون (آل صادوق) على زعمائهم المؤابيين وبروز حركة الفريسيين ، أى الانفصاليين : أو الدعاة لأن يبقى اليهود أمة منفصلة عن بقية البشر متعالية عليهم . لا تندمج معهم : لغةً أو ثقافةً أو زواجاً أو معيشةً !! .

(أ) فى : م ، وجلست .

(ب) فى م : فقلت .

(١) القَدُّ : القطع المستأصل والشَّق طولاً ، قدّه ، يَقُدُّه قدًّا ، ومنه : التفرق ، تقدّدَ القوم : تفرقوا قِدداً وتقطعوا . (لسان العرب للعلامة ابن منظور) .

وأسْبَغْتُ الوضوءَ ، وصلَّيْتُ عِدَةَ ركعات لله ، عز وجل ، وأنا شديد الفرح والسُّرور بما قد انكشف لى مِنَ الهداية .

ثم جَلَسْتُ مفكِّراً ؛

فغلب علىّ النوم عند تفكُّرى ونمت .

المنام الثانى(*)

فرأيتُ كأنّى جالسٌ فى سِكّةٍ عامرةٍ ، لا أعرفها ، إذْ أتانى آتٍ ، عليه ثيابُ المتصوِّفة وزىُّ الفقراء ، فلم يسلِّم علىّ ، لكنّه قال : « أجِبْ رسول الله ﷺ » .

فَهِبْتُهُ ، وقُمتُ معه مسروراً مسرعا مستبشراً بلقاء النبى ﷺ . فسار بين يدىّ ، وأنا من ورائه حتى انتهى إلى باب دار ، فدخله واستدخلنى ، فدخلْتُ وراءه ، وسرت خلفه فى دهليزٍ طويل ، قليل الظلمة إلّا أنه مظلم .

فلما انتهيتُ إلى طرفِ الدهليز ، وعلمتُ أنّه قد حان إشرافُ النبىّ ﷺ ، هِبْتُ لقاءَه هيْبَةً شديدة ، فأخذتُ فى الاستعداد للقائه وسلامه .

وذكرتُ أنّى كنتُ قد قرأتُ فى أخباره ﷺ ، أنّه كان إذا لُقى فى جماعة قيل : « سلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وإذا لُقِىَ وحْدَهُ ، قيل :

« السّلام عليك ، يارسول الله ، ورحمةُ الله وبركاته » .

فعزمْتُ على أنّى أُسلّمُ عليه سلاماً عاماً ، لتَدْخُلَ الجماعةُ فى السّلام ، لأنّى رأيتُ ذلكَ كأنّه الأوْلى والألْيق(1) .

---

* العنوان من وضع المحقق .

(1) انظر للخطيب البغدادى ت ٤٦٣ هـ الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع جـ ١ ص ٩٥/٩٦ بتحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد طبعة الفلاح بالكويت .

ثم أشرفْتُ على صحنِ الدار ، وكان مقابلَ الدهليز مجلسٌ طويل ، وعن يسرةِ الداخل مجلس آخر ، وليس فى الدار غير هذين المجلسين .

وفى كل واحد من المجلسين ، رجلان لا أُحقِّقُ الآن صورَ أولئك الرجال ، إلّا أنى أظن أكثرهم كانوا شبّاناً ، لكنهم كانوا كالمتهيئين للسَّفر .

فمنهم من يلبس ثياباً للسفر ، وأسلحتهم قريبة منهم . ورأيت رسول الله ﷺ ، قائماً فيما بين المجلسين ، أعنى فى الزاوية التى فى ذلك الركن مِن أركان الصحن ، وكأنّه قد كان فى شغل ؛ وقد فرغ منه وانقلب عنه لِيشْرَعَ فى غيره فَفَجَأتُه بالدخول عليه ، قبل شروعه فى غيره .

وكان ﷺ [لابساً ثياباً بيضاً][أ] ، وعمامته معتدلة اللطافة ، وعلى عنقه رداء أبيض حول عنقه ، وهو معتدلُ القامة ، نبيلٌ ، جسيم ، معتدل اللون بين البياض والحمرة ، واليسير من السمرة ، أسود الحاجبين والعينين ، وشعر محاسنه [نصف كأنه شعره][ب] ، وشعره ومحاسنه أيضاً معتدلة بين الطول[جـ] والقصر .

ولما دخلت عليه ، ورأيته ، التفت إلىّ ورآنى ، فأقبل علىّ مبتسماً ، وهشَّ إلىّ جدّاً .

فذهلتُ لهيبته عمّا كنْتُ قد عزمتُ عليه من السلام ، فسلّمتُ سلاماً خاصًّا ، فقلتُ : « السّلام عليك ، يارسول الله ورحمة الله وبركاته » .

وألْغيتُ الجماعة ... .

... فلم ألْتَفِتْ ببصرى وقلبى إلّا إليه .

(أ) فى الأصل هكذا : « لابس ثياب بيض » وهو لايصح لغةً ، ومع ذلك ، فقد وضعها (برلمان) فى النسخة المرموز لها (م) كما هى !! دون أن يصوبها .

(ب) هكذا فى الأصل ، وفى : م ، ولم أقف على معناها .

(جـ) فى : م (بين طول والقصر) ، وهو خطأ .

فقال :

« وعليك السلام ورحمة الله وبركاته » .

ولم يكن بين تسليمي عليه ، وبين سعْيى إليه توقفٌ ولازمانٌ ، بلْ جَرَيْتُ إليه مسرعاً ، وأهْويتُ بيدىَّ إلى يده ، ومدَّ يدهَ الكريمةَ إلىّ ، فأمسكْتُها[أ] بيدىّ ، وقلتُ :

« أشهد أنْ لا إله إلّا الله ، وأنّك رسولُ الله » .

وذلك أنّه خطر بقلبى أنَّ النُّحاةَ : منهم من زعم أنّ الأسماء الأعلام هى أعرفُ المعارف ، ومنهم من يقول إن الاسماء المضمرةَ هى أعرفُ المعارف ، وهو الصحيح ؛ لأن الكاف من قولى « أنّك » لايشارِك المخاطب فيه أحد ، لأنها لا تقع إلا عليه وحده[١] .

فرأيته قد مُلِئَ ابتهاجاً !! ، ثم جلس فى الزاوية التى بين المجلسين ، وجلستُ بين يديه .

وقال : « تأهَّبْ للمسير معنا إلى **غمدان** للغزاة »[٢] .

فلمّا قال ذلك وقع فى نفسى أنّه يعنى : (المدينة العظمى) التى هى كرسىّ مُلْكِ الصين ، وأن الإسلام لم يستول عليها بعد .

وكنت قد قرأتُ قبل ذلك أنّ الطريق الأقرب المسلوك إلى الصين ، فى البحر الأخضر ، وهو أشدّ البحار أهْوالاً وأعظمها أخطاراً .

(أ) فى نسخة م ، فأسكتها بيدى ، وهو خطأ .

(١) فى هذا دلالة على تمكنه من الثقافة العربية الإسلامية ؛ إذ قال : وأشهد أنّك رسول الله ، بالضمير المخاطب ، ولم يقل : « أنّ محمداً رسول الله » بالاسم العلم ، لما علّل وأظهر من الفرق الدقيق اللطيف بين الصياغتين .

(٢) أى : للغزو .

فلما سمعتُ ذلك القول من النبى ﷺ ، خِفتُ من ركوب البحر ، وقلت فى نفسى :

إنّ الحكماء لايركبون البحار ، فكيف أركب البحر ؟! .

ثم قلت فى نفسى أيضاً من غير توقُّف :

ياسبحان الله ! ، أنا قد آمنتُ بهذا النبىّ ، وبايعتُه ، أفيأمرنى بأمرٍ ، ولا أتابعه ؟! فإذاً أىُّ مبايعةٍ تكون مبايعتى له ؟! وعَزَمْتُ على السّمع والطاعة .

ثم وقع لى خاطر آخر ، وقلت : إذا كان معنا رسول الله ، ﷺ وأصحابه فإنّ البّر والبحر يكونان مُسَخَّرين لنا ، ولاخوف علينا من سائر الأخطار .

وطاب قلبى بذلك ، وحسُن يقينى وقبولى .

وأنا أذكر أن هذه الأفكار والخواطر ، ظهرت لى وأنا بين يدى النبى ، ﷺ ، فى غير زمان ، أعنى من غير توقفٍ يستبطئنى (به)[ب] عن إجابته .

فما كان بأسْرعَ مِنْ أنْ قلت له : سمعاً وطاعة ، يارسول الله .

فقال : « على خيرة الله تعالى »[ج] .

فقمت بين يديه ، وخرجت .

فما وجدت فى الدهليز الظلّمةَ التى كانت فيه عند الدخول !!! .

فلمّا خرجت من الدار ، ومشيْتُ قليلا ، وجدت كأنى فى سوق (مراغة) ، فيما بين الصيارف وبين المدرسة القضوية وكأنّى أرى ثلاثة نفَرٍ

(أ) فى : م ، والأصل ، « يكون مسخّرٌ لنا » ، وهو خطأ لغوى ، والصواب : « فإن البّر والبحر يكونان مسخّرين لنا » ، وذلك ماذكرناه .

(ب) هكذا فى الأصل ، ورفع الجار والمجرور (به) ، أولى .

(ج) تسقط نسخة م قوله : « تعالى » دائماً .

عليهم زيُّ المتصوفة ، وثيابُ الزهَّاد .

ومنهم مَنْ على بدنه صُدْرةُ صوفٍ خشن ، أسود ، وعلى رأسه مئزرٌ من جنسها ، وبيده قوس ملفوفَة فى لباد خَلِق ، وبيده الأخرى حَرْبةٌ نصابها من سَعَفِ النَّخْل ، والآخر متقلِّدٌ سيفاً ، غِمْدُه من خوص النَّخْل ، لأنه كان قد انطبع فى خيالى ، منذ كنتُ صغيراً ، حين قرأتُ أخبار ظهور دولة الإسلام ، كيف كان أصحابُ النبى ، ﷺ ، ضعفاء ، فقراء ، وليس لهم من الآلات إلّا شبيهاً بما ذكرنا ، وأنهم كانوا مع ذلك[أ] ، يُنْصَرُون على الجيوش الكثيفة ، والخيول العديدة ذوى الشوكة القوية .

فلما رأيت النفر الثلاثة قلت :

هؤلاء هم المجاهدون والغزاة ، هؤلاء أصحابُ النبى ، ﷺ ، مع هؤلاء ، أُسافر وأغزو .

وكانت الدمعة تَبْدُرُ من عينى ، فى النوم ، لفرطِ سرورى بهم ، وغبطتى إياهم !!![ب] .

ثم استيقظتُ والصبح لم يسفر بعد .

فأسبغت الوضوء وصلَّيت الفجر ، وأنا شديد الحرص على إشهار كلمةِ الحقّ ، وإعلان الانتقال إلى دين الإسلام .

وكنت حينئذ بمراغة من آذربيجان ، فى ضيافة (الصاحب الأمجد فخر الدّين :[جـ] عبدالعزيز بن محمود بن سعد بن على بن حميد المضرى)[1] رحمة الله عليه[2] .

(أ) فى : م ، وإنهم مع ذلك كانوا ، وانظر كتاب « الدين والدولة » للطبرى .
(ب) فى ، م : بهم . (جـ) فى : م ، زيادة كلمة : أبى العزّ .
(١) لم أقف عليه فى كتب التراجم .
(٢) لعلّ فى هذا إشارة إلى أنه قد كتب (سيرته الذاتية) ، بعد كتابته مؤلفه : =

وكان قد ابتلى بمرضٍ ، قد عافاه الله منه ، ولى به أُنس متقدم .

فدخلْتُ إليه فى أوائل نهار الجمعة المذكور يومئذ ، وعرّفْته أنّ الله قد رفع الحجابَ عنّى وهدانى ، فما أعظم استبشارَه يومئذٍ بذلك !! .

وقال :

الله ، إنّ هذا الأمر مازلْتُ أتمنَّاه ، وأترجّاه ، وطالما قد حاورت قاضى القضاة صدر الدين فى ذلك ، وكنَّا جميعاً نتأسّف على علومك وفضائلك أنْ لاتكون إسلاميةً !، فالحمدُ للهِ على ماأَلْهمكَ به مِنْ صلاحٍ وهدايةٍ ، وعلى استجابته دعاءنا فى ذلك ! .

فقل لى :

كيف فتح الله ذلك عليك[أ] ، وسهَّله بعد إرتاجه[ب] وامتناعه ؟ .

فقلت : ذلك أمرٌ أوْقعه اللهُ فى نفسِي بالإلْهام والفكر . ودليلهُ العقليُّ وبرهانُه ، قد كنت قديماً أعرفه ، ودليله فى التوراة ، إلّا أنّى كنت أُراقِبُ أبِي وأكره أنْ أفجعه بنفسى ، تذمُّماً من اللهِ تعالى ، والآن قد زالت عنى هذه الشبهة ، مُذّ يدكَ ، فأنا أشهد أنّ لا إلّه إلّا الله وأشْهدُ أنّ محمداً رسولُ الله .

فقام الصاحبُ لِفَرْطِ سروره قائماً ، واهتزَّ فرحاً ، وكان قبل ذلك لايقوم إلّا بالتكلُّف ، وغاب عنى ، واستجلسنى إلى عودته ، وأفاض علىّ من الملابس أُجلَّها ، وحملنى من المراكب على أنبلها ، وأمر خواصَّه بالسعى إلى الجامع بين يدىّ .

= « إفحام اليهود » ، لأنّه قد صرّح فى موضع لاحق ، أنه بدأ فى تدبيج كتابه ، فور إعلان إسلامه ، على يد الصاحب فخر الدين المضرى ، المذكور هنا .

(أ) فى م : عليك ذلك .

(ب) إرتاجه : انغلاقه وامتناعه .

وكان الصاحب قد تقدم إلى الخطيب ، وأمره بالتأخير والتوقُّف إلى وقت حضورى فى المسجد ، لأنّ الوقت ضاق إلى أنْ فرغ الخَياطون من خياطة الجُبَّة التى أمر الصّاحب بتفصيلها .

فسِرت إلى الجامع ، والجماعةُ فى انتظارى ، وارتفع التكبير من جماعة أهل المسجد ، حين أشرفت عليهم .

وارتجَّ المسجدُ الجامع من صلاتهم على رسول الله ، ﷺ . ثم رقى الخطيب المنبر ، ووعظ الناس القاضى صدرُ الدين ، مِلِكُ الوُعاظ ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن عبد الرحيم بنِ للْ ، وأطنب فى مدحي وإحْمادِ ما أيدّني الله به من التيقُّظِ والهداية وبالغَ فى ذلك مبالغةً تجاوزُ[أ] حدّ الوصف . وكان أكثر المجلس متعلقاً بى .

وفى عشية ذلك اليوم ، أعنى ليلة عيد النحر ، ابتدأتُ بتحرير الحجج المُفحمة لليهود ، وألَّفتها فى كتاب ، وسمَّيته بإفحام اليهود[١] .

واشتهر ذلك الكتاب ، وطار خبره ، وانتسخ منِّى فى عدّة بقاع نُسَخٌ كثيرة ، بالموصل وأعمالها ، وديار بكر ، والعراق ، وبلد العجم .

ثم أضفْتُ إليه — بعد وقت — فصولاً كثيرة[٢] من الاحتجاج على اليهود ،

(أ) فى م : تتجاوز .

(١) أى أن تاريخ تأليف الكتاب هو تاريخ إشهار إسلامه ، وهو سنة ثمان وخمسين وخمس مائه للهجرة .

وفى هذا دليل على أن السموأل قد ألّف (إفحام اليهود) أولاً ، ثم وضع رسالتيه هاتين بعد ذلك .

(٢) نفهم من ذلك أن السموأل لم يؤلف كتابه جملةً واحدة ، لكنه أضاف إليه وزاد فيه بعد أن وضعه — لأول مره — فى مراغة سنة ٥٥٨ هـ .

من التوراة ، حتى صار كتاباً بديعاً لم يُعمل فى الإسلام مثله ، فى مناظرة اليهود البتَّة .

وأمَّا المنامُ الأولُ ، والمنامُ الثانى ، فإنّى لم أذكرهما للصاحب ، ولا لغيره من أهل مراغة إلى انقضاء أربع سنين من أوان رؤيتهما .

وكان ذلك لشيئين :

أحدهما :

أنى كرهتُ أن أذكر أمراً ، لايقوم عليه البرهان ، فربما يُسْرِع[أ] خاطر من يسمعه ، إلى تكذيبه لأنَّه أمر نادر ، قليلاً[ب] ما يتفَّق[ج] ، (إذا)[د] كان العاقل يكره أنْ يُعَرض كلامه للتكذيب ، سرّاً أو علانية .

والثانـــى :

أنى كرهتُ أنْ يصل خبر المنامين إلى مَنْ يحسدنى ، فى البلاد ، على مافضلنى الله به من العلم والحُرمة ، فيجعل ذلك طريقاً إلى التشنيع علىّ ، والإزراء على مذْهَبى ، فيقول :

إن فلاناً تركَ دينَه لمنامٍ رآه ، وانخدع لأضغاث أحلام !! .

فأخفيتُ ذلك إلى أن اشتهر كتاب (إفحام اليهود) ، [**وكثرتْ نُسَخُه وَقرأهُ**[هـ] على جماعةٍ كثيرةٌ من النّاس] .

(أ) فى م : تسرع .
(ب) فى م ، والأصل ، قليل .
(جـ) فى م كلمة (مثله) زيادة .
(د) مابين القوسين زيادة لاضرورة لها ، والأفضل أن تكون العبارة هكذا ، (وكان العاقل .... الخ) .
(هـ) فى م ، والأصل ، وكثر نسخة وقراءة على جماعة كثيرة من الناس .

فلمّا تحقق الناس ، أعنى أن انتقالى من مذهب اليهود ، إنما كان بدليلٍ ، وبرهانٍ ، وحججٍ قَطعيَّةٍ عرفتُها ، وأنى كنت أخفى ذلك ولا أبوح به ، مدّةً ، مراقبةً لأبي ، وبرًّا به ، فحينئذٍ أظهرتُ قِصةَ المنامين وأوضحتُ أنهما كانا موعظةً مِن الله تعالى ، وتنبيهاً على ما يجب تقديمه ، ولا يحلّ لى تأخيره ، بسبب والدٍ أو غيره .

وكتبت كتاباً إلى أبى ، إلى (حلب) ، وأنا يومئذ بحصن كيفا ، وأوضحتُ له فى ذلك الكتاب عدةَ حجج وبراهين مما أعلم أنّه لاينكره ، ولايقدر على إبطاله ، وأخبرتُه أيضاً بخبر المنامين[١] .

فانحدر إلى (الموصل) ليلقانى ، وفاجأه مرضٌ جاءه بالموصل ، فهلك فيه[أ] .

فلْيَعْلَم – الآن – من يقرأ هذه الأوراق ، أنّ المنام لم يكن باعثاً على ترْك المذهب الأول ؛ فإنّ العاقل لايجوز أنْ ينخدع عن أحواله بالمنامات والأحْلام ، من غير برهان ولا دليل !! .

لكننى كنتُ قد عرفْتُ قبل ذلك بزمان طويل ، الحجج ، والبراهين ، والأدلَّة ، على نُبُوَّةِ سيِّدنا محمد ﷺ .

فتلك الحجج والبراهين ، هى سبب الانتقال والهداية ، وأمّا المنام فإنما كانت فائدته **الانتباه والازدجار** من التمادى فى الغفلةِ والتربُّص بإعلان كلمة الحقّ ، بعد هذا ، ارتقاباً لموتِ[ب] أبى .

فالحمد لله على الإسلام ، وكلمة الحق ، ونور الإيمان ، ونور الهداية ،

---

(١) كأنّه يدعو أباه إلى الإسلام .
(أ) فى م : به .
(ب) فى هـ : بموت .

وأسأله الإرشاد لما يُرضيه بمحمد ﷺ وآله[1] وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) ثم ذكر الناسخ بعد ذلك .

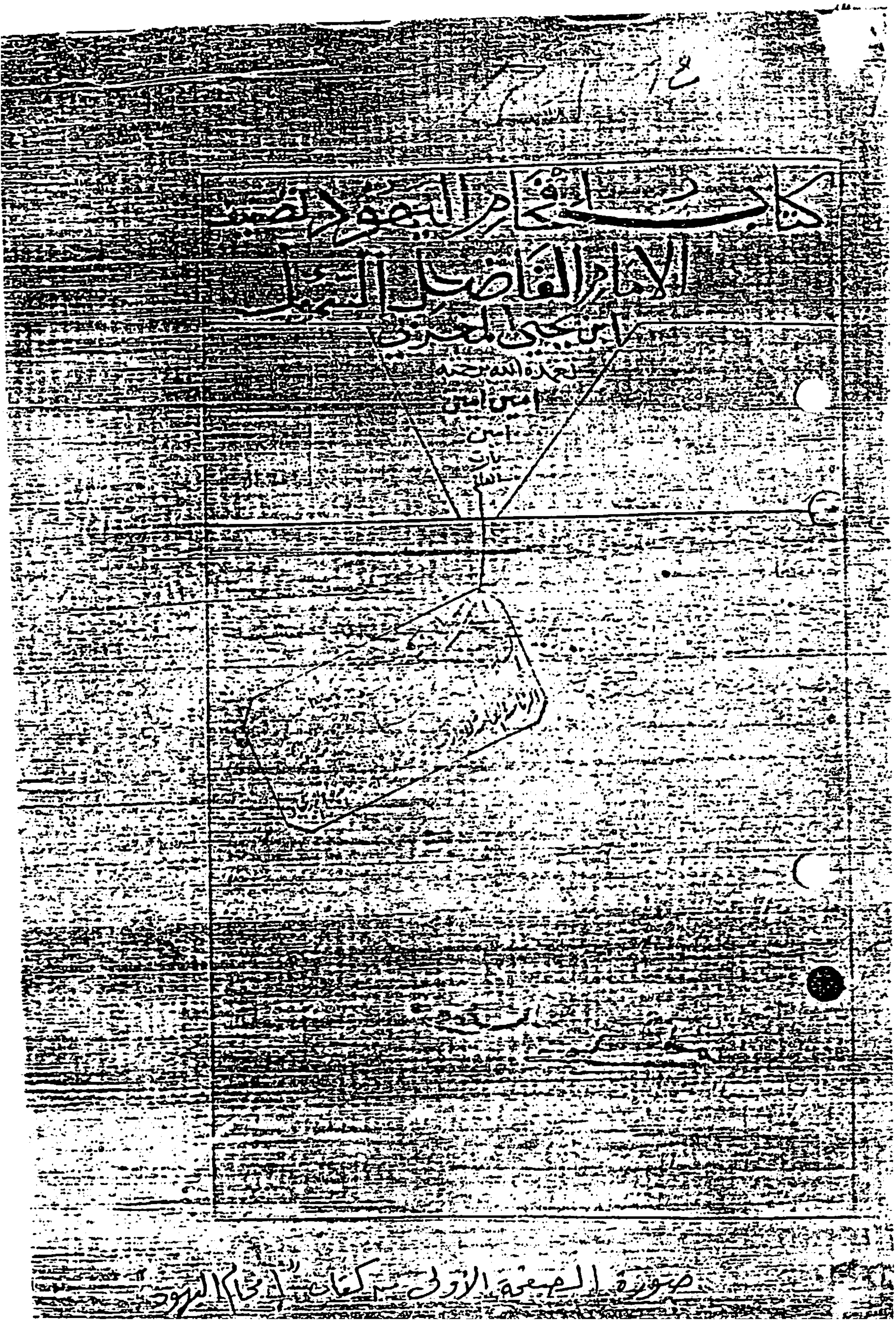
« وكان الفراغ منها فى يوم الاثنين المبارك سابع عشر شهر صفر الخير ، من شهور سنة خمسة عشر ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، والحمد لله رب العالمين .

الكتــاب الثانــى

كتاب

إفحــام اليهـــود

تحقيق : الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى



كتاب في أحكام اليهود تصنيف
الإمام الفاضل النبيل
ابن نجي المغربي
تغمده الله برحمته
آمين آمين
آمين
يارب
العالمين

صورة الصفحة الأولى من كتاب أحكام اليهود

أتوى جماعة من سائر اليهود وذكر في كتبه انه [illegible]

وخاطبهم بأنواع من المكر والخديعة [illegible]

[illegible] تقولون [illegible]

حرب ولا لقتال بل لتكونوا [illegible]

[illegible]

أو غيره من آلات الحرب ويخفيه تحت ثوابه [illegible] يهود الأعاجم وأهل

نواحي العمادية وسواد الموصل [illegible]

جمع كثير [illegible]

الخبر الذي قد ظهر [illegible]

الدما فقتل صاحب الفتنة المحتال [illegible]

[illegible]

[illegible] لكل ذي عقل [illegible] إلى الآن [illegible] يهود

العمادية ومنهم من يعتقد انه المسيح المنتظر بعينه ولقد رأيت

جماعة من يهود الأعاجم بخوي وسلماس وتبريز

ومراغة وقد جعلوا اسمه قسمهم الأعظم وأما من بالعمادية من اليهود فصار

أشد مباينة ومخالفة في جميع أمورهم لليهود من النصارى وفي تلك

الولاية جماعة منهم على دين ينسبونه إلى مناحيم المحتال المذكور

ولما وصل خبره إلى بغداد اتفق هناك شيخان من محتالي

اليهود ودهاتهم مشيختهم على أن زوروا كتبا على لسان مناحيم إلى يهود بغداد يبشرهم

بالفرج الذي كانوا قديما ينتظرونه وانه يعين لهم ليلة يطيرون فيها أجمعين

إلى بيت المقدس فانقاد اليهود البغداديون إليه مع ما يدعونه من الذكاء

ويفخرون به من الحذق انقادوا بأسرهم إلى التصديق بذلك ووهبن نساؤهم

بأموالهن وحليهن إلى ذينك الشيخين ليتصدقا به عنهن على من يستحقه بزعمهما

وصرف اليهود جل أموالهم في هذا الوجه واكتسوا ثيابا خضرا واجتمعوا في

تلك الليلة على السطوح ينتظرون الطيران بزعمهم على أجنحة الملائكة إلى

بيت المقدس وارتفع للنسوان منهم بكاء على أطفالهن المرضعين خوفا أن يطرن

قبل أولادهن أو يطير أولادهن قبلهن فتجوع الأطفال بتأخر الإرضاع عنهم وتعجب

المسلمون هناك مما اعترى اليهود حينئذ بحيث أحجموا عن معارضتهم حتى ينكشف

آثار مواعيدهم العرقوبية فما زالوا متهافتين إلى الطيران إلى أن أصبح الصباح

صورة إحدى صفحات مخطوطة إفحام اليهو

عن حد لا يليق بهم مما هم [illegible] وصل انتهاب أموال [illegible]

ثم تعدى ذلك وجه الحيلة وما تظاهروا به من طلبات لرد [illegible] فسموا ذلك

الجامع مقام المظاهرات وصاروا يجتمعون به في شيء يهولهم والثابت

وهو تاريخ البغداديين من المتهودة في هذا الزمان فكفاهم في هذا الأمر

عار [illegible] أملاً [illegible] قاصية للوطن [illegible]

[illegible] ما هو عليه ما عندهم ونعوذ بالله مما يكونون والله البراءة مما يكونون

وقد تم [illegible] هذه النسخة المباركة [illegible]

مصنفة [illegible] في أصل النسخة المنقول منها كتبه مؤلفه [illegible]

ابن يحيى المغربي في ثاني [illegible] سنة خمس

وتسعين وخمسمائة هجرية

حامداً لله على إفضاله [illegible]

[illegible] حق ذلك

والحمد لله رب العالمين

وصلواته على محمد

[illegible] وآله

[illegible]

[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة

"إفحام اليهود"

هذا كتاب بذل المجهود في افحام
اليهود الى المرحوم الفاضل
السموءل بن يحيى بن عاديا
المغربي الذى ترجمه
صاحب عيون الانبأ
في تاريخ الأطباء
وكان هذا المؤلف
من أحبار اليهود
فأسلم بسبب
رؤيته للنبي
صلى الله عليه
وسلم

قد نقل هذا الكتاب من نسخة موجودة
عند الشيخ ابي السعادات الدجاني
اليافاوي وهو نقلها من نسخة عند
مفتي يافا وقد نقلها من عند نا
خالد افندي عديل احمد باشا الشهير
فالحمد لله

تنبيه عند تمام نسخ هذا الكتاب رايت في النوم نحو
عشرة رجال من احبار اليهود وبينهم اخونا
محمد توفيق ابن السيد راغب الحردي يناظرهم
ويباحثهم في هذا الكتاب وكان سنه اذ ذاك اثني عشر
سنة وفي جانبه حضرة الاستاذ العلامة الشيخ
طاهر افندي الجزائري وكان حضرة الاستاذ
اومي اليه فوضع محمد توفيق المذكور لمناظرتهم
ضبطاً ... فغلبهم محمد توفيق واخجلهم
ثم استيقظت وانا مسرور

كاتبه ناسخ هذا
الكتاب محمد راغب
القصار

[مقدمة الكتاب]*

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّر وأعنْ يا الله .

أمَّا بعدَ حمدِ اللهِ تعالى ، على ما ألْهم (من)[أ] الهداية ، وعصم عنه من الغواية ، والصلاة والسلام على محمد ، خاتم النّبيين ، وعلى آله الطّاهرين .

فإنّ سبيلَ مَنْ فُضّل ، من العباد ، بالفَطانة والرَّشاد ، أنْ يجدَّ فى البحثِ عن أحوال المعاد ، والتأمُّل لِما أخذه عن الآباء والأجداد ، بعينِ الإمتحان والانتقاد ؛ فإنْ رآه فضيلةً ، سما لإدراكها ، وإنْ ألفاه رذيلةً ، نجا من شِراكها ؛ لِتضحى[ب] حقائبُهُ بطاناً[جـ] مِنَ الزّاد ، فإنّ هاتف الموت بالمرصاد .

ولنْ يحمد العُقْبى ، مُضَّجِعٌ فى تحصين شرعه ، وموزِّع مواقيته على ما ينقاد إليه بطبعه[1] ، ولن يظفر بضالّةِ الحق إلّا ناشدوها ، ولن يُبَهْرِجَ الأباطيل على أنفسهم ، إلّا مفسدوها[2] .

---

* العنوان من وضع المحقق .

(أ) فى م : (منه من) ، وفى الأصل : منه ، وأرى أن الأصوب ، هو ما ذكرناه .

(ب) فى م لتبقى ، وهو غير مناسب لسياق الكلام .

(جـ) أى : ممتلئة ، وفى الحديث : « تغدو خِماصاً وتروح بطاناً » .

(١) أى : متراخ سادر وراء أهوائه وغرائزه .

(٢) يعنى : لن يزين الباطل لنفسه ، إلّا مفسد نفسه .

[الغرض من تأليف الكتاب]**

والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكَلِمة ، الردُّ على أهل اللَّجاج والعناد ، وأنْ تُظْهِر ما يعتورُ كلمتَهم من الفساد .

على أنّ الأئمة – ضُوعف ثوابُهم – قد انتُدبوا – قبلى – لذلك ، وسلكوا فى مناظرة اليهود[1] ، أنواع المسالك ، إلّا أن أكثر ما نوظروا به ، يكادون لا يفهمونه ، أو لا يلْتزمونه ، وقد جعل[2] إلى إفحامهم طريقاً ، مما يتداولونه فى أيديهم ، من نصِّ تنزيلهم ، وأعماهم الله عنه ، عند تبديلهم ، ليكون حُجَّةً عليهم ، موجودةً فى أيديهم .

[فصل فى إلزامهم النَّسْخ بنص كتابهم]

وهذا أوَّل ما أُبتدِئُ به ، من إلزامهم النَّسخَ ، من نصِّ كتابهم وما تقتضيه أُصولُهم ، نقول لهم :

هل كان قبل نزول التوراة شرعٌ أم لا ؟

فإنْ جحدوا ، كُذِّبوا بما نطق به الجزءِ الثانى من السفر الأول من

** العنوان من وضع المحقق .

(١) من هؤلاء العلماء : النّظام ، والجاحظ ، والقاضى عبد الجبار ، والجوينى ... وغيرهم .

(٢) لعله يقصد : الكتاب « إفحام اليهود » أو المؤلف ، ويصح أن يكون الله تعالى هو الذى جعل .... الخ .

التوراة ؛ إذْ شرع الله تعالى على نوح – عليه السلام – القِصاص فى القتل ، ذلك قوله :

« شوفيخ دام هاأدام دامـو يشافيخ كى بصلم ألوهيم عاما إث هاأدام » .

تفسيره :

« سَافِكُ دم الإنسان ، فلْيُحكَمْ بسفك دمه ، لأنّ الله تعالى[أ] خلق الآدميَّ بصورةٍ شريفة »[١] .

وبما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة ، إذ شرع الله على إبراهيم – عليه السلام – ختانةَ المولود[٢] فى اليوم الثامن من ميلاده ، وهذه وأمثالُها شرائع ؛ لأنّ الشرعَ : لا يخرج عن كونه : أمراً أو نهياً من الله تعالى لعباده ، سواءٌ نزل على لسان رسولٍ[ب] ،أو كُتب فى أسفارٍ ، أو ألواحٍ أو غير ذلك . فإذا أقَرّوا بأنْ قد كان شرعٌ .

قلنا لهم : ما تقولون فى التوراة ، هل أُتت بزيادةٍ على تلك الشرائع أم لا ؟ .

(أ) تسقط نسخة (برلمان) لفظ تعالى دائماً .

(١) جاء فى الإصحاح التاسع من سفر التكوين : ٦

« سافك دم الإنسان ، بالإنسان ، ما يُسفَك دمه ، لأن الله على صورته ، عمل الإنسان » .

(طبعة البروتستانت بالقاهرة ، ص ١٤)

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح السابع عشر ، ١٠ – ١٤

« يُختَنُ منكم كل ذكر ، فتختتنون فى لحم غُرلتِكم ، فيكون علامة عهد بينى وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم ... الخ » .

هذا ، ولقد أفاد (القرافى) عند الحديث عن النّسخ من كتاب السموأل هذا ، وإنْ لم يصرِّح به ، كعادة المؤلفين فى الجدل ضد أهل الكتاب .

(ب) فى م : رسول الله .

فَإنْ لم تكن أتتْ بزيادةٍ فقد صارت عبثاً ، إذْ لا زيادة فيها على ما تقدم ، ولم تغن شيئاً ، فلا يجوز أنْ تكون صادرةً عن الله تعالى ، فيلزمكم أنّ التوراة ليستْ مِنْ عند الله تعالى ، وذلك كُفرٌ على مذهبكم ، وإنْ كانت التوراةُ أتت بزيادةٍ ، فهل فى تلك الزيادة تحريم ما كان مباحاً أم لا ؟ .

فإنْ أنكروا ذلك بطل قولُهم مِنْ وجهين :

أحدهما : أنَّ التوراةَ حرَّمتْ الأعمال الصناعية فى يوم السبت بعد أنْ كان ذلك مباحاً ، وهذا بعينهِ [هو] النسخ .

والثانى : أنّه لا معنى للزيادة فى الشرع إلّا تحريم ما تقدمت إباحته ، أو إباحةُ ما تقدم تحريمَهَ .

فإن قالوا : إن الحكيم لا يَحْظُر شيئاً ثم يُبيحه ؛ لأنَّ ذلك إنْ جاز مثله ، كان كمنْ أمر بشيءٍ وضِدِّه .

فالجواب :

أنّ منْ أمر بشيءٍ وضدِّه ، فى زمانين مختلفين ، غيرُ مناقضٍ بين[أ] أوامره ، وإنما يكون كذلك لو كان الأَمْران فى وقت واحد .

فإنْ قالوا : إنّ التوارةَ حظرت أموراً كانت مباحة من قبل ، ولم تأت بإباحَةِ محظور ، والنّسخُ المكروهُ : هو إباحة المحظور ؛ لأنّ من أُبيح له شيءٌ فامتنع عنه ، وحظَرَه على نفسه فليس بمخالف وإنّما المخالفُ : مَنْ مُنِع من شيءٍ فأتاه ؛ لاستباحته المحظور .

(أ) فى م : من ، وهو لا يناسب السياق .

فالجواب :

إنّ مَنْ أحَلّ ما حظره الشرع ، فى طبقةِ المحّرم لما أحَلّهُ الشّرعُ ؛ إذْ كلّ منهما قد خالف المشروع ، ولم يقر الكلمة على معاهدها ، فإنْ جاز أن يأتى شرعُ التوراةِ بتحريم ما كان إبراهيم عليه السلام ومَنْ تقدّمَه ، على استباحته ، فجائزٌ أنْ تأتى شريعةٌ أخرى بتحليل ما كان فى التوراة محظوراً ، وأيضاً فلا تخلو المحظورات مِن أن يكون تحريمها مُفْترضاً فى كل الأزمنة ؛ لأنّ الله تعالى يكره ذلك المحظور لعَيْنه ، [وإمّا أن لا يكرهه الله لعينه][أ] بل ينهى عنه فى بعض الأزمنةِ ، فإنْ كان الله تعالى ينهى عن عمل الصناعات فى يوم السبت ، لعين السبت[ب]، فينبغى أن يكون هذا التحريم على إبراهيم ونوح وآدم أيضاً ؛ لأنّ عيْنَ السّبت كانت موجودة[جـ] أيضاً فى زمانهم ؛ وهى عِلّةُ التحريم . وإنْ[د] كان ذلك غير مُحرَّم على إبراهيم ومَنْ تقدّمَه ، فليس النّهْىُ عنه لِعَيْنِهِ أعنى : فى جميع أوقات وجود عَيْنِهِ . وإذا لزمكم أنّ تحريم الأعمال الصناعية ، فى يوم السبت ، ليس بمحرَّمٍ[هـ] فى جميع وجود أوقات[و] السبت فليس بممتنع أنْ يُنْسخَ هذا التحريمُ ، فى زمانٍ آخر ، وإذا ظهر قائمٌ بمعجزاتِ الرّسالةِ وأعْلامِ النُّبوّةِ ، فى زمنٍ آخر ، بعد فترةٍ طويلةٍ ، فجائزٌ أنْ يأتي بِنَسْخ كثيرٍ من أحكام الشريعة سواءٌ حظر مُباحاتها أو أباح محظوراتها ! (٢أ) وكيف يجوز أنْ يُحاجّ من جاء بالبيِّنة باعتراض فيما وَرَدَ به مِن أمْرٍ ونهى ، سواءٌ وافق العقولَ البشريةَ أو باينها ، ولاسِيَّما أنّ الخصومَ[١]

(أ) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، مذكورة فى : م ، ولا يستقيم الكلام بدونها .
(ب) لعين السّبت ، سقطت من : م ؛ ولا يستقيم السياق إلا بها .
(جـ) فى : م « كان أيضا موجوداً » .
(د) فى : م (إذ) .
(هـ) فى : م : بتحريم ، وهو لا يصوغ .
(و) فى : م (أوان) .
(١) يقصد اليهود .

قد طال ما تُعُبِّدوا بفرائِضَ مباينةٍ للعقول ؛ كطهارةِ أنجاسهم برماد البقرة ، التى كان الإمام الهاروني يحرقُها قبيل أوان الحج ، ونجاسةِ طاهرهم بذلك الرماد بعينهِ ، على أنّ الذى يروم تنزيلَه منزلة هذا ، أقرب كثيراً إلى العقل ، فإنّ الأفعال والأوامر الإلَهيَّة مُنَزَّهةٌ عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية ، وإذا كانت التعُّبدات الشرعيةُ غيرَ عائِدةٍ بنفعٍ لله ، عزّ وجلّ ، ولا دافعة عنه ضرراً ؛ لتنزُّههِ سبحانه وتعالى عن الانتفاع والتأذِّى بشيءٍ ، فما الذى يُحيلُ أو يمنعُ كونه تعالى يأمر أُمّةً بشريعةٍ ، ثُمّ ينهى أمةً أخرى عنها ، ويحرِّم محظوراً على قوم ، ويحِلهُ لأولادهم ، ثمّ يحظرهُ ثانياً على من يجيء من بعد ؟ وكيف يجوز للمتعبِّد ، أنْ يعارِضَ الرسولَ فى تحليلِهِ ما كان حراماً على قوم ؟ ويستدِل بذلك على كذبه بعد أنْ جاء بالبيِّنة ، وأوجب العقلُ تصديقَه وتحكيمه ؟ أليس هذا تحكُّماً ؟ وضلالاً وعُدُولاً عن الحق ؟!! .

إفْحَامُ اليهود والنّصارى بالحُجَّة العقلية ، وإلزامهم الإسلام

لا يسع عاقلاً أن يكذب نبياً ذا دَعْوةٍ شائِعةٍ ، وكلمةٍ قائِمةٍ ، ويُصدِّق غيْرَه ؛ لأنّه لم ير أحدَهمَا ، ولا شاهد معجزاته ، فإذا اختصّ أحدهما بالتصديق والآخر بالتكذيب ، فقد تعيَّن عليه الملامُ والإزراءُ عَقْلاً .

ولنضْرِبْ لذلك مثالاً : وهو أنّا إذا سَألنا يهودياً عن موسى – عليه السلام – وهل رآه وعاين معجزاته ؟ فهو – بالضرورة – يُقِرُّ بأنّه لم يشاهدْ شيئاً من ذلك عِيَاناً ، فنقول له :

بماذا عرفْتَ نُبُوَّةَ موسى وصِدقَه ؟! .

فإن قال : إنّ التواتُر قد حقَّق ذلك ، وشهادات الأُمم بِصِحته ، دليلٌ ثابت فى العقل ، كما قد ثبت عقلاً ، وجودُ بلادٍ وأنهارٍ لم تشاهدها وإنّما تحقَّقْنا وجودها بتواتر الأَنْباءِ والأخبار !! .

قلنا : إن هذا التواتر موجودٌ لمحمدٍ وعيسى عليهما السلام[أ] ، كما هو موجودٌ لموسى ، فيلزمُك التصديقُ بهما .

وإنْ قال اليهوديُّ : إنّ شهادة أبى عندى بنبُّوةِ موسى ، هى سببُ تصديقى بِنُبُوَّته .

قلنا له : ولِمَ كان أبوك عندك صادقاً فى ذلك ، معصوماً عن الكذب ، وأنت ترى الكفار[1] أيضاً يِعلّمهم أباؤهم ما هو كفر عندك ؟ .

(أ) عليهما السلام ، أسقطتها (م) .

(١) يقصد غير اليهود ، من مسلمين ونصارى ، وهو من باب مجاراة الخصم .

– إمّا تعصُّباً مِنْ أحدهم لدينه ، وكراهيةً لمباينة طائفته ، ومفارقة قومه وعشيرته .

– وإمّا لأنّ أباه وأشياخه نقلوه إليه ، فتلقّنهُ منهم ، معتقِداً فيه الهدايةَ والنّجاةَ ، فإذا كنت يا هذا ، قد ترى جميع المذاهب التى تكفرها(أ) ، قد أخذها أربابها عن آبائهم ، كأخْذِكَ مذهبَكَ عن أبيك ، وكنت عالماً أنّما هُمْ عليه ضلال وجهل ، فيلزمك أن تبحث عمّا أخذْتَه عن أبيك ، خوفاً مِنْ أنْ تكون هذه حالته .

فإن قال : إنّ الذى أخذتُه عن (٢ب) أبى ، أصحُّ مما أخذه الناس عن آبائهم ، لزمه أنْ يقيم البرهان على نُبُوَّةِ موسى من غير تقليدٍ لأبيه ؛ لأنّه قد ادّعى صحة ذلك ، بغير تقليد ، وإن زعم أنّ العلّة فى صحة ما نقله عن أبيه ، أنّ أباه ، يَرْجُح على آباء الناس بالصِّدق والمعرفة ، كما تدّعى اليهودُ فى حق آبائها ، لزِمَهُ أن يأتى بالدليل ، على أنّ أباه كان أعقل من سائر أباء النّاس ، وأفضل ، فإنْ هو ادّعى ذلك كَذَب فيه ؛ لأن مَنْ هذه صفته – يجب أن يُسْتَدَلَّ على فضائله بآثاره(ب) ، وقولُ اليهودِ باطلٌ ؛ بأنّه ليس لهم من الآثار فى العالم ، ما لغيرهم مثله ، بل على الحقيقة ، لا ذِكْرَ لهم بين الأمم الذين استخرجوا العلوم الدقيقة ودوَّنوها لمن يأتى بعدهم ، وجميع ما نُسِبَ إليهم من العلوم – مع ما استفادوه من علوم غيرهم – لا يضاهى بعض الفنون الحكميَّة ، التى استخرجها حكماء اليونان ، والعلوم التى استنبطتها النّبط . وأمّا تصانيفُ المسلمين ، فيستحيل – لكثرتها – أن يقف أحدٌ من النّاس على جميعً ما صنَّفوه فى أحد الفنون العلمية ، لسعته وكثرته . وإذا كان هذا موقعُهم من الأمم ، فقد بطل قولهم : إن آبائهم أعقلُ الناس ، وأفضلَهم وأحكمهم ، ولهم أسوة بسائر آباء الناس المماثلين لهم من

(أ) فى م : تكفر بها ، وهو أصح .

(ب) فى : م ، (بإفساده) وهو خطأ فاحش !! .

ولد سام بن نوح ، عليهما السلام . فإذا أقرّوا بتأسّى آبائهم ، بآباء غيرهم ، فقد لقّنوهم الكفر ، ولزمهم أنّ شهادة الآباء ، لا تَجوز أنْ تكون حجةً فى صحة الدّين ، فلا تبقى لهم حجة بِنُبُوَّة موسى إلّا شهادةُ التواتر ، وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد ، عليهما السلام ، كوجوده لموسى ، وإذا كانوا قد آمنوا بموسى بشهادة التواتر بِنُبُوَّته ، فقد لزمهم التصديق بنبوة المسيح والمصطفى ، صلى الله عليهما وسلم .

وجه آخر فى إثبات النّسخ بأصولهم*

نقول لهم : هل أنتم – اليوم – على مِلّة موسى عليه السلام ؟ فإن قالوا : نعم . قلنا لهم : أليس فى التوراة أنّ مَنْ مَسَّ عَظْماً ، أو وطىءَ قبراً ، أو حضر مَيْتاً عند موته ، فإنّه يصير من النّجاسة فى حالٍ لا مخرج له منها إلّا برماد البقرة ، التى كان الإمامُ الهارونىُّ يحرقها ؟! فلا يمكنهم مخالفة ذلك ؛ لأنه نصٌّ ما يتداولونه !! .

فنقول لهم : فهل أنتم اليوم على ذلك ؟ .

فيقولون : لا نقدر عليه[أ] .

فنقول لهم : فلِمَ جعلتم أنّ مَنْ لمَسَ العظْمَ والقَبْر والميت ، فهو طاهرٌ يصلح للصّلاة ، وحَمْلِ المصحف ، والذى فى كتابكم بخلافه ؟ .

أمّا إنْ قالوا : لأنّا عَدِمْنا أسبابَ الطّهارة وهى : رمادُ البقرة والإمامُ المطهِّر المستغْفِر ! .

---

* كان الأولى أن يجىء هذا الفصل قبل الذى سبقه ، لوحدة الموضوع – النسخ – وعدم الفصل بين الأفكار المتماثلة .

(أ) من قوله : فنقول لهم : فهل أنتم ... إلى قوله : لا نقدر عليه ، سقطت من : م

قلنا : فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله ، مِمّا تستغْنون فى الطهارة عنه أم لا ؟! **فإن قالوا** : نعم قد نستغنى عنه ، فقد أقرُّوا بالنَّسخ لتلك الفريضة ، لحالِ اقتضاها هذا الزمان ، **وإن قالوا** : لا نَسْتَغْنى فى الطّهارة عن ذلك الطُّهور ، فقد أقرّوا بأنهم الأنجاسُ أبداً ماداموا لا يقدِرون على سبب الطهارة !![1] .

فنقول لهم : فإذا كنتم أنجاساً – على رأيكم وأصولكم – فما بالكم تعتزلون الحائض ، بعد انقطاع الحيض وارتفاعه ، سبعة أيام اعتزالاً تُفرطُون فيه ، إلى حد أنَّ أحدكم لو لمس ثوبُه ثوبَ المرأة ، لاستنجستموه (٣أ) مع ثوبه[2] ؟!! .

فإن قالوا : لأنَّ ذلك من أحكام التوراة ! .

قلنا : أليس فى التوراة أنّ ذلك يراد به الطهارة ؟! فإذا كانت الطهارةُ قد فاتتكم ، والنجاسة التى أنتم فيها[أ] – على معتقدكم – لا ترتفعُ بالغُسْل ، كنجاسة الحيْض ، فهى لذلك[ب] أشد من نجاسة الحيض ، ثم إنكم ترون أنّ الحائض طاهرة إذا كانت على غير ملّتكم ، ولا تستنْجسون لامِسهَا ، ولا الثوبَ الذى تلمسه . **وتخصيصَ هذا الأمر ، أعنى نجاسة الحيض بطائفتكم ، مما ليس فى التوراة ، فهذا كلّه منكم نَسْخٌ أو تبديل !!** .

فإن قالوا :

إنّ هذا ، وإنْ كان النّصُّ ، غيرَ ناطقٍ به ، فقد جاء فى الفقه !! .

---

(١) لله درُّ السّموأل !! فقد ألزم وأفحم ، وقد نقل عنه هذا القرافى الصنهاجى فى : الأجوبة الفاخرة ، وابن القيم فى : هداية الحيارى .

(٢) فى شأن الحائض ونجاستها عند يهود ، انظر : سفر اللّاويين ، الإصحاح (١٥ – ١٩ : ٢٤) .

(أ) فى : م : هى ، زيادة .

(ب) فى : م : كذلك .

قلنا لهم :

فما تقولون فى فقهائكم : هل الذى اختلفوا فيه من مسائل الخلاف والمذاهب ، على كثرتها لديكم ، كانت ثمرة اجتهاد واستدلال أو منقولاً بعينه ؟ .

فهم يقولون : إنّ جميع ما فى كتب فقهنا ، نقله الفقهاءُ عن الأحبار ، عن الثقات من السلف عن يهوشع بنُ نون[1] ، عن موسى الكليم ، عليهما السلام ، عن الله تعالى !! .

فيلزمكم فى هذا أنّ المسألة الواحدة ، التى اختلف فيها اثنان من فقهائكم ، يكون كل واحد منهما ، ينقل مذهبه فيها نقلاً مسنداً إلى الله عز وجل ! .

وفى ذلك من الشّناعة اللّازمة لهم ، أنْ يجعلوا الله قد أمر فى تلك المسألة بشىء وخلافِه !! ، وهو النَّسْخُ الذى يدفعونه بعينه !! .

فإن قالوا : إنّ هذا الخلاف غير مستعمل ؛ لأنّ الأوّلين كانوا بعد اختلافهم فى المذهب ، فى المسألة يرجعون بها إلى إصلٍ واحد ، هو المقطوع به .

قلنا : إنّ رجوعهم بعد الاختلاف ، إلى الاتفاق على مذهب واحد ، إمّا لأن أحدهم رجع عما نقل ، أو طُعِن فى نقله ، فيلزمه السقوط عن العدالة ،

---

(١) يكتب يَهُو شَعْ ، ويوشَعْ ، ويشوع ، وهو خادم موسى عليه السلام ، واصطفاه الله نبيّا بعد موسى صلى الله عليه وسلم ، جاء فى سفر يشوع ، الإصحاح الأول ، الفقرة الأولى وما بعدها :

« وكان بعد موت موسى ، عبد الرب ، أنّ الرّب كلّم يشوع بن نون ، خادم موسى ، قائلاً : فالآن قُم واعبر هذا الأردن أنت وكل الشّعب .... الخ » فهو الذى قادهم إلى دخول الأرض المباركة .

وسيأتى لنا تعليق مُفصّل ، نوضح فيه ، إن شاء الله ، نشأة كتب الفقه والشروح الحاخامية اليهودية وأهميتها لديهم .

ولا يجوز لكم أن تعاودوا الالتفات إلى نقله .

وإمّا أنْ يكون الفقهاء اجتمعوا على نسخ أحد المذهبين ، أو تكون رواية أحدهما ناسخةً لرواية الآخر .

وما مِنَ الفقهاء إلّا مَنْ ألغى مذهبه فى مسائل كثيرة ، وهذا جُنونٌ مِمَّنْ لا يقرُّ بالنَّسْخ ، ولا يرى كلامَ أصحابِ الخلاف اجتهاداً ونظراً ؛ بل نَقْلاً محْضاً !![1] .

إلزامهـم النّسـخ بوجـه آخـر

نقول لهم :

ما تقولون فى صلواتكم وأصوامِكم ؟

فهل هى التى فارقكم عليها موسى ، صلى الله عليه وسلم ؟ فإن قالوا : نعم !! .

قلنا :

فهل كان موسى – عليه السلام – وأُمَّته يقولون فى صلواتهم ، كما تقولون ؟

« نقاع شوفار كادول تحيُرو تيئنُو وسانيس لَقَنُو حينوا وَقُبَّعَنُو بأحد مله

---

(١) قارن هذا بما كتبه سعد بن منصور بن كمونة الكاتب اليهودى ، فى « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » ص ٤٥ وما بعدها ، من نشرة (Moshe Perlmonn) كاليفورنيا ، ١٩٦٧ م وهذا الكتاب – كما ذكرنا – يحاول نقض كتاب السّموأل فى أكثر من موضع ، وقد وضعه مؤلفه اليهودى المتعصب بعد تأليف السّموأل (إفحام اليهود) بحوالى مائة سنة فقط .

رباع كنفوت هاأرض إن نوى قد شيخا باروخ » .

تفسيره : « اللّهم ، اضرب ببوقٍ عظيم لعتقنا ، واقبضنا جميعاً من أقطار الأرض إلى قُدسك ؛ سبحانك ، يا جامعَ تشتيتِ قومه إسرائيل »[1] .

---

(١) أهم ما فى هذه المسألة هو الربط بين صلاة اليهود ، وبين « الوعد » بالعودة إلى أورشليم ، والاستيلاء على « الجويم » = الأميين أو الغرباء ، وهذا واضح من النّص الذى ساقه السّموأل ، ومن نصوص كثيرة غيره ، (انظر كتاب الصّلاة والسّبت والأعياد ، الصادر عن شركة النشر العبرية) .

ولقد اهتم مؤلف كتاب : التوراة ، تاريخها وغاياتها ، وهو عالم لاهوتى أمريكى ، وترجمه : سهيل ديب ، ونشرته دار النفائس ، اهتم بهذه المسألة ، وقال نقلاً عن كتاب (الصلاة والسبت والأعياد) :

« إنّ صلاة اليهود الأكثر ترداداً اليوم هى التالية :

فليتمجّد ويتقدّس اسم الرب العظيم فى كل العالم الذى خلقه حسْب مشيئته وليتحقّق ملكه أثناء حياتكم وخلال أيامكم وأثناء حياة كل بنى إسرائيل ، بسرعة ، وفى القريب العاجل ، آمين » .

والمملكة المقصودة هى مملكة يهوه إله إسرائيل .

وإن الموسوعة العبرية – The Feewish Encyclopaedia [نشرت فى الولايات المتحدة ١٩٠٣ – ١٩٠٥] – لتؤكد مسألة « الوعد » هذه ، التى يرددها اليهود فى صلواتهم ، ولم تكن على عهد موسى عليه السلام ، أو خليفته يوشع بن نون ، فتقول تحت مادة : Eschatology : « إن تحطيم جيوش يأجوج ومأجوج ، لا يعنى – كما قال ويبر خطأً – إبادة عالم الجويم ، عند انتهاء عهد المسيح المنتظر ؛ بل إفناء كل سلطة وبلد تعارض مُلْكَ (يهوه) ... والشعوب التى ستخضع عندئذ للشريعة (يقصد شريعة التلمود) ستبقى على قيد الحياة ... أمّا الأرض المقدسة نفسها ، فلن يسكن فيها أحد من الغرباء » انظر : التوراة ، تاريخها وغاياتها ص ٤٣ وجاء فى سفر أشعيا (٦٠ : ٢٠) :

« لا تغرب شمسك من بعد ، وقمرك لا ينقص (يقصد مملكة إسرائيل) لأن الرب يكون لك نوراً أبدياً ، وتكون أيام مناحتك قد انقضت ، ويكون شعبك كلهم صِدّيقين ، وإلى الأبد ، يرثون الأرض » .

وفى سفر دانيال عن (نبوءة الوعد) وما يفعله (يهوه) بالغرباء أو الجويم انظر : الإصحاح الثامن : ١٩ ، وانظر : سفر زكريا : ١٤ : ١٢ . =

أم هل كانوا يقولون على عهد موسى عليه السلام كما تقولون فى كل يوم :
« هاشيب شو فطينوا كبار يشؤنا ويوعصينوا كبتحلا وَانْبى إتْ يروشالام عين قدُ سْخَا بحيدنوا وناحمينُوا بنياناه بَارُوخ انّا أذوناى بوُى برشالايم » .

تفسيره (٣ب) :

« أَرْدُدْ حكامنا كالأَوّلين ، ومشيرينا كالابتداء ، وابْن يَرُوشَلِيم ، قَرْية قُدْسِك فى أيّامنا ، وعِزّنا ببنائها ، سبحانك ، ياباني يروشليم !. » .

أم هذه فصول شاهدةٌ بأنكم لفّقتموها بعد زوال الدولة ؟! .

وأمّا صومُ إحراق بيتِ المقدس ، وصومُ حصاره ، وصومُ كدليا ، التى جعلتموها فرضاً ، هل كان موسى [عليه السلام] يصومها ، أو أمر بها هو ، أو خليفته يوشع بن نون ؟! .

أو صومُ صلْبِ هامان ؟[1] .

هل هذه الأمور مفترضة فى التوراة ، أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها ، فى هذه الأعصار ؟ .

= « وليس العدول والانصراف عمّا كان عليه موسى عليه السلام وخليفته يوشع بن نون ، فى الأدعية فحسْب ؛ بل وقع تغيير وتطوير فى أشكال وطقوس العبادة نفسها ، مما يُعَدُّ نَسْخاً مُلْزِماً لهم » .

انظر : الدراسة الجيدة التى كتبها الباحث اليهودى : نفتالى فيدر ، ونشرت بالعبرية ، فى أكسفورد عام ١٩٤٧ م ونقلها إلى العربية الدكتور : محمد سالم الجرح بعنوان : (التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية) نشر القاهرة ١٩٦٥ . وانظر : إسرائيل فى الكتاب المقدس . بقلم مجموعة من أساتذة اللاهوت ، ترجمة حسنى خشبة ١٩٧٢ م مصر .

(١) هامان وزير فرعون وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم (سورة غافر : آية ٣٤) .

فإن قالوا : فكيف يلزمنا النسخَ ، بهذا[أ] الأمر ؟ .

قلنا : لأن التوراة نطقت بهذه الآية :

« لُوثوا سَيفُو على هدابار اشيرا نوخى فعوى اثحنيم وَلْو نغير عوممينو » .

[تفسيره] : « لا تزيدوا على الأمر الذى أنا مُوصيكمْ به شيئاً ، ولا تنقصوا منه شيئاً » .

وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد[ب] **نَسَخْتُم تلك الآية !!** .

إثبات النّسخ على وجه آخر

نقول لهم :

أليس عندكم أنّ الله اختار من بنى إسرائيل الأبكارَ ، ليكونوا خواصٌّ فى الخدمة للأقداس[1] ؟ .

فيقولون : بلى .

فنقول لهم :

أليس عندكم أيضا أن موسى [عليه السلام] لمَّا نزل من الجبل وبيده الألواح ، ووجد القوم عاكفين على العجل[2] ، وقف بطرف المعسكر ونادى :

(أ) فى م : هذا .

(ب) فى م : سقطت كلمة (فقد) .

(١) فى موضوع تقديس البكور عند إسرائيل . انظر : سفر الخروج ١٣ - ١ ، سفر العدد (٣ - ١١ : ١٣) .

(٢) يتحدث القرآن الكريم بتفصيل عن هذه الواقعة الإجرامية الخبيثة ، يقول عز من قائل : =

= ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبيّنات ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ..... الآيات ﴾ [البقرة : ٩٢ : ٩٣] .

﴿ وإذْ واعدنا موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٥١] .

واقرأ الآيات ١٥٣ من سورة النساء ، ١٥٨ من سورة الأعراف ، ٨٥ – ٩١ من سورة طه .

والقرآن الكريم يشير إشارة مُعْجِزةً إلى أن (عبادة العجل) أو (عبادة الأوثان والأصنام) عند اليهود ، قضية راسخة فى وجدانهم وضمائرهم ، وقد ظهر ذلك فى تاريخ أجيالهم الواقعى – بعد ذلك .

يقول الله عز وجل :

﴿ وأُشْرِبُوا فى قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ، قُلْ : بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إيمانُكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين ﴾ [البقرة : ٩٣] .

وجاء فى سفر الملوك الأول (١١ : ٢٣) يخاطب الرب سليمان بن داوود ، عليهما السلام قائلاً عن بنى إسرائيل : « .. لأنهم تركونى وسجدوا لعشتروت إلآهة الصِّيدونيين ، ولكَمُوش إلَه المؤابيين ، ولملكوم إلَه بنى عمُّون ... الخ » .

وكذلك فإنّ الأسفار التى بأيدى اليهود تذكر أن يرْبعام ملك إسرائيل الذى أيّدته إسرائيل ضد خليفة النبى سليمان وابنه « قد عمل (يربعام) ملك إسرائيل – عِجْلَىْ ذهب وقال لهم : كثير علىَّ أن تصعدوا إلى أورشليم هوَ ذا آلِهَتُكِ يا إسرائيل ... ووضع واحداً فى بيت إيل ، والآخر فى وان ... وعمل يربعام عيداً وأصْعَدَ للذبح » .

سفر الملوك الأول ١٢ – ٢٥ : ٣٣ .

وتحكي الأسفار أن اليهود قد استجابوا له ، وآزروه !!! ومن المدهش حقاً ، أن التوراة التى بأيدى اليهود والنصارى اليوم ، تنسب إلى نبى الله هارون عليه السلام ، صناعة العجل الوثن لبنى إسرائيل ، فتقول :

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأنّ هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر ، لا نعلم ماذا أصابه ؟!!!

فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، =

من كان لله فليحضُرْنى .

فانضمّ إليه بنو لِيوى ، ولم ينضم إليه البكور ، على أن مناداته ، وإنْ كان لفظُها يقتضى العموم ، لم يكن أشار بها إلّا إلى البكور ، إذْ هم خاصّةُ اللّٰه يومئذٍ ، دون أولاد ليوى ، فلمّا خذله البكور ، ونصره أولاد ليوى ، قال اللّٰه لموسى :

= وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالأزميل ، وصنعه عجلاً مسبوكاً ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصْعَدَتْكَ من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذْبحاً أمامه ، ونادى هارون وقال : غداً عيد للرب » .

(سفر الخروج - ٢٣ : ١ - ٦)

يتهم اليهود نبيهم الكريم ، بهذه التهمة النكراء ، بينما يبرئه القرآن الكريم ، ويذكر أن (السّامرىّ) هو الذى صنع لهم عجلاً جسداً له خُوار (سورة طه : ٨٥ - ٩١) وقد نهاهم هارون ونصحهم ودعاهم بدعوة اللّٰه عز وجل ، لكنهم ﴿ قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ وقد نسبوا النقائض ، ووجّهوا التهم إلى رسل اللّٰه الكرام : نوح ، ولوط ، وإبراهيم ، ويعقوب ، وداوود ، وسليمان ، وموسى وهارون ، ويظهر أن (الوثنية) رغبةٌ حميمة فى الوجدان اليهودى ، فما كادوا يعبرون البحر مع موسى عليه السلام ، حتى رأوا قوماً يعكفون على عبادة (تماثيل) لهم فطالبوه بأصنام يعبدونها ﴿ وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكُفون على أصنامٍ لهم قالوا : يا موسى اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون ﴾ [الأعراف : ١٣٨] وحقاً إنهم قوم يجهلون !!! .

انظر : للمؤلف اليهودى جورج فايدا : « مقدمة للفكر اليهودى فى العصر الوسيط » نقلها للعربية د. على سامى النشار وعباس الشربينى ص ٤٠ وما بعدها من كتاب المترجمين « الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية » الطبعة الثانية ١٩٧٢ م الإسكندرية .

وانظر : ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٣٧ ، ٣٤٦ .

وانظر للباحث الفرنسى بول ماسون أورسيل : « الفلسفة فى الشرق » ترجمة محمد يوسف موسى ص ٤٠ - ٤١ ، ٧٠ - ٧١ المعارف بمصر ١٩٤٥ م .

وانظر لنا : « النبّوة والأنبياء فى التوراة والقرآن » ، و« خصائص النفسية اليهودية فى التوراة والإنجيل والقرآن » .

« وإقّاح إث هَلْويم تاحَتْ كل بخور ببنى يْسرايل » .

تفسيره : وقد أخذت الليوانيين ، عوضا عن كل بكر فى بنى إسرائيل .

وفى عقيب نزول هذه الآية ، أليس أنّ الله عزل الأبكار عن ولاية الاختصاص ، وأخذ أولاد ليوى عِوَضاً عنهم ؟ .

فهم لا يقدرون على إنكار ذلك ، وهذا يلزمهم منه القول بالبَداءِ أو النّسخ .

إلزامهــم نُبــوَّةَ المسيــح صلى الله عليه وسلم

نقول لهم :

أليس فى التّوراة التى فى أيديكم :

« لوياسور شبيط ميهودا ومحط قيومبين رغلاف » .

تفسيره :

« لا يزول الملكُ من آلِ يهوذا ، والراسِمُ بين ظهرانيهم إلى أنْ يأتى المسيح » .

ولايقدرون على جحده !! .

فنقول لهم :

أفما علمتم أنكم كنتم أصحاب دولةٍ ومُلْكٍ ، إلى ظهور المسيح ، [عليه السلام] ، ثم انقضى مُلككم ؟! فإنْ لم يكن لكم اليوم مُلْكٌ ، فقد لزمكم من التوراة ، أنّ المسيح قد أرسل ! .

وأيضا فإنّا نقول لهم :

أليس منذ بُعث المسيح – عليه السلام – استولت ملوك الروم[1] على اليهود وبيت المقدس (٤ أ) ، وانْقَضَتْ دولتهم ، وتفرَّق شملُهم ؟! .

فلا يقدرون على جحد ذلك إلّا بالبهتان ويلزمهم على أصلهم الذى فى التوراة ، أنّ عيسى بن مريم ، [عليه السلام] ، **هو المسيح الذى كانوا ينتظرونه** .

إلزامهم نُبُوَّتَه° ونُبُـوَّةَ المصطفى عليهما السلام

نقول لهم :

ماتقولون فى عيسى بن مريم ؟

فيقولون :

وَلَدُ يوسف النجار سفاحاً[2] !!! كان قد عرف اسم الله الأعظم يسخِّر به كثيراً من الأشياء[3]!!! .

فنقول لهم :

أليس عندكم – فى أصح نقلكم – أنّ موسى عليه السلام ، قد أطلعه الله

---

(١) خضع اليهود للرومان سنة ٣٩ ق.م. فى عهد الحاكم هيرودس والامبراطور الرومانى أغسطس قيصر . انظر : « مصادر التاريخ الرومانى » للدكتور عبد اللطيف أحمد على ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

° يقصد نُبُوَّة عيسى عليه السلام .

(٢) هذا دأْبهم مع رسل الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم .

(٣) فكرة الإحاطة باسم الله الأعظم وتسخير الأشياء به ، فكرة يهودية ، انتقلت إلى النصرانية وانتحلها غلاةُ الباطنية والمتفلسفة من الصوفية .=

على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفاً ، وبه شقَّ البحر وعمل المعجزات[1] ؟!! فلا يقدرون على إنكار ذلك .

فنقول لهم :

فإذا كان موسى – أيضاً – قد عمل المعجزات بأسماء الله ، فَلِمَ صدّقتم بنبوّته ، وكذّبتم بنبوّة عيسى ؟! .

فيقولون : لأن الله تعالى علّم موسى الأسماء ، وعيسى لم يتعلّمها من الوحى ، ولكنه تعلّمها من حيطان بيت المقدس !! .

فنقول لهم :

فإذا كان الأمر الذى يتوصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه مَنْ لا يختصّه الله به ، ولا يريد تعليمه إيّاه ، فبأىّ شئٍ جاز تصديق موسى ؟ .

= انظر فى ذلك : محيى الدين بن عربى : (الفتوحات) (بدون تحقيق) والأسفار التى حققها د. عثمان يحيى ونشرت فى مصر ، و(فصوص الحكم) بتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى ، ومقالنا فى حولية دار العلوم – العدد التاسع ١٩٧٩/٧٨ م بعنوان « ابن عربى : الرجل والمذهب » .

ورسالة : « اسم الله الأعظم » لابن عربى والغزالى ، مكتبة الجندى .

(١) وفكرة (الحروف) والتّسْخير بها ، فكرة يهودية كذلك ، واستغلها الغلاة من الفلاسفة والصوفية والباطنية ... انظر مثلا : (رسالة الحروف) لابن مسرّة الصوفى ، نشرها الدكتور محمد كمال جعفر فى كتابه : دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، نشر دار العلوم بمصر ، وهى أفكار أدخل فى باب السّحر والطلسمات والسيميا ، منها إلى العلم الصحيح ، ويعترف بها التلمود .

– وانظر : تاريخ الفلسفة الإسلامية : هنرى كوربان ، ود. عثمان يحيى ، والسيد حسين نصر ، جـ ١ ص ٣٢٩ – ٣٣٥ ط ٢ بيروت ١٩٧٧ م .

– وانظر : ما كتبه الباحث اليهودى المعاصر (جورج فيدا) عن « القَبّالا » عند اليهود ص ٢٩٣ – ص ٣١١ ، وترجمه دكتور على سامى النشار وعباس الشربينى فى كتاب : الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ، ط ٢ ١٩٧٢ م .

فيقولون :

لأنه أخذها عن ربه .

فنقول :

وبأى شيء عرفتم أنه أخذها عن ربه ؟ .

فيقولون :

بما تواتر من أخبار أسلافنا[أ] !! .

وأيضا فإنّا نلجئهم إلى نقل أسلافهم ، بأن نقول لهم : بماذا عرفتم نبوَّةَ موسى ؟ .

فإنْ قالوا :

بما عمله من المعجزات !

قلنا لهم :

وهل فيكم مَنْ رأى هذه المعجزات ؟ .

ليس هذا – لعمرى ! – طريقاً إلى تصديق النبوات لأن هذا كان يلزم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام ، باقيةً من بعدهم[1] ، ليراها كل جيل فيؤمنوا بها !! .

وليس ذلك بواجب ، لأنه إذا اشتهر النَّبِىُّ فى عصر ، وصحَّت نُبوّتُه فى ذلك العصر بالمعجزات التى ظهرت منه لأهل عصره ، ووصل خبره إلى أهل

(أ) فى : م (أسلافهم) .

(١) انظر بحثنا : « الإسلام والعلم التجريبى » بحولية المعهد العالى للدعوة الإسلامية بالرياض ، العدد الخامس ، ص ١٦٢ وما بعدها .

عصر آخر ، وجب عليهم تصْديقُ نبوَّته واتباعه لأنّ المتواترات والمشهورات ، مما يجبُ قبولها فى العقل - وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، صلوات الله عليهم وسلامه ، فى هذا الأمر متساوون .

ولعلّ تواتر الشهادات بنبوَّة موسى ، أضعف من تواتر الشهادات بنبوّة عيسى ومحمد ؛ لأن شهادة المسلمين والنّصارى بنبوة موسى ، ليست إلّا بسبب أنّ كتابيهما شهدا له بذلك[1] ، فتصديقهم بنبوة موسى فرْعٌ عن تصديقهم بكتابيهم .

وأمّا معجزَةُ القرآن فإنّها (٤ب) ، وإنْ كانت باقيةً ، فتلك فضيلة زائدةٌ ، لا يحتاج إلى كونها سبب الإيمان .

فأمّا من أُعطى ذوق الفصاحة ، فإنّ إيمانه بإعجاز القرآن إيمان مَنْ شاهد المعجزة ، لا مَنْ اعتمد على الخبر ! إلّا أنَّ هذه درجة لم يرسخ بها كل واحد .

---

(١) جاء فى الإصحاح الخامس من إنجيل متّىٰ ما نسب إلى المسيح عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئتُ لأنقض الناموس – التوراة – أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأُكمل » .

وفى الإصحاح الثالث والعشرين ، ما نسبه متّىٰ إلى المسيح عليه السلام : « خاطب يسوع الجموعَ وتلاميذه قائلاً :

على كرسىّ موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون !! » .

أمّا دعوة القرآن الكريم إلى الإيمان بالرسل أجمعين ، فهى سمة بارزة فى هذا الكتاب العظيم ، يقول تعالى :

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحدٍ من رسله ... الآية ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

فإن قالوا :

إنّ نبيّنا يشهد له جميعُ الأمم ، فالتواتر به أقوى . فكيف تقولون إنه أضعف ؟! .

قلنا :

أوَكان إجماعُ شهادات الأمم ، صحيحاً لديكم[أ] ؟

فإن قالوا :

نعم ! .

قلنا :

فإنّ الأمم الذين قبلتم شهادتهم ، مجمعون على تكفيركم وتضليلكم ! ، فيلزمكم ذلك ؛ لأنّ شهادتكم عندكم مقبولة !! .

فإن قالوا :

لا نقبل شهادة أحد – لم يبق لهم تواتر إلّا من طائفتهم ، وهى أقل الطوائف عدداً فيصير تواترهم وشرعهم ، لذلك ، أضعف الشرائع !! .

ويلزمهم مما تقدم أنّ كل من أظهر معجزاتٍ ، شهد بها التواتر مُصَدَّقٌ فى مقالته .

ويلزمهم من ذلك ، التصديقُ بِنبوَّةِ المسيح والمصطفى ، عليهما السلام .

(أ) فى : م تغيير فى العبارة .

فصـل فيمـا يحكونـه عن عيسـى عليـه السـلام

هم يزعمون أنه كان من العلماء ، لا من الأنبياء ، وأنه كان يُطَبِّبُ المَرْضى بالأدوية ، ويوهمهم[1] أن الانتفاعَ إنما حصل لهم بدعائه !! .

وأنّه أبْرأ جماعةً من المرضى[أ] من أسقامهم ، فى يوم السّبْت[2] ، فأُنْكرتْ عليه اليهود ذلك .

(أ) سقطت من الأصل ، وذكرت فى : م .

(١) انظر رأيهم فى الأنبياء عليهم السّلام فى بحث : « موقف بنى إسرائيل من أنبيائهم » بكلية الدعوة والإعلام ١٤٠٥ هـ .

وانظر لابن كمونه اليهودى المتوفى ٦٨٣ هـ كتابه : (تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث) ص ٦٦ .

(٢) تقديس السّبت جزء من عقيدة يهود الراسخة فى توراتهم وأصل فكرة تقديس السبت ، هو : زعمهم بأنّ الله تعالى وجلّ ، قد خلق السموات والأرض فى ستة أيام فتعب ، واستراح وتنفسّ فى اليوم السابع ، فأمرهم – بزعمهم – أن يَسْبِتوا فيه ، أى يرتاحوا ، ولا يقوموا بأىّ عملٍ من أى نوع ... ولقد كذّبهم القرآن العظيم قال تعالى (فى سورة ق : ٣٨ – ٣٩) :

﴿ ولقد خلقنا السّمواتِ والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسّنا من لغوب ، فاصبر على ما يقولون ... ﴾ الآيات : أى ما مسّنا من تعب ولا نصَب ، فاصبر على قول اليهود ، ولقد جاء فى التوراة (خروج ٣١ – ١٢ – ١٨) حديثٌ مفصلٌ عن السبت : « وكلّم الرّب موسى قائلا ... سُبُوتى تحفظونها ؛ لأنه علامةٌ بينى وبينكم فى أجيالكم ... فتحفظون السبت لأنه مقدس ، مَنْ دنّسه ، يقتل قتلاً ، إن كل من عمل فيه عملاً تقطع تلك النفس من شعبها ، ستة أيام يُصنع عمل ، أمّا اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدّسٌ للرب ... لأنه فى ستة أيام صنع الرّبُ السّماء والأرض ، وفى اليوم السابع استراح وتنفسّ » !!

﴿ كَبُرَتْ كلمة تخرجُ من أفواههم !! إنْ يقولون إلّا كذباً ﴾ [الكهف : ٥] .

ويسجل القرآن العظيم – بتفصيل – أن اليهود لم يلتزموا بالسَّبت ، ولم يحفظوا العهد الذى قطعوه ووثّقوه – برعايته ، وإنّما احتالوا – بخُبْثٍ ومكر – لكسره ونقض عهده ، فلعنهم الله ، وغضب عليهم ، وجعل منهم القِرَدة والخنازير . قول سبحانه :
=

فقال لهم :

أخبرونى عن الشّاة من الغنم ، إذا وقع فى البئر يوم السّبت ، أما تنزلون إليه وتُحِلّون السَّبت لتخليصه ؟ .

قالوا :

بلى !

قال : فَلِمَ أحْلَلْتُم السَّبتَ لتخليص الغنم ، ولا تُحِلّونه لتخليص الإنسان ، الذى هو أكبر حَرْمَةً من الغنم ؟! .

فأفحمهم ولم يؤمنوا !! .

وأيضا فإنّهم يحكون عنه أنه كان مع قوم من تلاميذه فى جبل ، ولم يحضرهم الطعام ، فأذِن لهم فى تناول الحشيش فى يوم السبت .

فأنكرت عليه اليهود ، قطع الحشيش فى يوم السبت .

فقال لهم :

أرأيتم ، لو أنّ أحدكم ، لو كان وحيداً ، مع قوم على غير مِلّته ، وأمروه بقطع النّبات ، فى يوم السبت وإلقائه لدوابهم ، لا يقصدون بذلك كسْر السّبت ، ألَسْتم تُجيزون له قطع النّبات ؟ .

= ﴿ ... أو نَلْعَنَهُمْ كما لَعَنَّا أصحاب السّبت وكان أمر الله مفعولا ﴾ [النساء : ٤٧] .

ويقول سبحانه :

﴿ وأسْألْهم عن القريةِ التى كانت حاضرةَ البحر ، إذْ يعْدُون فى السَّبت ، إذْ تأتيهم حيتانهم يَوْمَ سَبْتِهم شُرَّعاً ، ويوم لا يَسْبِتُون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ [الأعراف : ١٦٣] .

قالوا :

بلى ! .

قال : فإنّ هؤلاء القوم أمرتهم بقطع النّبات ليأكلوه ، وليغتذوا به ، لا للطعن فى أمرِ السّبْت .

كل ذلك ملاطفة منه لعقولهم التى **لا يَنْطبعُ فيها النَّسْخ**[1] ! ولئِن كان ما يحكونه من ذلك صحيحاً ، فلعله كان فى ابتداء ظهور أمر المسيح[2] عليه السلام .

---

(١) أى لا يقرّون بأن الشرائع والنظم تتطور وتتغير على أيدى الأنبياء عليهم السلام ، أمّا العقيدة أو الإيمان فأمرها راسخ ثابت واحد . وانظر للكاتب اليعقوبى : أبى على عيسى بن إسحق بن زرعة المنطقى ، المتوفى سنة (٣٩٨ هـ - ١٠٠٧ م) رسالته : « المواضع التى فيها الاختلاف بين اليهود والنصارى ، وهى نسخ الشريعة التى أتى بها موسى ، ومجىء السيد المسيح ، والتثليث ، والاتحاد الذى يقول به النصارى فى المسيح ، والقيامة العامة » نشرة الأب بولس سباط ١٩٢٩ م القاهرة .

(٢) عن رأى اليهود فى عيسى عليه السلام ، عن الحوار الذى جرى بينه وبينهم انظر : إنجيل متى : الإصحاح ١/١٢ : ١٢

« فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السّبت بين الزروع ، فجاع تلاميذه ، وابتدأوا يأكلون ، ... فالفريسيون لما نظروا قالوا له : هوذا تلاميذك يفعلون مالا يحلّ فعله فى السَّبْتَ ، فقال لهم : أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ؟! ...

أما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السّبت - فى الهيكل - يدنّسون السَّبْت وهم أبرياء ...

فسألوه قائلين : هل يحل الإبراء فى السبوت ؟ لكى يشتكوا عليه ! فقال لهم : أى إنسان منكم يكون له خروف واحد ، فإن سقط هذا فى السبت فى حفرة ، أفما يمسكه ويقيمه ؟! فلإنسان كم هو أفضل من الخروف ! إذاً يحل فعل الخيرات فى السبوت ... » .

وكان رأى المسيح فى اليهود المعاصرين له ، أنهم « جيل شرّير وفاسق » (متى

ذِكْرُ الآيات والعلامات – التى فى التوراة – الدّالّة على نُبُوَّةِ سيّدنا محمد المصطفى ﷺ

إنَّهم لا يقدرون على أنْ يَجْحَدوا هذه الآية ، من الجزء الثانى ، من السفر الخامس ، من التوراة :

« نابى أقِيم لاهيم مقارَبْ اجئهيم كاموخا ايلا ويشماعون » .

تفسيره :

« نَبِيًّا أقيمُ لهم ، مِنْ وَسَط إخْوتِهِمْ مِثْلَكْ ؛ به فلْيؤْمِنُوا » .

وإنّما أشار بهذا[أ] إلى أنّهم (٥أ) يؤمنون بمحمد ﷺ .

فإن قالوا :

إنه قال :

من وسط إخوتهم ، وليس فى عادة كتابنا أنْ يعنى بقوله : « إخوتكم » إلّا بني إسرائيل .

= ١٢/٣٩) « وأن قلب هذا الشعب – اليهودى – قد غلظ ، وآذانهم قد ثقل سماعها ، وغمضوا عيونهم لئلّا يبصروا بعيونهم ، ويسمعوا بآذانهم ، ويفهموا بقلوبهم » (متى ١٣/١٤) .

وانظر : متى ٢٣/١٣ – ٣٩ حيث يقول المسيح عنهم :

« ويل لكم أيها المراؤون .. ويل لكم أيها القادة العميان .. أيها الحيّات أولاد الأفاعى ... » .

وعن عاصمتهم أورشليم يقول : « يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ... » إلى آخره .

(أ) فى : م : (هذا) .

قلنا :

بلى ، فقد جاء فى التوراة « إخوتكم بنو العيص » ، وذلك فى الجزء الأول من السفر الخامس قوله :

« أتّيم عوبِريم بِقَبول احَيحم بنى عَيْسًا وهيو شئيم بِسَيْعِير » .

تفسيره :

« أنتم عابرون فى تُخم إخوتكم بنى العيص المقيمين فى سِعْير ، إياكم أنْ تَطْمعوا فى شيءٍ من أرضهم » .

فإذا كان بنو العيص إخوةً لبنى إسرائيل ؛ لأنّ العيص وإسرائيل ولدا إسحاق ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع وَلَدِ إبراهيم .

وإن قالوا :

إنّ هذا القول إنما أُشير به إلى شموائيل ، النبى عليه السلام ، لأنّه قال :

« مِنْ وسَطِ إخوتهم مثلك » .

وشموائيل كان مثل موسى ؛ لأنه من أولاد ليوى – يعنون : من السِّبط الذى كان منه موسى .

قلنا لهم :

فإنْ كنتم صادقين ، فأىّ حاجةٍ بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموائيل[1] ، وأنتم تقولون إن شموائيل لم يأت بزيادة ولا بنسخ ؟! أأشفق من أنْ لا تقبلوه ؟! .

---

(١) مما يجدر ذكره أن الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيمّ الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ، قد استفاد فائدة عظمى من كتاب الإمام السّموأل بن يحيى : « إفحام اليهود » فى مناقشته اليهود وإظهار مخاريقهم وفضائحهم ، ونقل فصولاً بأكملها ، ولخص فصولاً أخرى =

إنّه[أ] إنما أُرسل ليقوّى أيديكم على أهل فلسطين ، وليردكم إلى شرع التوراة .

ومَنْ هذه صفته ، فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به ، لأنه إنمايُخافُ تكذيبكُم لِمَنْ ينْسخ مذهبَكم ويغيِّر أوضاع ديانتكم ، فالوصيةُ بالإيمان به[١] مما لا يستغنى مثلكم عنه .

ولذلك لم يكن لموسى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بِنُبُّوة أرْمِيا وأشعيا[٢] وغيرهما من الأنبياء .

= وأثبتها فى كتابه : « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنّصارى » .

وابن القيّم – رحمة الله عليه – لم يشر إلى الإمام السّموأل إشارة صريحة ، ولكنه ذكر ما نّصه :

« وقال بعض أكابرهم بعد إسلامه » . قال ذلك بعد أن ذكر من كتابه عدة صفحات ، ثم أثبت عدة صفحات أخرى بعد ذلك ، ولم يذكر قط اسم السّموأل ، كما أنه نقل عنه فى كتابه « أحكام أهل الذمة » ج ١ ص ١٦٩/٢٦٧ بتحقيق صبحى الصالح .

وفى كتابه : « إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان » بحيث يمكن أن يقال : إنّه قد اعتمد ، اعتماداً كلياً فى مجادلته يهود – على كتاب الإمام السّموأل بن يحيى « من علماء القرن السادس الهجرى » كما أنه استفاد بشكلٍ مباشر من كتاب الإمام القرافىّ : المتوفى عام ٦٨٤ هـ ، : المسمى : « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة » .

قارن : (هداية الحيارى) ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ (طبعة الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ١٣٩٦ هـ) .

(أ) فى : م : لأنّه .

(١) إى بمن يغيّر وينسخ ديانتكم .

(٢) من أنبياء بنى إسرائيل الذين لم يأتوا بشرع ناسخ أو مبدل للتوراة ، ومن ثم فلم توص بنى إسرائيل باتباعهم وتصديقهم .

وهذا دليل على أنّ التوراة أمرتْهم فى هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى[1] ﷺ ، واتّباعه .

---

(١) مما يجدر ذكره هنا أن كلّ من كتب فى بشارات الكتب السابقة : (العهد القديم والعهد الجديد) بِنُبُوَّة محمد ﷺ ، قد ذكر هذه الفقرة من التوراة ، انظر مثلا :

- كتاب « الدين والدولة فى إثبات نبوة محمد ﷺ » للمهتدى على بن ربّن الطبرى ، من علماء القرن الثالث للهجرة .
- وكتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لابن حزم .
- وكتاب « تثبت دلائل النبوة » للقاضى عبد الجبار الهمدانى .
- وكتاب « النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النّصْرانية » لنصر بن يحيى المتطبب .
- وكتاب « الأجوبة الفاخرة » للقرافى الصنهاجى .
- وكتاب « إظهار الحق » لرحمة الله الكيرانوى الهندى .
- وكتاب « مسالك النظر فى نبوّة سيّد البشر » لسعيد بن الحسن الإسكندرانى .

كما أنّ أكثر من كتبوا فى : « دلائل النُبوّة وعلاماتها » قد ذكروا هذه الفقرة وأشباهها ، انظر مثلا :

« دلائل النبوّة » لابن قتيبة الدنيورى ، و« دلائل النبوة » لأبى نعيم صاحب الحلية ، و« دلائل النبوّة » للبيهقى ، و« إثبات نبوة النبى ﷺ » لأبى الحسن أحمد بن الحسين بن هارون الزيدى المتوفى ٤٢١ هـ ، و« أعلام النبوة » للماوردى ، و« تثبيت الدلائل » للقاضى عبد الجبار ، و« الوفاء بأحوال المصطفى » لابن الجوزى ، و« الخصائص الكبرى » للسيوطى ... إلى آخره .

الإشـارة إلى اسمـه* فى التـوراة

قال الله تعالى فى الجزء الثالث من السِّفر الأول من التوراة ، مخاطباً إبراهيم[أ] الخليل ، عليه السلام :

« وأمّا فى إسماعيل فقد قَبِلْتُ دُعاءك ، هاأنا قد باركت فيه ، وأُثمِره وأكثره جداً جداً » .

ذلك قوله :

« وليشماعيل شمعيتَخَا هَنِّى يبرخْتى أونوا وهِفريثى أوثو وهِزْ بيثى أوثو بمادماد » .

فهذه الكلمة : « بمادماد » ، إذا[ب] عددنا حساب حروفها بالجمل[1] ، كان :

---

* يقصد الرسول المصطفى (محمد) ﷺ .

(أ) فى الأصل ، و: م « لإبراهيم » .

(ب) إذا ساقطة من الأصل .

(1) طريقة معروفة فى الحساب القديم ، وهو قائم على أن كل حرف من حروف الأبجدية يساوى عدداً معيناً كالتالى :

أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ، ط = ٩ ، ى = ١٠ ، ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ، ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ، ص = ٩٠ ، ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠ ، خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض = ٨٠٠ ، ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠ .

وبحساب الحروف هذا تكون « بمادماد » تساوى :

ب = ٢ + م = ٤٠ + أ = ١ + د = ٤ =٤٧ ، م = ٤٠ + أ = ١ + د = ٤ = ٤٥ ، فيصبح مجموع هذه الحروف كالتالى :

=

اثنين وتسعين ، وذلك عدد حساب حروف اسم (محمد) ﷺ ، فإنّه أيضاً اثنان وتسعون .

وإنما جعل ذلك فى هذا الموضوع مُلْغِزاً[1] ؛ لأنّه لو صُرِّح به لبدَّلَتْهُ اليهود ، أو أسقطته[2] من التوراة ، كما عملوا فى غير ذلك !! .

فإن قالوا :

إنّه قد يوجد فى التوراة عدد كلمات مما يكون عدد حساب حروفه مساوياً لعدد حساب حروف اسم زيد وعمرو وخالد وبكر ، فلا يلزم من ذلك أن يكون زيد وعمرو وخالد وبكر أنبياء .

فالجواب :

إنّ الأمر كما يقولون ، لو كان لهذه الآية أسوةٌ بغيرها من كلمات التوراة ، لكنّا نحن نقيم البراهين والأدلّة على أنّه لا أُسوة لهذه الكلمة بغيرها من سائر التوراة .

وذلك أنّه ليس فى (٥ب) التوراة من الآيات ، ما حاز به إسماعيل الشرف ، كهذه الآية ؛ لأنها وعْدٌ من اللهِ لإبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل ، وليس فى التوراة آيةٌ أخرى مشتملةٌ على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر[3] !! .

= ٤٧ + ٤٥ = ٩٢ وهو عدد حروف اسم: محمد .

م = ٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤ والمجموع = ٩٢ حرفاً .

(١) لا يبين إلّا لمن يمعن النظر والتأمل فيه .

(٢) وهو أعرف بهم فى التبديل والتحريف ومن أجل ذلك كان هجوم اليهود عليه عنيفاً مسعوراً ، انظر مثلا :

« تنقيح الأبحاث » لابن كمونة اليهودى ، فى مواضع متفرقة .

(٣) لقد استخرج – من قبل – المهتدى على بن ربّن الطبرى (من علماء القرن =

ثم إنَّا نُبيِّن أنّه ليس فى هذه الآية كلمة تساوى « بمادماد » التى معناها : (جداً جداً) .

وذلك أنّها كلمةُ المبالغة من الله سبحانه ، فلا أسوة لها بشيء من كلمات الآية المذكورة .

وإذا كانت هذه الآية ، أعظم الآيات مبالغةً فى حق إسماعيل وأولاده ، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقى كلمات تلك الآية ، فلا عجب أن تتضمَّن الإشارةَ إلى أُجَلّ أولاد إسماعيل شرفاً وأعظمهم قدراً ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم[1] .

وإذ قد بيَّنا أنّه ليس لهذه الكلمة أسوةٌ بغيرها ، من كلمات هذه الآية ، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة ، فقد بطل اعتراضهم .

= الثالث الهجرى) أنّ عِدّةَ حروف كلمة (الفار قليط) الواردة فى الإصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا ، هى نفس عدة حروف اسم محمد ﷺ ، وأورد على نفسه نفس شبهة الخصم التى أوردها السّموأل هنا ، وأجاب عليها بنفس هذا الجواب ، انظر له : « الدين والدولة » ص ١٨٥ الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

(١) انظر : للقرافى آخر كتابه : الأجوبة الفاخرة فى الرد عن الأسئلة الفاجرة فى الرد على اليهود والنّصارى ، وهو قيد التحقيق ، وانظر كذلك : لرحمة الله الهندى : « إظهار الحق » ، نشرة عمر الدسوقى ، طبعة قطر .

ذكر الموضع الذى أشير فيه إلى نُبُوَّةِ الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام

« وآمادَ أذُوْناى مِسِّيناىْ إشْكَلّى ودَبهْورْ يقَايْه مِسْعيرِ اثحزى لَأنا اسْتَخى بِغبورْتيه تمْلْ طوراد فإران وعمّيه ربّواث قديسين » .

تفسيره :

قال : « إن الله تعالى من سيناء تجلىً[أ] ، وأشرق نوره من سيعير ، وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات القديسي » .

وهم يعلمون أنّ جبل سيعير[ب] هو جبل الشراة الذى فيه بنو العيص ، الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ، بل فى هذا الجبل كان مقام المسيح ، عليه السلام . ويعلمون أنّ سيناء ، هو جبل الطّور ، لكنهم لا يعلمون أنّ جبل فاران هو جبل مكة .

وفى الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة[١] ، التى كانت مقام نُبُوّة هؤلاء الأنبياء ، ما يقتضى للعقلاء ، أن يبحثوا عن تأويله المؤدِّى إلى الأمر باتباع مقالتهم .

(أ) فى : م ، يتجلّى .

(ب) هذا الكلام ساقط من الأصل ، وأثبتناه ، معتمدين على النص العبرى المتقدم ، وعلى التفسير اللاحق ، وعلى نسخة : م ؛ ولأن الكلام لا يصح بدون ذكره .

(١) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن كل من تحدث عن تبوءات الكتب القديمة وبشاراتها ببعثة محمد ﷺ ، - تقريبا - من المهتدين إلى الإسلام أو من المسلمين قد استدل بهذا النص التوراتى . وكذلك من كتبوا فى دلائل نبوة محمد ﷺ وأعلامها ؛ بل إن بعض الباحثين قد ربط بين هذا النص وبين صدر سورة ﴿ والتين والزيتون ﴾ فى القرآن الكريم : قال تعالى : =

فأمّا الدليل الواضح من التوراة ، على أنّ جبل فاران . هو جبل مكة ، فهو أن إسماعيل لمّا فارق أباه الخليل عليه السلام . سكن إسماعيل فى بَرِّيَّة فاران .

ونطقت التوراةُ بذلك فى **قوله** :

« وييسب بِمذبار فاران وتقّاح لو إمّو إشّامَيْاء يزمن مصرايم » .

تفسيرهُ :

« وأقام فى بَرِّية فاران ، وأنكَحَتْه أُمُّه امرأة من أرض مصر »[1] .

فقد ثبت فى التوراة ، أنّ جبل فاران ، مسكن لآل إسماعيل .

وإذا كانت التوراة قد أشارت ، فى الآية التى تقدم ذكرها . إلى نُبُّوةٍ تَنْزِل على جبل فاران ، لزم أنّ تلك النُّبوة على آل إسماعيل ؛ لأنّهم سكانُ فاران .

وقد علم النّاس قاطبة ، أنّ المشار إليه [بالنُّبُوَّةِ][أ] من وَلَدِ إسماعيل :

= ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، وَطُورِ سِينِينَ ، وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ .

- فالتين والزيتون فيه إشارة إلى مكان بعثة عيسى ﷺ .
- وطور سنين إشارة إلى نبوّة موسى ﷺ .
- وهذا البلد الأمين : أم القرى ، فيه إشارة إلى نُبوّة محمد ﷺ .

انظر مثلا : « الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح » لابن تيمية ، طبعة المدنى ، بالقاهرة .

وانظر : « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى » لابن القيم الجوزية ، طبعة مكتبة المعارف بالرياض ، وطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة .

(١) جاء فى سفر التكوين (٢١ - ٢١)

« وسكن فى بَرِّية فاران ، وأخذت له أمّه زوجة من أرض مصر » .

(أ) سقطت من الأصل ، وذكرت فى : م ، وإثباتها أَوْلى .

محمد ﷺ ، وأنه بُعث من مكة التى كان فيها مقام إسماعيل .

فدّل ذلك على أنّ جبال فاران ، هى جبال مكة ، وأنّ (٦أ) التوراة أشارت فى هذا الموضع ، إلى نُبُوَّةِ المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه ، وبشّرتْ به ، إلّا أنّ اليهود ؛ لجهلِهم وضلالهم لا يُحسِنُون الجمع بين هاتين الآيتين .

بل يسلّمون المقدمتَيْن ، ويجحدون[أ] النتيجة ، لفرطِ جهلهم .

وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفِطْنة والرأى !! .

ذلك قوله تعالى :

« كى بمو أو باذ عيصوث هيّما وأيْن باهَيم تبونا » .

تفسيرهُ :

« إنّهم لشعبٌ عادم[1] الرأى ، وليس فيهم فطانة » .

(أ) فى : م ، سقطت كلمة يجحدون ، ووضعت كلمة : لا .

(١) فى الترجمة المعاصرة : عديم الرأى .

فصـــل
فى إبطـال ما يدّعونـه من محبّـة اللهِ إيّاهـم

هم يزعُمون أنّ ، الله سبحانه وتعالى ، يُحبُّهم ، دون جميع النّاس ، ويحبُّ طائفتَهم وسُلاَلَتهم[1] ، وأنّ الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله ، إلّا منهم !! .

ونحن نناظرهم على ذلك .

فنقول لهم :

ما قولكم فى أيوب النبى – عليه السلام – ؟

أتقِرّون بنبوّته ؟ .

فيقولون :

نعم .

---

(١) جاء فى سفر التثنية ١٤ – ٢ .

« ... لأنّك – إسرائيل – شعب مُقَدّسٌ للرب إلهك ، وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبًا خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » .

وجاء فى القرآن العظيم نقضٌ لهذا الزعم ، ودحضٌ ماحق لتلك الدعوى ، يقول سبحانه :

﴿ وقالت اليهودُ والنّصارى : نحن أَبْنَاءُ اللهِ وأحِبّاؤه ، قل فَلِمَ يعذِّبُكُمْ بذنوبكم ؟! بلْ أنتم بَشَرٌ مِمّنْ خَلَق ، يغفر لِمَن يَشَاءُ ويُعذِّبُ مَنْ يَشَاء ﴾ [المائدة : ١٨] .

وقال سبحانه :

﴿ قل يا أيها الذين هادُوا إنْ زَعَمْتُم أنّكم أوْلياءُ للهِ مِنْ دُون النّاس فَتَمَنّوْا الموتَ إنْ كنتم صادقين ولا يَتَمَنّوْنَه أبَداً بِمَا قَدّمَتْ أيْدِيهِمْ واللّهُ عَلِيمٌ بالظّالِمِين ﴾ [الجمعة : ٦ ، ٧] .

فنقول لهم :

هل هو من بنى إسرائيل ؟ .

فيقولون :

لا .

فنقول لهم :

ما تقولون فى جمهور بنى إسرائيل ، أعنى التسعة أسباط والنصف الذين أغواهم (يربعام بن نباط)[1] ، الذى خرج على ولد سليمان بن داوود – عليهما السلام –[أ] ، وصنع لهم الكبشين من الذهب وعكف على عبادتهما جماعةُ بنى إسرائيل ، وأهل جميع ولاية[ب] دار ملكهم[2] الملقبَّة يومئذٍ (بشومرون) ، إلى أنْ

---

(١) انظر عن (يربعام بن نباط) حاشية ص ٢٠ ، وانظر كذلك قصته بالتفصيل فى سفر الملوك الأول ، ١٢ – ٢٥ : ٣٣ من طبعة البروتستانت ١٩٧٠ م .

(أ) تسقط نسخة م : عليها السلام ، فى كل موضع يقتضى ذكرها .

(ب) فى : م : ولايته ، وهو غير صحيح .

(٢) هذا دينهم ، رغم أن أسفارهم قد نهتهم عن ذلك ، وحذّرهم ربُّهم ، على لسان نبيائهم ، من الانحياز إلى الوثنية ، فى أى صورةٍ من صورها .

جاء فى سفر اللاويين (٢٦ : ١ – ٢) :

« لا تصنعوا لكم أوْثاناً ، ولا تقيموا لكم تمثالاً منحوتاً أو نصبا ، ولا تجعلوا فى أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له لأنّى أنا الرّبُّ إلٰهكم » .

لكن وقع منهم ذلك وأصَرّوا عليه ، وما ذلك إلّا « لأن كلّ بيت إسرائيل صِلابُ الجِباهِ وقُساةُ القلوب ... إنهم بيت متمرد » .

تلك شهادة سفر حزقيال فيهم على لسان ربِّهم !!! (٣ – ٨ : ٩) .

ولا شك أن أسفارهم وأنبياءهم أعرف بهم !! فشهادتهم عليهم ، شهادة حق وصدق ! .

جرت الحرب بينهم وبين السبطين والنصف ، الذين كانوا مؤمنين مع ولد سليمان فى بيت القدس ، وقتل فى معركة واحدة خمسمائة ألف إنسان ؟ .

فما تقولون فى أولئك القتلى بأسرهم وفى التسعة أسباط والنّصف .

هل كان الله يحبهم لأنهم إسرائيليون ؟ .

فيقولون :

لا ، لأنهم كفّار !! .

فنقول لهم :

أليس عندكم فى التوراة ، أنه لا فرق بين الدخيل فى دينكم ، وبين الصريح النسَّب ؟[أ] .

فيقولون :

بلى ! لأنّ التوراة ناطقة بهذا :

« ككيركا إن راح كاخيم بيمى نِفْنى أذوناى » .

تفسيره : إنّ الأجنبى والصريحَ النَّسب منكم سواءٌ عند الله « تورا أحاث ومسقاط إيْحاذ بيمى لأخيم ويكبر هكّار يثوخخيم » .

تفسيره :

« شريعةٌ واحدةٌ وحكمٌ واحد ، يكن لكم والغريب الساكن فيما بينكم » .

فإذا اضطررناهم إلى الإقرار بأن الله لا يُحبُّ الضّالين منهم ، ويحبُّ المؤمنين من غير طائفتهم ، ويتخذ أنبياءَ وأولياءَ من غير سُلالتهم ، فقد نَفَوْا ما ادعوه من اختصاص محبَّةِ الله سبحانه وتعالى بطائفتهم مِنْ بين المخلوقين !! .

(أ) ف : م ، كلمة منكم زيادة على الأصل .

فصـــل
فى ذكـــر طـــرف من كُفْرهـــم وتبديلهـــم !!

إنَّ مِنْ سبيل ذوى التَّحْصيل ، أنْ يتجنَّبوا الرذائل ، ويَنْفِروا مِمَّا قَبُحَ فى العقول السّليمة ، ورجح (٦ب) تزييفهُ عند الأفهام المستقيمة .

ولهذه الطائفة من فُنون الضَّلال والاختلال ، ما تنْأى[أ] عن مثله العقول ، ويخالفه المعقولُ والمشروعُ !! .

فمن ذلك أنّهم مع ذهاب دولتهم ، وتَفَرُّقِ شمْلهم ، وعلمهم ، بالغضب الممدود عليهم ، يقولون فى كل يوم ، فى صلواتهم ، أنّهم أبناءُ الله وأحبّاؤه . ذلك قولهم كل يوم فى الصلوات[ب] :

« آهَبَانْ عُولام أهبتانو أذوناى ألو هينوا » .

تفسيره :

محبة الدَّهْرِ أحْبَبْتنا يا إلَهنا !!! .

« هسِيبينو أبينوا لثور أثيخا » .

تفسيره :

أرْدُدْنا يا أبانا إلى شريعتك .

« أبينو ، ملكينو ، ألوهينو » .

(أ) فى : م : تنفر .

(ب) فى : م : الصلاة (بالإفراد)

تفسيره :

يا أبانا ، يا مَلِكَنا يا إلَهَنَا .

« أتّا أذوناى أبنيو كوالينو » .

تفسيره :

أنْت – اللَّهم – أبونا ومُنْقِذُنا .

« وأيث كل روذْ فى باتيخا وَأويتى عد انيخا كولّامْ كساموبام ايجاد ميهم لونوثار » .

تفسيره :

وجميع الذين اقتفوا أثر[أ] نبيِّك وأعداء جماعتك كلّهم غطَّاهم البحرُ ، واحد منهم لم يبق !!

ويُمثِّلون أنفسهم « **بعنا قيد العِنَب** » ، وسائر الأمم بالشَّوك المحيط بأعالى حيطان الكرم !! .

وهذا مِنْ قِلَّة عقولهم ، وفساد نظرهم ؛ لأنَّ المعْتَنى بمصالح الكرم ، إنّما يجعل على أعالى حيطانه الشَّوكَ حفظاً وحياطةً للكرم .

ولسنا نرى لليهود ، مِنْ بقيَّة الأُمم ، إلّا الضّرر والذُّلّ والصَّغار ، وذلك مُبْطِلٌ لقولهم .

وينتظرون قائماً يأتيهم ، من آل داود النبىِّ إذا حرّكَ شفتيه بالدّعاء مات جميع الأُمم ، ولا يبقى إلّا اليهود !! .

وأنّ هذا المنتظر – بزعمهم – هو المسيح الذى وُعدوا به .

(أ) (أثر) ساقطة من : م .

وقد كان الأنبياء ، عليهم السلام ، ضربوا لهم أمْثالاً أشاروا بها إلى جلالة دين المسيح ، وخضوع الجبّارين لأهل مِلّته وإتيانه بالنَّسْخ العظيم ؛ فمن ذلك قول (يشعيا)[1] فى نبوءته :

---

(١) إشَعْيَاء ، أو يشعيا ، أحد أنبياء بنى إسرائيل ، كما تذكر كتبهم وله سفر باسمه فى العهد القديم ، يتكون من ستة وستين إصحاحاً ، تتميز بأنها إصحاحات موجزة ، وترجمتها – البروتستانية – جيدة .

وفى صدر الإصحاح الأول تعريف بموضوع السفر كله ، جاء فيه :

« رؤيا إشَعْيَاء بن آموص ، التى رآها على يهوذا وأورشليم فى أيّام عُزِيّا ، ويوثام ، وآحاز ، وحِزْقِيّا ، ملوك يهوذا ... الخ » .

وجاء فى الإصحاح الستين من السفر المذكور ، « الوعد » أو « النبوءة » **بالسيطرة اليهودية على العالم كله !! ، وبأورشليم عاصمةً للمسكونة كلّها !!** .

يتحدث عن أورشليم : « .. فتسيرُ الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك تتحوّل إليك ثروةُ البحر ، ويأتى إليك غِنى الأمم ، تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلّها تأتى من شَبَا ، تحمل ذهباً ولبناً ... كل غنم قيدار تجتمع إليك .. كباشُ نبايوت تخدمك » .

« وبنو الغريب يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك ، وتنفتح أبوابك ... ليؤتى إليك بِغِنى الأمم وتقاد ملوكهم ؛ لأنّ الأمم التى لا تخدمك تبيد ، وخراباً تخرب ، مجْدُ لُبْنان إليك ... » .

« وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين ، وكلُّ الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ، ويدعونك مدينة الرّب صهيون .. » .

« لا تغيب بعد شمسك ، وقمرك لا ينقص » .

والعجيب والغريب حقاً هو أنّ هذه النبوءة الجريئة ! ، قد انقدح بها زناد العقل اليهودى ، بينما كان اليهود يرزحون تحت الأسر البابلى ، فى المنفى ، على ضفاف الفرات ، كما تفتّقت عبقريتهم عن فكرة (الشريعة) كذلك !! وسنعلّق عليها فى موضع قادم بإذن الله . وانظر عراقة أطماعهم فى لبنان !! اقرأ قولهم : « مَجْدُ لبنان إليك !! » .

« .... عِمْ كيسَ يخدا ويرتصـو سنيهم وفارا وأذوب ترعينا وأرياكيا قار يوخل تبين » .

تفسيره :

إنّ الذئْبَ والكبْشَ يرعيان جميعاً ، ويربُضان معاً ، وإنّ البقرةَ والدُبَّ يرعيان جميعاً ، وإنّ الأسد يأكل التّبْنَ كالبقرة[1] !! .

فلم يفهموا من تلك الأمثال ، إلّا صورها الحسيّة ، دون معانيها العقلية ، **فتَوَلّوا عن الإيمان بالمسيح عند مبعثه** ، وأقاموا ينتظرون الأسد حتى يأكل التّبن ، وتصحّ لهم حينئذٍ علامةُ المسيح[2] !! .

ويعتقدون أيضاً أنّ هذا المنتظر ، متى جاءهم ، يجمعهم بأسرهم إلى القدس ، وتصير لهم الدولة ، ويخلو العالم مِنْ سواهم ، ويحجم الموت عن جَنَابِهِم[أ] .. المَّدةَ الطويلة ! .

وسبيلُهم أنْ لا يَعْدِلوا عن تَتَبُّع الأسود فى غاباتهم ، وطَرْح التّبْنِ بين أيديها ، ليعلموا وقت أُكلها إيَّاه !!!

وأيضاً فإنّهم فى العشر الأُوَل مِنْ كل سنة يقولون فى صلواتهم :

« الهوينوا أو الوهى أدنّواتينوا لملوخ عل يوشبى تيبيل أرضيخا وتوماركول اسير نسئاما بأفوا ذوناى ألوها يسرائيل مالاخ وملخو ثوبوبكول ماسالا » .

تفسيره (٧أ) :

يا إلَهَنا ، وإلَهَ أبائِنا : امْلُكْ على جميع أهْلِ الأرضِ ؛ ليقول كلُّ ذى نسمة :

---

(١) أشعيا ٦٥ - ٢٥ .

(٢) قارن كتاب « هداية الحيارى » لابن القيم .

(أ) فى : م : « حياتهم » .

(اللَّهُ إلَهُ إسرائيل ، قد مَلَك ، ومملكته فى الكل مُتسلِّطه[أ])[1] .

ويقولون فى هذه الصلاة أيضاً :

وسيكون للهِ الملك ، وفى ذلك اليوم يكونُ اللَّهُ واحداً .

ويَعْنون بذلك : أنَّه لا يظهر أنّ المُلْكَ لله ، إلّا إذا صارت الدولةُ إلى اليهود الذين هم أمته وصفوتُه ! .

فأمّا مادامت الدولةُ لغير اليهود ، فإنّ الله خامل الذكر عن الأُمم ، وأنّه مطعونٌ فى ملكه ، مشكوكٌ فى قدرته[2] ! .

(أ) فى : م : متسلطنة !! .

(١) أى أن مملكة بنى إسرائيل ، ستتسلّط على الكل ، وهنالك نصوص فى العهد القديم – كثيرة جدا – تفيد العهد أو النبوءة ، بأنّ ذلك سيتحقق لإسرائيل . لكن قلة من اللاهوتين المعاصرين ، من النصارى وبعض اليهود ، يفسِّرون العهد ، أو الوعد ، تفسيراً آخر ، والذى دفعهم إلى ذلك ، هو ادّعاء (دولة إسرائيل) الحالية ، بأنها فى قتلها للعرب ، وذبحهم وطردهم ، تتمثل أحكام العهد القديم ، وتحقق الوعد أوالنبوءة ، انظر فى ذلك : « إسرائيل فى الكتاب المقدس » Israel According to Holy Scriptures.

(وترجمة حسنى خشبة ، نشر معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧٢)

- Prof. Alfred Guillaume
- Dr. Elmer Berger. (يهودى)
- DrFrank stagg. أستاذ العهد القديم
- Dr. Ovid Sellers أستاذ العهد القديم وأسقف
- Dr. William Stine spring أستاذ العهد القديم وراعى كنيسة

وغير هؤلاء ، والكتاب بحث جدير بالمراجعة .

(٢) هذا جانب من رأيهم فى إلههم ، وإنّا لنقول مع متّى فيهم (١٣ : ١٥)

« .. قد غَلُظ قلْب هذا الشعب وثقلت آذانهم عن السماع » .

وعلينا أن نتذكر بأن رب إسرائيل خاص بهم ، ولا يجوز لأحد من (الجوييم) أى :

= الغرباء من أبناء الأمم غير إسرائيل ، أن يدعوه إلّهاله !! فهو قدّوس إسرائيل وحدها !!
« لأنك شعب مُقَدَّسٌ للرب إلهك وإياك اصطفى الربُّ إلهك ، أن تكون له أمة خاصة من بين جميع الأمم التي على الأرض » (سفر تثنية الاشتراع ٧ : ٦) .

وفي سفر الأخبار ما هو أوضح من ذلك وأكثر تحديداً : (٢٠ : ٢٤)

« أنا الرّب إلّهكم الذى فرزكم من بين الأمم » .

وصورة رب إسرائيل – على هذا النحو – صورة إلّه قَبَلىّ عنصرى ، لا يختلف بأى حال عن الآلهة القبلية التى سادت أنئذ ، فى شرق الأرض وغربها على سواء مثل (بعل – مردوخ) فى بابل ، و (ملكارت) فى صور ، و (آشور) إلّه الأشورية ومثل آلهة المصريين الفراعنة .. إلخ .

لكن مما يجدر ذكره هنا أن سفر حزقيال ، قد طَوّر من صفات الإلّه اليهودى (يهوه) وأضاف عليه صفات واختصاصات لم تكن له من قبل !! .

ويجب أن ألّا يغيب عن ذهن القارىء ، أن الديانة اليهودية قد ثبتتْ بشكلها النهائّى فى بابل – حين كان اليهود يرزحون فى الأسر البابلى – وهذا جعل واضعى الديانة يتأثرون بالديانات والمعتقدات السائدة آنذاك ولنقرأ فى ذلك عبارة جيدة لقاموس التوراة :

« إنّ تفهم الديانة العبرية مستحيل مالم تؤخذ بعين الاعتبار ، وبشكل مستمر ، الديانات والثقافات الأخرى ، التى نمت وترعرعت فى وادى الفرات ... إن الأصول القضائية البابلية ، وكذلك الطقوس المعمول بها فى المعابد البابليّة ، يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية فى الأصول القضائية والطقوس الدينية » .

A Dictionary of the Bible, Charles
Scnibner's Sons, New York, 1909

وانظر كذلك :

Man and his Gods, homer W. Smith,
Univesal Library, 1956. p. 91

وانظر : « الفلسفة فى الشرق » لبول ماسون ص ٤٠ – ٤١ ، ٧٠ – ٧١ ترجمة محمد يوسف موسى . =

فهذا معنى قولهم :

« اللهم املكْ على جميع أهلِ الأرض » .

ومعنى قولهم :

« وسيكون المُلْكُ لله » .

ومِمّا ينْخرط فى هذا السِّلك ، قولهم :

« لاما يومى وهليوبين أنّا ناألوهيم » .

تفسيره :

لِمَ تقولُ الأمم : أين إلآهُهُم ؟ .

وقولهم :

« عورا لاماً ببشان أذوناى هاقيضائتا نيخا » .

= وأن فكرة التوحيد – عند اليهود – فكرة قبلية عنصرية ، ولدت وترعرت على ضفاف الفرات إبان الأسر البابلى ، فإلههم رهيب يستأصل جميع الآلهة الأخرى :

« الرب رهيب عليهم ، فيستأصل جميع آله الأرض » (نبوءة صفنيا ٢ : ١٢)

ولتقرأ ما جاء فى سفر الخروج : ٣٣ : ٧ وما بعدها ، لنرى كيف يخاطب رسولٌ ربّه :

« وقال الرب لموسى : رأيتُ هذا الشعبَ وإذا هو شعبٌ صُلْبُ الرّقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم ، وأفنيهم ... فتضرّع موسى أمام الرب إلّه ، وقال : لماذا ياربُّ يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة ، لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ... **ارجع عن حُمُوِّ غضبك واندم على الشّر** ... فندم الرب على الشر ... » .

هذه صفات ربهم الذين يطلقون عليه (يهوه) أو (أدوناى) أو (أدون) !! .

وتفسيره :

انتبه لِمَ تنام يارب ، استيقظ من رقْدَتك !!! .

وهؤلاء إنّما نطقوا بهذه الهذَيانَات والكُفْريَّات من شدة الضَّجَر من الذُّل والعبودية والصَّغار[1] وانتظار فرج ، لا يزداد منهم إلّا بعدا !! .

فأوقعهم ذلك فى الطيش والضجر ، وأخرجهم إلى نوع من التَّزَنْدُق والهذيان الذى لا تستحسنه إلّا عقولهم الركيكة !! .

فتجرّأوا على الله بهذه المناجاة[أ] القبيحة ، كأنّهم يُنَخُّون اللّهَ بذلك ، لِيَنْتَخِى لهم ، ويحمى لنفسه ، لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك فكأنهم يخبرونه بأنه قد اختار الخمول لنفسه ، ويُنَخُّونه للنَّباهَةِ واشتهار الصِّيت[2] !! .

فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات فى الصلاة ، يقشّعر جلْده ، ولا يشك فى أنّ كلامه يقع – عند الله – بموقع عظيم ، وأنه يُؤَثِّر فى ربِّه ويحركه بذلك ويهزُّه وينخِّيه .

وهؤلاء – على الحقيقة – ينبغى أن يُرْحَمَ جَهْلُهم وضعفُ عقولهم !!! .

وأيضا فإنّ عندهم – فى توراتهم – أنّ موسى صعد الجبل مع مشائخ أمته ، فأبْصَروا اللّهَ جَهْرَةً ، وتحت رجليهِ كرسىّ ، منظره كمنظر البِلَّوْر .

ذلك قوله : « ويرْاو إيث الوهى يسرائيل وتاحث رغلا وكراى لبنات هسفير وخعيصم مشامايم لاظوهر » .

---

(1) يقصد أثناء الأسر فى بابل .

(أ) فى : م : المناجات .

(2) تعالى الله العظيم عما يقولون علواً كبيراً ، فإلههم يحتاج إلى من يبث فيه النَّخْوة ، ويخرجه عن خموله وكسله !! .

وإذا ما وضعنا فى الحسبان ما قلناه فى حاشية الصفحة السابقة ، تأكد لنا أنّ إلههم قَبَلِّى عنصرى ، هم الذين صنعوه واختاروه !! .

ويزعمون أنَّ اللَّوحين ، مكتوبان بأُصْبَع الله فى قولهم : « بأصباع ألوهيم » .

ويطولُ الكتاب ، إذا عدَّدنا ما عندهم ، مِنْ كفريات التجسيم ؛ على أنَّ أحْبارهم قد تهذَّبوا كثيراً ، عن[أ] معتقد آبائِهم ، بما استفادوه مْن توحيد المسلمين[1]

وأعربوا عن تفسير ما عندهم بما يدفعُ عنهم إنكارَ المسلمين عليهم ؛ مما لا تقتضيه الألفاظ التى فسَّروها ونقلوها[2] !! .

وصاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه الفضائح[ب] . اسْتَتَروا بالجحْدِ والبُهْتان[3] ؛ خوفاً من فظيع ما يلزمهم من الشناعة !! .

(أ) فى : م : من .

(ب) فى : م : القبائح .

(1) انظر فى هذا : كتاب الباحث اليهودى : نفتالى فيدر : « التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية » اكسفورد ١٩٤٧ م ، مع ترجمة جيدة للدكتور محمد سالم الجرج ١٩٦٥ م ، وفى الكتاب نماذج من الإصلاحات الدينية التى أدخلها على اليهودية مثلا : إسحق بن ميمون ، وابنه إبراهيم الميمونى وغيرهما .

وانظر للدكتور إبراهيم موسى هنداوى : « الأثر العربى فى الفكر اليهودى » ص ١٣٨ - ١٦٥ طبعة الأنجلو بمصر .

وانظر : « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » بعناية موشى برلمان ، نشرة ١٩٦٧ .

وانظر : « الفكر العربى ومكانه فى التاريخ » لديلاسى أوليرى ، ترجمة الدكتور تمام حسان ، نشرة عالم الكتب بالقاهرة .

وانظر للباحث اليهودى : « جورج فايدا » كتابه « مقدمة للفكر اليهودى فى العصر الوسيط » ترجمها د. على سامى النشار ، وعباس أحمد الشربينى ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م وقد ترجم بعنوان : « الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية » .

(2) وهذا هو التأويل الفاسد ، أو تحريف الكلم عن مواضعه .

(3) واليهود قوم بُهْتٌ ، وهذه شهادة سيدهم وحبرهم عبد الله بن سلام ، رضى الله عنه وأرضاه .

ومن ذلك أنهم يَنْسِبون إلى الله - سبحانه وتعالى - النَّدم[1] على ما يفعل، فمن ذلك قولهم فى التوراة التى بأيديهم :

« ويتناحم أذوناى كى عاشا إث هاأدام باإرض ويتعصب إن لبون » .

تفسيره (٧ب) :

وَنَدِمَ اللَّهُ على خلْق البشر فى الأرْض وشقَّ عليه .

وقد أفرط المترجم، فى تعصُّبه وتحريفه للألفاظ، عن موجب اللُّغَة، وفسرّ « **ويناحم أذوناى** » :

« وثاب أدوناى بميمره » **يعنى « وعاد الله فى رأيه » !!** .

وهذا التأويل، وإنْ كان غير موافق لِلُّغة، فهو **أيضاً كفر ! ؛ بل مناقض لما يدفعونه من الْبَدَاءِ والنّسخ !!** .

وأمّا الدليل على أنّ تفسير « ويتعصيب أل لبو » : « **وشق عليه** » ، فهو ما جاء فى مخاطبة حواء عليها السلام :

« سَعيصَبْ تليدى بانيم » .

تفسيره :

« وبمشقةٍ تلدين الأوْلاد » .

فقد تبيَّن أن ال « عيصب » فى اللّسان العبرانى هو المشقة . وهذه الآيةُ - عندهم - ، فى قصة قوم نوح . زعموا أن الله تعالى، لمّا رأى فساد قوم نوح، وأنّ شرهم وكفرَهم قد عظما، ندم على خلق البشر وشق عليه،

---

(١) انظر فى ذلك : كتاب علاء الدين الباجى المتوفى ٧١٤ هـ « على التوراة » نشرة دار الأنصار بمصر ١٩٨٠ م ١٤٠٠ هـ .

ولا يعلَمُون[أ] البُلْهُ ، أنّ مَنْ يقول بهذه المقالة ، لزمه أنَّ الله ، قبل أنْ يخلق البشر ، لم يكن عالماً بما سيكون من قوم نوح ، وغير ذلك من النقص ، تعالى الله عمّا يكفرون .

وعندهم أيضاً أنّ الله تعالى قال لشموائيل النبى – عليه السلام – :

« نيحا متى كى هملاخى إن شاو الميلخ على يسراييل » .

تفسيره :

« نَدِمت إذْ[ب] ولَّيْتُك (شاؤول) مَلِكاً على بنى إسرائيل » .

وفى موضع آخر من سفر شموائيل[ج] :

« وأذوناى نيحام كى هميليخ إنى شااول على يسراييل » .

تفسيره :

« والله ندم على تمليكه شاؤول على إسرائيل » .

وأيضاً فإنَّ عندهم أن نوحاً النبىَّ عليه السلام ، لمّا خرج من السفينة بدأ ببناء مَذْبَح لله تعالى ، وقَرَّب عليه[د] قرابين ، ويتلو ذلك .

« ويارح أذوناى اث دييح هنيجو وح ولومر أذوناى ال لبو لواسيف عوذ لقليل إث هااذا ماعا عبورها إذا م كى ييصير ليب هااذ ام راع منعور او ولو اوسيف مود لهلكوث إث كل حاى كا اثير عاسيثى » .

(أ) فى الأصل وفى : م : يعلمون البُلْهُ ، وهى على لغة : (يتعاقبون فيكم ملائكة) .

(ب) فى : م : أنى .

(ج) فى : م : مصاحفهم .

(د) ساقطة من : م .

تفسيره :

« فاستَنْشَقَ اللَّهُ رائِحةَ القُتَار[١] ، فقال اللَّهُ تعالى ، فى ذاته : لَنْ أُعاود لعنة الأرض بسبب النَّاس ؛ لأنَّ خاطر البشر مطبوع على الرداءة ، ولن أعاود إهلاك جميع الحيوان ، كما صَنَعْتُ !! » .

ولسنا نرى أنَّ هذه الكفريات ، كانت فى التوراة المنزَّلةِ على موسى ، صلوات الله عليه .

ولا نقول – أيضاً – إنّ اليهودَ قصدوا تغييرها وأفسادها[٢] ، بل الحق أولى ما اتُّبع ! ونحن نذكر الآن حقيقة سبب تبديل التوراة .

ذِكْـرُ السَّبَـبِ فى تبديـل التَّـوراة

علماؤهم وأحبارهم يعلمون[أ] ، أنّ هذه التّوراة التى بأيديهم – لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم – ، أنها المنزَّلة على موسى البتّة[٣] ؛ لأن موسى ،

---

(١) القُتار – فى لسان العرب – بضم القاف : ريح القِدْر ، وفى حديث جابر – رضى الله عنه – : « لا تؤذ جارك بقتار قِدْرِك » هو ريح الشِّواء والقدر ، ونحوهما .

(٢) لعله يقصد بقوله : « ولا نقول أن اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها » أن جميع اليهود لم يغيروا ، لكن الذين غيّروا التوراة فئةٌ منهم ، وبقية الناس كانوا أميين لا يعرفون الكتاب ، أو أن بعض فئات اليهود لم تقبل التحريف .

أما الجملة على إطلاقها ، فموهمة ، وإن كلامه الذى ذكره فى السطور التالية ، يؤكد قراءتنا لهذه العبارة ، التى سبق بها قلم السّموأل .

(أ) العبارة فى م : مختلفة عن ذلك « لا يعتقد أحد من علماء اليهود وأحبارهم .. ! » .

(٣) يحسن بالقارىء أن يراجع الكتب التالية ، التى تدرس هذه النقطة بشىء من التفصيل : =

= – « الملل والنّحل » : للشهرستانى .
– « الفِصَل فى الملل والأهواء والنّحل » : لابن حزم الأندلسى .
– « التوراة تاريخها وغاياتها » ، لعالم لاهوتى أمريكى ، ترجمة سهيل ديب نشر دار النفائس . بيروت .
– « التلمود : تاريخه وتعاليمه » ، لظفر الإسلام خان ، الطبعة الثانية . بيروت .
The "Fewish Encyclopaedia"
الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٠٣/١٩٠٥ .
– "Fewish Universal Encyclopaedia"
New York 1948
– "Hebrew Literature", Joseph
Baraclay, New York 1901
– "Lectures on the Religions of Semites
للبروفيسور وليام روبرتسن London 1927
– "The Talmud", Tr. h. Polano, London
Frederick & Co
– "The Mishnah Treatise Sanhedrin"
Dr. Samuel Krauss, Leiden, 1909
– « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة » ، للقرافى مخطوط ، ورقة (٥٤ب) وما بعدها ، فهو ينقل كلام السموأل بحروفه دون إشارة .
وانظر « إظهار الحق » ، لرحمة الله الهندى كذلك .
– كتاب مسالك النظر فى نبوّة سيد البشر ، للمهتدى ، حسن الإسكندرانى ، الذى هداه الله إلى الإسلام ، بعد أن كان على اليهودية فى القرن الثامن الهجرى سنة ٧٢٠ هـ/١٢٩٨ م ونشر هذه الرسالة مع مقدمة وترجمة إلى الإنجليزية ، المستشرق : (Sidney Adams Weston)
ونشرها فى :
Fournal of the American Oriental
Society, vol 24, part 2, 1903.
– البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ، تأليف صالح بن الحسين . مخطوط بالآستانة بتركيا . ودار الكتب المصرية .

صان التوراة عن بنى إسرائيل ، ولم يبثها فيهم . وإنّما سلّمها إلى عشيرته ، أولاد لِيْوى ، ودليل ذلك قول التوراة (٨أ) :

« ويختوب موشى إث هتورا هزوت ويتناه ال هكوا هنيم بنى ليوى » .

تفسيره :

وكتب موسى هذه التوراة ، ودفعها إلى الأئمة بنى ليوى .

وكان بنو هارون قضاةَ اليهود وحكامهم ، لأن الإمامة ، وخدمةَ القرابين وبيتَ المقدس ، كانت موقوفةً عليهم .

ولم يبذل موسى من التوراة لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها : « هاأزينو » .

فإنّ هذه السورة من التوراة ، هى التى علّمها موسى بنى[أ] إسرائيل ، ذلك قوله :

« ويختوب موسى إلى هئسيرا هزوث ويلمذاه لبنى يسرايل » .

تفسيره :

وكتب موسى هذه السورة وعلّمها بنى[ب] إسرائيل .

وأيضاً فإنّ الله قال لموسى عن هذه السورة :

« وهايت الى هشيرا هزوث لعيد ببنى يسرايل » .

وتفسيره :

وتكون لى هذه السورةُ ، شاهداً على بنى إسرائيل .

وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة :

(أ، ب) فى : م لبنى .

« كى لوتشا خاخ مفى زرعون » .

تفسيره :

لأنَّ هذه السورةَ لا تُنسى ، من أفْواه أولادهم .

يعنى أن هذه السورة ، مشتملةٌ ، على ذم طباعهم ، وأنّهم سيخالفون شرائع التوراة ، وأنّ السخط يأتيهم بعد ذلك ، وتخرَّب ديارهم ويُشتَّتون فى البلاد .

قال :

فهذه السورة تكون متداولةً فى أفواههم ، كالشّاهد عليهم ، الموافق لهم على صحة ما قيل لهم . فهذه السورة ، لمّا قال الله تعالى عنها أنها[أ] « لا تُنسى من أفواه أولادهم » ، دلّ ذلك على أنّ الله تعالى علِم أنّ غيرها من السُّورَ تُنسى .

وأيضا فإنّ هذا دليل على أن موسى لم يُعطِ بنى إسرائيل ، من التوراة ، إلّا هذه السورة . فأمّا بقيّةُ التوراة ، فدفعها إلى أولاد هارون ، وجعلها فيهم ، وصانها عن سواهم .

وهؤلاء الأئمة الهارونيون ، الذين كانوا يعرفون التوراةَ ، ويحفظون أكثرها ، قتلهم (بُخْت نصَّر)[١] على دمٍ واحد ، يوم فتح بيت المقدس .

(أ) (عنها أنها) سقطت من : م .

(١) (بخت نصر) قائد بابلى ، غزا القدس سنة ٥٨٦ ق.م وخرّب هيكل سليمان ، وأسر سبعين ألفاً ، وساقهم أمامه إلى بابل ، وهم معظم يهود العالم آنذاك ، أما رواية (التلمود) عن تدمير الهيكل فتقول :

« عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها ، وفاقت حدود ما يطيقه الإلّه العظيم ، وعندما رفضوا أن ينصتوا لتحذيرات أرمياء ، ترك أرمياء أورشليم ... وعندما هجرها إلى بنيامين دمّر نبوخذ نصر بلاد إسرائيل وحطم الهيكل المقدس ، ونهب مجوهراته ، وتركه فريسة للنيران الملتهبة . =

ولم يكن حِفْظُ التوراة فَرْضاً ولا سُنَّة ، بل كان كل واحدٍ ، من الهارونيين ، يحفظ فصْلاً من التوراة .

فلّما رأى (عِزْرا)[1] أنّ القوم قد أُحْرِق هيكلهم ، وزالت دولتهم ، وتفرّق جمعهم ، ورُفع كتابهم ، **جمع من محفوظاته ، ومِنْ الفصُول التى يحفظها الكهنة ، ما لفّق منه هذه التوراة التى بأيديهم الآن** .

= «فذبح نبوخذ نصر ، سكان أورشليم ، وكهنتها ، وشعبها ، كهولها وشبابها ، نساءها وأطفالها» .

« ثم ضرب جنود نبوخذ نصر السلاسل الحديدية فى أيدى باق الإسرائيليين ، وساقوهم إلى السَّبى » .

The Talmud, h. Ploano, P.P 319-320

عن كتاب (التلمود : ظفر الإسلام خان ص ٦٨) .

(أ) تبدأ نسخة الظاهرية من قول : (رجل فارغ جاهل بالصفات ... إلخ) .

(ب) فى : م (ما مضى من) .

(جـ) وغير ذلك ، سقطت من : م .

(١) كان (عزرا) خادماً للملك الفرس ، وكان حظياً عنده ، فتوصَّل إلى بناء بيت المقدس ، بعد أن خربه بخت نصر ، وكتب لليهود التوراة التى بأيديهم لذا فقد كان يسمّى بالكاتب أو الناسخ . وهو غير (عزير) المعروف (إفحام اليهود) المخطوط .

ويقول صاحب التوراة : تاريخها وتعاليمها ص ٤٧ من الترجمة العربية :

(عزرا) هو أول الكتبة ومعه ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين وضعوا التوراة والشريعة الشفهية ، والتى سيطرت لقرون عديدة على عقول ومقدرات اليهود ، وكان للكتبة هؤلاء حزب منظم ، هو حزب (الفرِّيسيين) ، وهم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخامين ، أى معلمى الشريعة » .

وتقول (الموسوعة اليهودية) أمام كلمة (كتبة) :

« هم هيئة من المعلمين ، كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب ، وقد ابتدأ تنظيمهم على يد (عزرا) ، الذى كان رئيسهم ، وهؤلاء الكتبة كانوا أوّل من علّم التوراة ، وهم واضعو الشريعة الشفهية » .

و (لعزرا) هذا سفرٌ توجت به ، وبسفر نحميا ، أسفارهم وفيهما وصف للظروف =

ولذلك ، بالغوا فى تعظيم (عزرا) هذا ، غاية المبالغة ، وزعموا أنّ النُّور – إلى الآن – يظهر على قبره ، الذى عند بطائح العراق ؛ لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم .

فهذه التوراة التى بأيديهم – على الحقيقة – ، (كتاب عزرا) ، وليس كتاب الله !![1].

= التي جرت بها القراءة الأولى للشريعة الموسوية (بعد تعديلها وتبديلها) ، على اليهود المحطمى المعنويات ، فى الأسر ، ومن هنا ، قبل اليهود عزرا الكاتب ، ونحميا الحاكم رؤساء لهم .

وتذكر الموسوعة اليهودية ، أنه قد أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية بعد (حزقيال) ، كما أعيد وضع جميع الكتب المقدسة السابقة المخالفة للنصوص الجديدة . (التوراة) ص ٢٧ .

وتقول الموسوعة اليهودية أيضاً : وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين ، منظمة حسب تعليمات الفريسيين (المنشقين) ، كما أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية ، وأعطى وجه جديد للتشريعات السابقة « السنهدرين » ، كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد محل التقاليد السابقة القديمة ، وقد كيّفت الفريسية طبيعة اليهود ، وكذلك حياة اليهود وتفكيرهم عن المستقبل .

« إنّ الأسس التاريخية لهذه العقيدة (اليهودية المعدَّلة) قد أعطيت لليهود فى تشريعات عزرا ونحميا حوالى ٤٠٠ ق.م ، ثم عدلت ونقحت فى القرون التالية ، فى الشريعة غير المكتوبة ، وتلمود بابل » (انظر : التوراة ، ص ١٦ ، ١٧)

أما القرآن العظيم فقد أخبرنا بجريمة تحريفهم للتوراة بفيض غزير من الآيات البينات ، انظر فى هذا :

- اليهود فى القرآن الكريم : محمد عزة دروزة ، المكتب الإسلامى بيروت .
- معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، د. عبد الستار فتح الله سعيد .
- وإظهار الحق لرحمة الله الهندى ، ورسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوزا .

(١) وانظر فى ذلك كتاب الإمام أبى المعالى الجوينى المتوفى ٤٧٨ هـ « شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل » ، حيث يقول :

« إن التوراة التى بيد اليهود الآن : هى التوراة التى كتبها : عِزْرا الورّاق ، بعد فتنتهم مع (بخت نصر) ... وهذه النسخة كتبها عزرا ، قبل بعثة المسيح ، عليه السلام ، بخمس

وهذا يدلّ على أنّه . أعنى الذى جمع هذه الفصول ، التى بأيديهم ، رجل[أ] فارغ جاهل بالصفات الإلّهية ، فلذلك نسب إلى الله تعالى ، صفات التجسيم[١] والنّدامة على ماضى[ب] من أفعاله والإقلاع (٨ب) عن مثلها وغير ذلك[جـ] ، مما تقدم ذكره .

وأيضاً ، فمما يستدل به على بطلان ،تأويلاتهم ، وإفراطهم فى التعصُّب ، وتشديد الإصْرِ ، ما ذكروه فى تفسير هذه الآية :

« ريست بكورى إذ ماشخا تخا تابى بيث أذوناى ألوهيخا لو تبشيل كدى باحليب أمو » .

تفسيره :

« بكور ثمار أرضك ، تُحملُ إلى بيت الله ربك ، لا تنضج الجدى بلبن أمه » .

= مائة وخمس وأربعين سنة ... » ص ٣١ ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ .

(١) [هذا وإن كان بعض الباحثين المعاصرين ، يحاول - جاهداً - أن ينزّه اليهود عن القول بالتجسيم ، وأن ينفى عن كتابهم ذلك ، وهذا - فى الواقع - رأى ابن كمونة اليهودى المتوفى سنة ٦٨٣ هـ فى كتابه : « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » انظر الفصل الثانى من هذا الكتاب من ص ٢٢ - ٥٠ ، نشرة ١٩٦٧] .

انظر للدكتور أحمد حجازى السقا : كتاب « الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام » ، ص ١٤ - ٤٠ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ، نشر دار النهضة العربية بمصر ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م .

* يذكر الإمام أبو المعالى الجوينى أن السبب الحامل لعزرا على تبديل التوراة هو (الرياسة) ويذكر : أن رياسة بنى إسرائيل كان شأنها عظيماً !! .

. وتتفق معه الدراسة التى أجراها لاهوتى أمريكى وترجمها (سهيل ديب) بعنوان « التوراة : تاريخها وغاياتها » (نشر دار النفائس ، ط ٤ ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م . ومع تحليل السّموأل الذى نحن بصدده .

والمراد من ذلك ، أنهم أمروا ، عقيب افتراض الحج عليهم ، أن يستصحبوا معهم ، إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم ، وأبكار مُستغلّات أرضهم ؛ لأنهم قد كان فرض[أ] عليهم ، قبل ذلك ، أن تبقى سخولةُ البقرة والغنم وراء أمهاتها ، سبعة أيام ، ومن اليوم الثامن ، فصاعداً ، تصْلح أنْ تكون قرباناً لله تعالى .

فأشار فى هذه الآية فى قوله :

« لا تنضج الجدْىَ بلبن أمه » .

إلى أنهم لا يبالغوا فى إطالة مُكث[ب] بكور أولاد الغنم والبقر وراء أمهاتهن ، بل[ج] يستصحبوا أبكارهن اللاتى قد عَبْرن سبعة أيام ، من ميلادهن ، معهم ، إذا حجّوا إلى بيت المقدس ، ليتخّذوا منها القرابين .

فتوهّم المشائخُ البُلْهُ ، المترجمون لهذه الآية ، والمفسّرون لمعانيها ، أنّ المشرِّع يريد بالإنضاج ، هنا إنضاج الطبيخ فى القدر .

وَهَبْهُم صادقين فى هذا التفسير ، فلا يلزم من تحريم الطبخ ، تحريمُ الأكل إذْ لو أراد المشرِّع الأكل[د] ، لما منعه مانع ، من التصريح بذلك .

وما كفاهم هذا الغلط فى تفسير هذه اللفظة ، حتى حرّموا أكلَ سائل اللحمان باللبن .

وهذا مضافٌ إلى ما يستدل به على جهل المفسِّرين والنَّقَلَة ، وكذبهم على الله تعالى وتشديد الإصر[هـ] على طائفتهم .

(أ) فى ظ : لأنه قد فرض عليهم .
(ب) سقطت من الأصل .
(جـ) سقطت من الأصل .
(د) فى ظ : تحريم الأكل .
(هـ) فى ظ : الأكل وهو خطأ .

فأمّا[أ] الدَّليل على تفسير « تبشيل » : الإنضاج الذى هو البلوغ ، فهو قول رئيس السقاة ليوسف الصِّدِّيق ، وهما[ب] فى السِّجن إذ شرح له رؤياه ، فقال فى جملة كلامه : « ويكيفن شلوشا ساريفيم وهى حفوراحث عالثا نصّاه هبشيلو سكلوثيها غنايين » .

تفسيره :

وفى الكَرْمَةِ ، ثلاثةُ عناقيد ، وهى كأنَّها قد أثمرت ، وصعد نوّارُها ، ونضجت عنا قيدها عِنباً .

فقد تَبيّن أنّ الإنضاج الذى يعبّر عنه بال « هبشيلو » إنّما هو البلوغ .

ولا ينبغى للعاقل ، أن يستبعد اصطلاحَ كافة هذه الطائفة على المُحال ، واتفاقهم على فنون من الكفر والضلال !! .

فإنّ الدولة ، إذا انقرضت عن أمةٍ باستيلاء غيرها عليها وأخذها بلادَها ، انطمَسَتْ حقائق سالف أخبارها ، واندرس قديم آثارها ، وتعذّر الوقوف عليها لأنّ الدولة إنما يكون زوالها عن أمة ، بتتابع الغارات والمصادمات ، وإخْراب البلاد ، وإحراق بعضها . فلا تزال هذه الفنُون متتابعةً عليها إلى أن تستحيل علومها جهلاً ، (....)[جـ] وكلّما كانت الأُمة أقدم ، واختلفتْ عليها الدولُ[د] المتناولة لها[و] بالإذْلال[هـ] والإيذاء ، كان حظها من اندراس الآثار أكثر .

(أ) فى : م : فالدليل (فقط) .

(ب) فى ظ : وهو .

(جـ) فى الأصل كلمتان لم استطع قراءتهما ، ويبدو انهما : أكثرها قلّا .

(د) فى : م : الدولة .

(و) فى : م : بها .

(هـ) الإيذاء : سقطت من (ظ) .

وهذه الطائفة ، بلا شك ، أعظم ، الطوائف (٩أ) حظاً مما ذكرناه ؛ لأنها من أقدم الأمم عهداً ، ولكثرة الأمم التى استولت عليها من : الكنعانيين ، والبابليين ، والفرس ، واليونان[١] ، والنصارى ، والإسلام .

وما من هذه الأمم إلّا من قصدهم أشدَّ القصد ، وطلب استئصالهم ، وبالغ فى إحراق بلادهم وإخرابها وإحراق كتبهم ، إلا المسلمين .

فإن الإسلام ، صادف اليهود تحت ذِمَّة الفرس ، ولم يبق لهم مدنية ، ولا جيش ، إلّا العَرب المتهوِّدة بخيبر[ب] .

فأشدُّ على اليهود من جميع هذه الممالك ، ما نالهم من ملوكهم العُصاة ، مثل : (أحاب) و(أحزيا) و(أمصيا) و(يهورام) و(يربعام بن نباط) . وغيرهم من الملوك الإسرائيليين ، الذين قتلوا الأنبياء ، وبالغوا فى تطلّبهم ليقتلوهم ، وعبدوا الأصنام ، وأحضروا من البلاد سدنةً للأصنام لتعظيمها وتعليم رسوم عبادتها ، وابتنوا لها البِيَع العظيمة[جـ] ، والهياكل ، وعكف على عبادتها الملوك ، ومعظم بنى إسرائيل وتركوا أحكام التّوراة والشرع مدةً طويلة وأعصاراً متصّلة !! .

(أ) فى : م : الكسدانيين ، وكذا فى ظ .

(ب) فى الأصل : بخيابر ، وكذا فى ظ ، وهى لغة فيها .

(١) أغار سرجوس الإغريقى على السّامرة بسنة ٧٢١ ق.م واحتلها .

– وفى سنة ٥٨٦ ق.م أغار بخت نصر على مملكة يهودا ، التى كانت عاصمتها (أورشليم) .

– وفى سنة ٥٥٠ ق.م. ألحقت فلسطين بدولة الفرس .

– وفى سنة ١٦٠ م احتلّها الرومان .

– بقيت كذلك إلى أن دخلها الإسلام ، وفتحها الخليفة عمر بن الخطاب .

(جـ) سقطت من (ظ) .

فإذا كان هذا تواتر الآفات ، على شرعهم[أ] ، من قِبل ملوكهم ، ومنهم على أنفسهم ، فما ظنُّك بالآفات المُتَفَتِّنَةِ التى تواترت عليهم ، من استيلاء الأمم ، فيما بعد ، عليهم ، وقتل أئمتهم ، وإحراق كتبهم ، ومنعهم إياهم عن القيام بشرائعهم .

فإنّ الفرس كثيراً ما منعوهم عن الختانة ، وكثيراً ما منعوهم عن الصّلاة ، لمعرفتهم أنّ معظم صلوات هذه الطائفة ، دعاءٌ على الأُمم بالبوار ، وعلى العالم بالخراب ، سوى بلادهم التى هى أرض كنعان .

فلما رأت اليهود الجِدَّ من الفرس ، فى منعهم عن الصلاة ، اخترعوا أدْعية ، مزجوا بها فصولاً من صلاتهم[١] ، وسموها (الخزانة) ، وصاغوا لها ألحاناً عديدة ، وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها .

والفرق بين هذه (الخَزانة) وبين الصلاة ، أن الصلاة بغير لحن ، وأنّ المصلِّىَ يتلو الصلاة وحده ، ولا يجهر معه غيره ، وأمّا الخزَّان ، فيشاركه جماعة فى الجهر بالخزانة ، ويعاونونه فى الألحان ! . فكانت الفرس إذا أنكرت ذلك منهم ، زعمت اليهود أنّهم يغنُّون أحياناً ، وينوحون أحياناً على أنفسهم ، فتركوهم وذلك .

ومن العجب أنّ دولة الإسلام ، لما جاءت مُقِرَّةً للذّمة على أديانها ، وصارت الصلاة مباحةً لهم ، صارت (الخزانة) عند اليهود من السُّنن المستحبة فى الأعياد والمواسم والأفراح ، يجعلونها عِوَضاً عن الصلاة ويستغنون بها عنها ، من غير ضرورة تبعثهم على ذلك .

---

(١) قارن كتاب : التوراة ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(أ) فى ظ : عليهم بدلاً من على شرعهم .

فصـــل فيمـــا يعتقدونـــه فى ديـــن الإســـلام

هم يزعُمون أنّ المصطفى ﷺ ، وشرَّف ، وعظَّم ، وكرَّم ، كان قد رأى أحلاماً ، تدلّ على كونه صاحب دولة ، وأنّه سافر إلى الشام ، فى تجارة لخديجة (٩ب) ، رضوانُ الله عليها واجتمعَ بأحبار اليهود ، وقصَّ عليهم أحلامه ، فعلموا أنه صاحب دولة ، فأصحبوه (عبد الله بن سلام)[١] ، فقرأ عليه علوم التوراة وفِقْهَهَا مدة .

زعموا وأفرطوا فى دعواهم إلى أنْ نسبوا الفصاحةَ المعْجزةَ التى فى القرآن ، إلى تأليف عبد الله بن سلام ، وأنّه قرّر فى شرع النكاح أنّ الزوجة لا تستحل بعد الطَّلاق الثالث إلّا بنكاح آخر[أ] ، ليجعل - بزعمهم - أولاد المسلمين « ممزريم » .

وهذه كلمةُ جمعٍ ، واحِدُهُ « ممزير » وهو اسم لولد الزنا ؛ لأنّ فى شرعهم أن الزوج ، إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره ، كان أولادهما معدودين من[ب] أولاد الزنا .

---

(١) جاء فى صحيح البخارى ، عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - أن عبد الله بن سلام ، سأل النبى ﷺ : ..... فقال ﷺ : « وأمّا الشّبه فى الولد فإنّ الرجل إذا غَشِيَ المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبقت كان الشبه لها » .

قال عبد الله بن سلام رئيس أحبار اليهود آنذاك : أشهد أنك رسول الله ، فآمن رضى الله عنه .

وانظر سيرة ابن هشام ، جـ ٢ ص ٥١٥ - ١١٦ ، ٥٥٧ - ٥٧١ بتحقيق مصطفى السقا وآخرين ، تصوير مؤسسة علوم القرآن بدمشق .

(أ) فى ظ : رجل آخر .

(ب) فى ظ : فى .

فلما كان النَّسخ مما لا ينطبع فهمه فى عقولهم ، ذهبوا إلى أنّ هذا الحكم فى النكاح[أ] ، من موضوعات عبد الله بن سلام ، قَصَدَ به ، أنْ يجعل أولاد المسلمين « ممزريم » بزعمهم !! .

ثم أكثر العجب منهم ، أنهم جعلوا داود النبى – عليه السلام – « ممزير » من وجهين ، وجعلوا مُنْتَظَرَهُمْ « ممزير » من وجهين .

وذلك أنّهم لا يشكُّون فى أنّ داود بن بشاى بن عابد ، وأبو هذا : عابد يقالُ له : (بوعز) من سبط يهوذا ، وأمُّه يقال لها (روث المؤّابية) من بني مؤاب ، ومؤاب هذا منسوبٌ عندهم ، فى نصّ التوراة ، فى هذه القصة ، وهى أنّه لمّا أهلك الله تعالى أُمَّةَ لُوط لفسادها ، ونجا بابنتيه فقط ، خالتا ابنتاه أنَّ الأرض قد خلت مِمَّن تستبقيان منه نَسْلاً . فقالت الكبرى للصغرى :

إنَّ أبانا لشيخٌ . وإنسانٌ لم يَبْقَ فى الأرض ليأتينا كسبيل البشر ، فهلُمّى[ب] نسقى أبانا خمراً ، ونضاجعه ، لنستبقى من أبينا نَسْلاً !! .

ففعلتا ذلك ، بزعمهم – لعنهم الله[ج] – وجعلوا ذلك النّبى قد شرب الخمر حتى سكر ، ولم يعرف ابنتيه ، ثم وطئهما فأحْبَلهُما ، وهو لا يعرفهما .

فولدت إحداهما ولداً سمّته (مؤاب) ، تعنى : أنه من الأب والثانية سمّت ولدها (بن عمى) ، تعنى : أنه : من قبيلتها .

وذلك الولدان عند اليهود « ممزريم » ضرورة ، لأنهما من الأب وابنتيه .

فإن أنكروا ذلك ، لأنّ التوراة لم تكن نزلت ، لزمهم ذلك ؛ لأنّ عندهم

(أ) فى ظ : شرع النكاح .
(ب) من هنا إلى نهاية المخطوط ساقط من نسخة : (ظ) .
(ج) سقطت هذه الجملة الوعائية من : م ، وهذا يتكرر كثيراً ، بشكل يستوقف النظر !!! .

أن إبراهيم الخليل عليه السلام لمّا خاف فى ذلك العصر مِنْ أنْ يقتله المصريون بسبب زوجته ، أخْفى نكاحها ، وقال هى أختى - علْماً منه بأنّه إذ قال ذلك ، لم يبق للظنون إليهما سبيل .

وهذا دليل على أنّ حظر نكاح الأُخت ، كان فى ذلك الزمان مشروعاً .

فما ظنك بنكاح البنت !! الذى لم يجز[أ] ، ولا فى زمن آدم عليه السلام .

وهذه الحكايةُ منسوبةٌ إلى لوط النبىّ ، فى التوراة الموجودة بأيدى اليهود[1] ، فلن يقدروا على جحدها فيلزمهم من ذلك أنّ الولدين المنسوبين إلى لوط : ممزريم ، إذ توليدهما على خلاف المشروع .

(أ) فى : م : لا يجوز .

(١) وردت هذه القصة الأثيمة فى سفر التكوين (١٩ - ٣٠ - ٣٨)

« وصعد لوط من صوعر ، وسكن فى الجبل وابنتاه معه ، ... فسكن فى المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس فى الأرض من رجلٍ ليدخل علينا كعادة كلّ الأرض ، هلُمّ نسقى أبانا خمراً ، ونضطجع معه ، فنُحْيى من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ، ودخلت البكر ، واضطجعت مع أبيها ؛ ولم يعلم باضجاعها ولا بقيامها .... فسقتا أباهما خمراً ، فى تلك الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة ، واضطجعت معه ... ، فحملت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ، ودعته مؤاب ؛ وهو أبو المؤابيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى ؛ وهو أبو بنى عمون إلى اليوم » .

(ص ٢٩ من ترجمة البروتستانت)

والمؤسف أن واضع هذه القصة قد فاته أن يذكر لنا كيف أصبح ابنا بنتى لوط - عليه السلام - رأسى قبيلتين ، وليس على وجه الأرض نساء يدخلان عليهن !! هل دخلا على أُمّهمَا !! ، لعلّ ذلك ما أراد أن يقوله المفترون على أنبياء الله ورسله ، صلوات الله عليهم وسلامه ، لكن سكتوا عنه لفطنة القارىء .

- ولقد جاء فى صحيح البخارى أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب قط إلّا ثلاث كذبات : ثنتين فى ذات الله عز وجل : قوله : (إني سقيم) وقوله : (بل فعله كبيرهم) ،

وإذا كانت (روث) من وَلَدِ مؤاب ، وهى جدّة داود[1] عليه السلام وجدةُ مسيحهم المنتظر ، فقد جعلوهما جميعاً من نسل الأصل الذى يطعنون فيه .

وأيضاً فمن أفْحش المحال ، أنّ (١٠ أ) يكون شيخٌ كبير قد قارب المائة سنةَ ، قد سقى الخمر حتّى سكر سكراً حال بينه وبين معرفة ابنتيه ، فضاجعته إحداهما واستنزلت منيَّه ، وقامتْ عنه وهو لا يشعر ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون[أ] ، نطق كتابهم فى قوله :

« ولو ياذاع بشخبا وبقوماه » .

= وقال : بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جّبارٍ من الجبابرة ، فقيل له : إنّ هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه ، فسأله عنها ، فقال : من هذه ؟ قال : أختى . فأتى سارة قال : يا سارة ، ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك ، وأن هذا سألنى عنك ، فأخبرته أنك أختى ، فلا تكذّبينى .... الخ .

انظر : (فتح البارى شرح صحيح الإمام البخارى) لابن حجر العسقلانى ، المجلد السادس ص ٣٨٨ وما بعدها . (وإنّ فى المعاريض لمندوحة) والفرق بين ما جاء فى السنة المطهرة وكتب اليهود هو الباعث والدافع الذى دفع إبراهيم عليه السلام ليسلك هذا المسلك ؛ إذ صوّرته التوراة بصورة المتاجر بعرضه المتكسِّب بجمال زوجه ... إلخ .

انظر : سفر التكوين ١٢ : ١١ - ١٦ ، ٢٠ : ١ - ١٨ .

أمّا فى السُّنة فهو يريد حفظ حياته حرصاً على تبليغ الدعوة : (يا سارة ، ليس على وجه الأرض مؤمنٌ غيرى وغيرك ...) .

(أ) فى : م : سقطت هذا الجملة الدعائية !! .

(١) لليهود موقف عجيب من أئمة الهدى ، وصَفْوة خلق الله ، المصطَفَيْن ، رسل الله جميعا ؛ فلا يكاد يفلت نبى من افتراء وبهتان بنى إسرائيل .

– فهذا شيخ الأنبياء الصبور الشكور « نوح عليه السلام ، يصورونه سكيراً عربيداً ، يتعرّى داخل خبائه ، حتى يرى عورته أصغر أبنائه فيسخر منه مع إخوانه ... إلخ » (الإصحاح التاسع من سفر التكوين)

– وهذا لوط ، النبى الكريم الذى آتاه الله حكماً وعلماً ، يزنى بابنتيه ، وتحملان منه سفاحاً . (تكوين : ١٩ - ٣٠ - ٣٧) =.

– وأبو الأنبياء إبراهيم ، الخليل ، الأواه الحليم ، يصوّرونه رجلاً مادياً شرهاً نهماً ، لا همّ له إلّا جمع المال ، حتى أنه ليتاجر بزوجته الحسناء ، عند الملوك ، ليأكل ويربح ، بهذا الطريق !!! (تكوين ١٩ ، ٢٠) .

وكبار أنبيائهم ، لم يسلموا من ذلك ، بل أوغلوا بهم فى الخطيئة والدنس أكثر من غيرهم .

– لقد دنّسوا صورة أبيهم يعقوب (إسرائيل) فصوّروه (سارق نُبوّة) من أخيه ، ومستحلّا استغفال أبيه . (تكوين ٢٧)

– أمّا داوود – عليه السلام – فهم يرمونه بالزنى مع امرأة واحد من جنوده المجاهدين فى سبيل الله ، ثم يقصُّون – بهتانا – كيف احتال داوود على الجندى من أجل أنْ يضاجع زوجته ؛ حتى ينسب إليه الحمل ، ولما أبى الجندى أنْ يذهب إلى بيته ، تآمر عليه داوود ، ليستر جريمته ، بجريمة قتل المجاهد ، ثم يعاقب الله تعالى داوود – فيما يزعمون – فيسلّط عليه ابنه « أبشالوم » ، فينزع منه ملكه ، ويزنى بسراريِ أبيه أمام جميع إسرائيل . وقبل هذا كان « أبشالوم » قد قتل أخاه (أمنون بن داوود) لأنه زنى (بثامار) شقيقة « أبشالوم » .
(صموئيل الثانى ١١)

– وسليمان – عليه السلام – هو – بزعمهم وبهتانهم – ابن هذه المرأة الزانية ، التى زنى بها داوود ، وقتل زوجها ، ثم تزوجها ، من بعد !! وهو الذى أمالَتْ نساؤه الأجنبيات « قلبه وراء آلهة أخرى » (الملوك الأول ١١)

وهو صاحب « نشيد الإنشاد » ذلك الغزل الداعر الماجن الرخيص الذى ينسبونه إلى النبى الطاهر الكريم ، ويتعبّدون بتلاوته على أنه وحى مقدّس !! من عند الله .
(نشيد الإنشاد)

– ورأيهم فى رسول الله هارون – عليه السلام – قد أشرنا إليه فيما سبق ، من أنه صنع لهم العجل الجسد الذى له خوار من حليهم ، وتعبدّهم له (خروج ٣٣)

– ورأيهم فى يوسف ، وعيسى ، ومحمد – صلى الله عليهم وسلم – على هذا النمط من الإفك ، والكذب ، والبهتان ، والعدوان ، والكفر .

والعجيب حقاً هو نسبتُهم هذه الافتراءات الآثمة المجرمة إلى وحى الله ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً .

﴿ فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ؛ ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون ﴾ [سورة البقرة : آية = ٧٩] .

تفسير :

ولم يشعر باضطجاعها وقيامها .

وهذا حديث مَنْ لا يعرف كيفية الحَبَل ؛ لأنه من المحال أن تهلق المرأة من شيخٍ طاعن فى السنّ ، قد غاب حِسُّه لِفَرْطِ سكره .

ومِمّا يؤكد استحالة ذلك ، أنهم زعموا أنّ ابنته الصغرى فعلت كذلك به ، فى الليلة الثانية ، فعلقت أيضاً . وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أنْ يُعْلَقَ مِنْ أحدهم فى ليلة ، ويُعلق منه أيضاً فى الليلة الثانية ، **إلّا أنَّ العداوةَ التى مازالت بين (بنى عمون ومؤاب) وبين بنى إسرائيل ، بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال ، ليكون أعظم الأخبار فُحشاً فى حق بنى عمون ومؤاب !!!** .

وأيضاً فإنَّ عندهم ، أن موسى جعل الإمامة فى الهارونيين[1] فلمّا ولى طالوت ، وثقلت وطأته[أ] على الهارونيين ، وقتل منهم مقتلةً عظيمة ، ثم انتقل الأمر إلى داود ، بقى فى نفوس الهارونيين التشوُّق إلى الأمر الذى زال عنهم ، وكان (عِزْرا) هذا[ب] خادماً لملك الفرس ، حَظِيّاً لديه ، فتوصّل إلى بِناء بيتِ

﴿ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾ [سورة الأنعام : آية ٩١] .

وانظر فى ذلك : د. محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم . (ص ٤٧ - ٨٨) طبعة جامعة الإمام ١٤٠٠ هـ ، د. عبد الستار سعيد : معركة الوجود بين القرآن والتلمود (ص ١٤٣ - ١٤٩) .

ولكن ما هو هدف إسرائيل الحقيقى من وراء ذلك ؟ انظر بحثنا : « النبوة والأنبياء بين التوراة والقرآن » .

(أ) فى : م : وطئته .

(ب) فى : م ، والأصل : كان هذا عزرا ، وهو قد تكرر .

(١) انظر : سفر العدد ، الإصحاح الثالث .

المقدس ، وعمل لهم هذه التوراة التى بأيديهم .

فلمّا كان هارونياً ، كره أنْ يتولّى عليهم فى الدولة الثانية داودى ، فأضاف فى التوراة فصلين طاعنين فى نسب داود ! :

أحدهما :

« قصة بنات لوط » .

والآخر :

قصة (ثامار) وسيأتى ذكرها .

ولقد بلغ – لعمرى – ، غرضه ! فإنّ الدولة الثانية التى كانت لهم ، فى بيت المقدس ، لم يملك عليهم فيها داوديون ، بل كانت ملوكُهم هارونيين(أ) .

وعِزْرا هذا ليس هو (العُزَيْر) ، كما يُظَن ؛ لأنّ العُزَير هو تعريب (العازار)(١) .

فأمّا (عِزْرا) ، فإنّه إذا عُرِّب ، لم يتغير عن حاله ؛ لأنه اسم خفيف الحركات والحروف ، ولأن (عزرا) عندهم ليس بِنَبّى ، وإنّما يُسَمُّونه (عزرا هوفير) ، وتفسيره : (النَّاسخ) .

وأيضاً فإنّ عندهم – فى التوراة – قصّةٌ أعجب من هذه ، وهى أن

(أ) فى : م : هارونيون . وهو خطأ نحوى !! .

(٢) (العازار) اسم تكرر أكثر من مرة فى العهد القديم ، منهم : ابن هارون النبى – عليه السلام – وهو كاهن إسرائيلى ، يقوم على خدمة الرّب وحراسة خيمة الاجتماع .
انظر : سفر العدد : الإصحاح الثالث ، وسفر اللاويين : الإصحاح العاشر : ١٢ وما بعدها .

يهوذا بن يعقوب[أ] ، عليهما السلام ، زوَّج ولده الأكبر من امرأة يقال لها (ثامار)[1] .

وكان يأتيها مستدبراً ، فغضب الله من فعله فأماته ، فزوّجها من ولده الآخر فكان إذا دخل بها أمْنى على الأرض[2] علماً منه بأنَّه ، إنْ أوْلَدَها ، كان

(أ) ف : م زيادة كلمة (النبى) .

(1) انظر : التكوين ، الإصحاح ٣٨ ، ٦ : ٣٠ .

(ب) ف سفر التكوين ، رسمت هكذا (تمنه) .

(2) وتقول التوراة أن اسمه كان (أونان) (تكوين ٩٨ : ٩ .

ويقال إنه أول من عزل ، وسمى الطب العزل بهذه الطريقة : (Onanism) .

• وكلام السّموأل هذا عن (عزرا) و(العزير) و(العازار) ، كلام مقبول ، ولا ننسى أنه رجل مُتضلِّع من اللغتين : العبرية ، والعربية ، ومتبحِّر فى علوم التوراة والقرآن الكريم .

وهو كلام فَصْلٌ فى هذه النقطة ، وإن علماءنا المتثبتين كانوا يرون ذلك ، ولا يخلطون بين الرجال ، لا سيما وأن الخلط فى هذه الحالة خطير جداً !؛ لأنَّه رجل صالح (العازار) : المترجم إلى العربية بـ(العزير) ، وبين فاسق جاهل فارغ هو (عزرا) الورّاق ، رئيس الكتبة المنشقين الذين حرّفوا التوراة وبدّلوها !! .

انظر مثلاً : لأبى المعالى الجوينى كتابه : شفاء الغليل ص ٣١ ، وانظر لابن حزم الأندلسى : الفصل فى الملل والأهواء والنّحل .

– ولقد عجبت من خلط الدكتور أحمد السّقا ، بين عزرا ، والعزير ، فهو يراهما واحداً لذلك فإنه يذكر – مثلاً – تعليقاً على كلام الجوينى ، ص ٣١ من شفاء الغليل ، هامش رقم ٢٣١ يقول :

« أى أنّ عِزّرا (عزير) كتب التوراة فى مدينة بابل بالعراق سنة ٦٨٥ ق.م. » .

ويقول – أيضا – فى تعقيبه على الكتاب المذكور ص ٥٨ :

« موقف عُزَيْر – لعنه الله – من التوراة » ، وهذا خلط لا يجوز !! ولعله قد انطبع فى ذهنه ، هذا الخطأ الفاحش من الكلام الذى ساقه لصاحب « قصص الأنبياء » ابن إسحاق الثعلبى ص ٥٩/٦٠ « شفاء الغليل » ، ووصفه – هو نفسه – بأنه من موضوعات اليهود المدسوسة فى الكتب الإسلامية ، لدفع جريمة التحريف عن أنفسهم . وهو رأى ابن كمونة =

أوّل الأولاد مدْعُواً باسم أخيه ، ومنسوباً إلى أخيه ، فكره الله ذلك من فعله فأماته أيضاً . فأمرها يهوذا باللّحاق بأهلها إلى أن يكبر (شيلّا) ولده ويتم عقله ، حذراً من أن يصيبه ما أصاب أخويه . فأقامت فى بيت أبيها . فماتت — من بعد — زوجة يهوذا ، وأصعد إلى منزل يقال له (تمناث)[ب] ، لِيَجِزَّ غنمه ، فلما أخبرت (ثامار) بإصعاد حميها (١٠ ب) إلى (تمناث) ، لبست زىّ الزَّوانى وجلست فى مستشرف على طريقه ، لعلمها بشيمه ! ، فلمّا مرّ بها ، خالها زانيةً فراودها ، فطالبته بالأجرة ، فوعدها بجدي ، ورهن عندها عصاة وخاتمه ، ودخل بها ، فعلقت منه (بفارص وزارح) ، ومن نسل فارصٍ هذا كان (بوعز) المتزوج (بروث) التى من نسل مؤاب ، ومِنْ ولدها كان داود النبىّ ، عليه السلام[أ] .

وأيضاً ففى هذه الحكاية دقيقةٌ مُلْزِمَةٌ بالنَّسْخ وهى أنّ يهوذا ، لما أُخْبر بأنَّ كَنَّته قد علقت من الزنا ، أفتى بإحراقها .

فبعثت إليه بخاتمه وعصاه .

وقالت :

« مِنْ رَبِّ هذين أنا حامل » .

فقال :

« صَدَقَتْ ، مِنِّى ذلك » واعتذر بأنّه لم يعرفها ولم يعاودها .

وهذا يدل على أنّ شريعة ذلك الزمان ، كانت مقتضيةً إحراق الزوانى ،

= اليهودى فى تنقيح الأبحاث .

وانظر : رسالة الأخ الزميل د. عبد الرحمن عوف عن (عزرا وعزير) بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة .

(أ) فى : م : تسقط كلمة (تعالى) دائماً !! .

وأن التوّراة ، أتت بنسخ ذلك وأوجبت الرَّجم عليهنّ .

وفيها أيضاً من نسبتهم الزناء والكفر إلى بيت[أ] النّبوّة ، ما يقارب ما نسبوه إلى لوط النبى – عليه السلام – .

وهذا كلّه عندهم فى نصّ كتابهم وهم يجعلون هذا نسباً لداود وسليمان ولمسيحهم المنتظر . ثم يرون المسلمين ، أحق بهذا اللقب من مُنْتَظَرِهم . وكذبهم فى هذا القول من أظهر الأمور وأبينها .

فأمّا دفْعُهم لإعجاز القرآن ، للفُصَحاء ، فلست أعجبُ منه ، إذ كانوا لا يعرفون من العربية ما يفرقون به بين الفصاحة والعِيّ ، مع طول مكثهم فيما بين المسلمين .

وأيضاً فَمِنِ اعتراضهم على المسلمين أنّهم يقولون :

« كيف يجوز أن ينسب إلى الله تعالى كتاب يَنْقُضُ بعضه بعضاً ؟! » .

يريدون بذلك – ينسخ بعضه بعضاً ! .

فنقول لهم :

أمّا تحسين جواز ذلك فقد ذكرناه فى أوّل هذه الكلمة[1] ، وأمّا تعجبكم منه وتشنيعكم به ، فإنّ كتابكم غير خالٍ من مثله ، فإنْ أنكروا ذلك ، قلنا لهم :

(أ) ف : أهل بيت .

(١) يقصد : الكتاب .

ما تقولون فى السَّبْت[1] ، أيهما أقدمُ ، افتراضها عليكم أو افتراض الصَّوم الأكبر[2] ؟ .

فيقولون :

« السَّبت أقدم » .

لأنهم إنْ قالوا : « الصّوم أقدم » كذّبناهم بأنّ السَّبت فرضت عليهم فى أول إعطائهم المنّ ، والصَّومُ الأكبر فرض عليهم بعد نزول اللوحين ومخالفتهم وعبادتهم العجل ولمّا رفع عنهم عقابُ ذنبهم ذلك ؛ فى هذا اليوم ، فرض عليهم صومه وتعظيمه .

فإذا أقرُّوا بتقديم السبت .

قلنا لهم :

ما تقولون فى يوم السّبت ، هل فرضت فيه ، عليكم الراحة والدعة وتحريم المشقّات أم لا ؟ .

---

(١) جاء فى سفر اللّاويين عن عقيدة الراحة فى يوم السبت ما يلى :

« وكلّم الربُّ موسى فى جبل سيناء قائلا : كلّم بنى إسرائيل وقل لهم : متى أتيتم إلى الأرض التى أنا أعطيكم ، تَسْبِتُ الأرض سبتا للرب ، ست سنين ، تزرع حقلك ، وست سنين تقضب كرمك وتجمع غلّتها ، وأما السنة السابعة ، ففيها يكون للأرض سبت عُطْلَةٍ لرب ... إلخ » (٢٥ - ١ : ٢١)

ولقد جاء ذكر (السّبت) فى عدة مواضع ، فى العهد القديم ، منها مثلا :

« ستة أيام يُعمل عمل ، وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبتُ عطلة مقدسٌ للرب ، كل من يعمل فيه عملاً يقتل ، لا تشعلوا ناراً فى جميع مساكنكم يوم السبت » .
(خروج ٣٥ - ١ - ٣)

(٢) راجع كتاب : تفتالى فيدر : مرجع سابق .

فيقولون :

بلى .

فنقول لهم :

فلمَ فرضتم فيه الصوم إذا اتفق صومكم الأكبر يوم السبت ، مع كون صومكم فرض بعد فريضة السبت ، ولكم فى ذلك الصوم أنواع من المشقة . منها القيام جميع النهار ؟ أليس هذا أيضاً قد نسخ فريضة السَّبْت ؟ .

وأمّا سيدُنا رسولُ الله ﷺ ، وعظَّم وكرَّم ، فله فيما بينهم اسمان فقط فعليهم لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين .

أحدهما : « فاسول » .

وتفسيره : السّاقط !! .

والثانى : « موشكاع » .

وتأويله : المجنون !! .

وأمّا القرآن (١١أ) العظيم ، فإنّهم يسمُّونه فيما بينهم « قالون » ، وهو اسم للسَّوْءَةِ ، بلسانهم ، يعنون بذلك أنّه عورةُ المسلمين ! .

وبذلك وأمثاله ، صاروا أشدَّ عداوة للذين آمنوا ، فكيف لا يلعنهم الله[1] ويلعنُهُم اللّاعنون ؟!! .

---

(١) ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ﴾ [النساء : ٥٢] .

﴿ ... ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلا ﴾ [النساء : ٤٦] .

﴿ لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ [المائدة : ٦٠] .

﴿ لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ [المائدة : ٨٢] .

فَصْلٌ مُعْرِبٌ عَنْ بَعْضِ فَضَائِحِهِمْ

ومن الفضائح – التى عندهم – مذهبهم ، فى قِصَّةِ (اليتامى والحالوص) .

وذلك أنهم أُمروا أنّه إذا أقامَ أَخَوان ، فى موضع واحد ، ومات أحدهما ، ولم يُعقب ولداً ، فلا تخرج امرأة الميت إلى رجل أجْنبى ، بل وَلَدُ حَمِيِّها يَنكِحها ، وأَوّل ولدٍ يُولِدها يُنسَبُ إلى أُخيه الدارج .

فإنْ أَبَى أنْ يَنْكِحَها ، خَرَجَتْ مُشْتكِيةً منه إلى مَشْيَخةَ قومها قائلة :

قد أَبَى ابنُ حميٍّ أنْ يَسْتَبْقِي اِسما لأخيه[أ] ، فى إسرائيل ولم يُرِدْ نِكاحى !! .

فيحضره الحاكم هناك ، ويكلّفه أنْ يقف ، ويقول : « لوجافا صتى لفخناه » .

تفسيره : ما أردت نكاحها .

فتتاولِ المرأة نعله ، فتخرجها عن رجله ، وتمسكها بيدها ، وتبصق فى وجهه ، وتنادى عليه :

« كاخا يعاسى لا اه يش اشير لو بينى إث بيث أحيو » .

تفسيره : كذا فَلْيُصنَعْ[ب] بالرجل الذى لايَبْنى بيتَ أُخيه . ويُدْعى فيما بعد ، اسمه بالمخلوع النعل ، ويُنْبز بيْتهُ بهذا اللّقب ، أعنى : بيت المخلوع النعل . هذا كلُّه مفترضٌ فى التوراة عليهم !! .

(أ) فى : م : اسم أخيه .
(ب) فى : م : فاليضع .

وفيه حكمة ملجئةٌ للرجل إلى نكاح[أ] زوجة أخيه الدّارج ، لأنّه إذا علم أنّه قد فرض على المرأة أن تشتكيه إلى نادى قومها ، فذلك ممَّا يحمله على نكاحها ! .

فإنْ لم يردعه الحياءُ من ذلك ، فربما إذا حضر ، استحيا[ب] أن يقول : ما أردت نكاحها ، فإنْ لم يُخْجله ذلك ، فربما يستحى من انتهاك العرض ، بخلع نعله ، وكون المرأة تشيل نعله ، وتبصق فى وجهه ، وتنادى عليه بقلة البركة والمروءة .

فإن هو استهان بذلك ، فربما استعظم أنْ يُنبز باللقب ، ويبقى عليه وعلى آله ، من بعده عارهُ وقبحُ اسمه ، فيلجئه ذلك إلى نكاحها .

فإنْ كان من الزهد فيها ، بحيث يهون عليه جميع ذلك ، فقد فرّق الشرعُ بينهما بعد ذلك ، وليس فى التوراة غير هذا .

ففرَّع فقهاؤهم[جـ] على ذلك ، ما فيه خزيُهم وفضيحتهم وذلك أنه إذا زهدت المرأة فى نكاح أخى زوجها المتوفى ، أكرهوه على النزول عنها ، ثم ألزموها الحضور عند الحاكم بمحضر من مشيختهم الحاخاميم ، ولقنوها **أن تقول** :

مباين يبامن لها قيم لا جو شيم بيسرايل لوا ابا يبمى .

تفسيره : أبى ابن حمى أن يقيم لأخيه اسماً فى إسرائيل ولم يرد نكاحى فيلزمونها بالكذب عليه لأنَّه أراد فمنعته ! فكان الامتناعُ منها والإرادة منه !! .

وإذا لقنوها تلك الألفاظ ، فهم يأمرونها بالكذب ، ويحضرونه ويأمرونه بأن يقوم ، **ويقول** :

(أ) هنا : من زائدة فى : م .

(ب) فى : م : استحى .

(جـ) فى : م : فقهاءهم .

« لوحا فاصيتى لفحتا » .

تفسيره (١١ ب) ما أردتُ نكاحها .

ولعل ذلك سؤله ومُناه ، فيأمرونه بأن يكذب .

وأمّا إخراقُها به ، وبصقُها فى وجهه ، فغايةُ التعدىَ لأنّه ما كفاهم بأن يكذبوا عليه ، وألزموه بأن يكذب ؛ حتى ألزموه عقاباً على ذنبٍ لم يجنه ، فصاروا كما قال الشاعر :

وجُرْمٍ جره سفهاءُ قومٍ فحل بغير جانيه العقاب[1]

---

(١) فى : م : « وحلّ بغير جارمه العذاب » . وهى رواية أخرى للبيت ، وهو لشاعر العربية الكبير أبى الطيب المتنبى ، وهو لتداوله وشهرته صار مثلاً .
فى لسان العرب :

ذكر السبب فى تشديدهم الإصْر على أنفسهم

تشديدهم الإصر على أنفسهم له سببان :

أحدهما : من جانب فقهائهم ، وهم الذين يُدْعون **الحاخاميم** ، وتفسير هذه اللفظة : **الحكماء** .

وكانت اليهود ، فى قديم الزمان ، تُسمى فقهاءها[أ] بالحكماء .

وكانت لهم فى **الشآم والمدائن**[*] مدارس ، وكان لهم ألوف من الفقهاء ، وذلك فى زمان دولة النبط البابليين ، والفرس ، ودولة اليونان ، ودولة الروم ، حتى اجتمع الكتابان اللذان اجتمع فقهاؤهم على تأليفهما وهما : (**المِشْنَا والتَّلمود**) .

فأمّا المِشْنا ، فهو الكتاب الأصغر ، وحجمه نحو ثمانمائة ورقة .

وأما التلمود ، فهو الكتاب الأكبر ، ومبلغه نحو نصف حمل بَغْلٍ لكثرته ، **ولم يكن الفقهاء الذين ألَّفوه ، فى عصرٍ واحد ، وإنّما ألَّفوه فى جيل بعد جيل**[١] .

فلما نَظَر المتأخِّرون منهم إلى هذا التأليف ، وأنه كلما مرّ عليه (جيل)[ب]

---

* للإصر معان عدة تدور حول الثقل والشدة ، منها : العهد الثقيل ، وإثم العهد والعقد إذا ضيعوه ، مثل بنى إسرائيل ، ومنها الأمر الذى يثقل حمله ، ومنها عقوبة الذنب التى تشق عليهم ، ومنها الذنب الثقيل .

أ : فى : م : فقهاءهم   ب : سقطت من الأصل .

(١) يلاحظ أنه ألف فى ظل أربعة عصور تاريخية كبرى :

١ – عصر النبط البابليين الذين أسروا اليهود ودمّروا هيلكهم ، وبدأت كتابه فقههم هنالك ، أثناء الأسر .

=

٢ – ودولة الفرس .

زادوا فيه ، وأن فى هذه الزيادات المتأخرة ، ما يناقض أوائل هذا التأليف ، علموا أنهم ، إنْ لم يقطعوا ذلك ويمنعوا من الزيادة فيه ، أدّى إلى الخلل الظاهر ، والمتناقض الفاحش !! .

فقطعوا الزيادة فيه ، ومنعوا من ذلك ، وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه وإضافة شيء آخر إليه ، وحرموا من يضيف إليه شيئاً آخر ، فوقف على ذلك المقدار .

وكان أئمتهم قد حرّموا[1] عليهم – فى هذين الكتابين – مؤاكلة الأجانب ، أعنى من كان على غير ملتهم ، وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذباحة مَنْ لم يكن على دينهم ، لأنَّهم ، أعنى علماءَهم وأئمتهم علموا أنّ دينهم لايبقى عليهم فى هذه الجلوة[أ] ، مع كونهم تحت الذلّ والعبودية إلّا إنْ صدوّهم عن

= ٣ – ودولة اليونان الإغريق .
٤ – ودولة الرومان .

• ومن هنا نشأ تلمود أورشليم ، وهو يتكون من مشناه مع شرحه ، جمارا أورشليم ، وهو سجل للمناقشات التى دارت بين حاخامات فلسطين (علماء طبرية خصوصاً) لشرح (أصول المشناه) ويرجع تاريخه إلى ٤٠٠ م .

وتلمود بابل يتكون من مشناه ، وجمار بابل ، الذى هو سجل لشرح حاخامات – بابل للمشناه وجمع سنة ٥٠٠ م تقريباً .

(التلمود : تاريخه وتعاليمه – مرجع سابق ص ١١) .

وانظر : Jewish Encyclopaedia, VoL-10, New york, 1948, çThalmud .

وانظر للدكتور على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، ط دار نهضة مصر .

(أ) فى : م : الجالوت ، ولعله يقصد أن دينهم لايبقى لهم وهم فى حالة الظهور والاختلاط بالأمم الأخرى .

(١) قلنا فى حاشية سابقة أن العقل اليهودى تفتق – وهو فى الأسر البابلى – عن فكرتى (الشريعة) و (الوعد) .

مخالطة من كان على غير ملتهم ، وحرّموا عليهم مناكحتهم ، والأكل من ذبائحهم .

ولم يمكنهم المبالغة فى ذلك إلّا بحجةٍ يَبْتدعِونها ، من أنفسهم ، ويكذبون بها على الله تعالى .

لأنّ التوراة إنما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم ، لئَلّا يوافقوا أزواجهم فى عبادة الأصنام والكفر بالله تعالى .

= ويقول باحث يهودى هو : Dr. Arther Rupin .
فى دراسة له بعنوان : The jews of the Present
A Socio - Scientific Stady, Berlin 1904

يقول : « كان من الحيوى فى ذلك الأيام ، أن تُصان عقيدة (يهوه) من ضغط العقائد الغربية ، نظراً لقلة عدد اليهود النسبى ، وقد كان ذلك عملاً شاقاً ، لكن زعماء القبائل اليهودية ، اعتقدوا . وكانوا على حق فى ذلك ، أنه باستطاعتهم تصحيح ذلك الوضع باتخاذ إجراءات استثنائية ، تقضى بالتفريق الكامل بين اليهود وغيرهم ، والمنع المطلق لكل تأثر بالدم والثقافة غير اليهوديين !! » .

« وهكذا نشأ مبدأ منع التزاوج والمشاركة بالأكل بين اليهود وغير اليهود ، ومن هنا أيضا نشأت دقة التوراة اللامتناهية فى تعاليمها ، كما نشأ ازدراء اليهود واحتقارهم لكل الثقافات والتقاليد التى لم تتمكن التوراة من السيطرة عليها » .

« وقد فرض على القبائل الصغيرة أنها عرق نشأ وترعرع خلف الجدران المحصنة (أحياء اليهود – الجيتو) عليه أن يكون دوماً على أهبة الاستعداد ، بحيث أصبح انعزال اليهود واقعاً كاملا أزلياً » .

« وقد أمكن ضمان عدم اختلاطهم الثقافى والعرقى مع غيرهم من الشعوب بواسطة التعاليم الرقيقة عن سلوكهم كأفراد ، وكان ذلك صحيحا حتى بالنسبة للذين كانوا يرزحون تحت وطأة أقسى الشروط الحياتية » .

« وقد أثبت التاريخ أن كتبهم المقدسة ، قد أتمت غاياتها على أكمل وأوسع وجه ، وكانت الأرثوذكسية (المعدلة) هى المسيطرة لأنها – خلافاً لغيرها من المعتقدات لم تكن دينا صحيحاً بمعنى الكلمة ، بل منظمة قتالية ، تلبس لبوس الدين ، غايتها الاحتفاظ بنقاوة الشعب اليهودى الفزيولوجية والثقافية !! » (التوراة – مرجع سابق ص ١٧/١٨) .

وحُرِّم عليهم ، فى التوراة ، أكلُ ذبائح الأمم الذين يذبحونها قرباناً للأصنام ؛ لأنَّها قد سُمِّى عليها غيْر اسم الله تعالى .

فأمّا الذبائح التى لم تذبح قرباناً ، فلم تنطق التوراة بتحريمها ، وإنما نطقت التوراة بإباحتهم تناول المأكل ، من يدى غيرهم ، من الأمم فى قول الله تعالى لموسى حين اجتازوا على أرض بنى العيص « لوثنكار وبام كى لو ابتين ثخامياً رحمام عاذ بذراح كف راغل » .

تفسيره :

لا تتحرّشوا بهم ، فإنِّى لا أعطيك من أرضهم ولا مسْلك قدم .

« أوحل تشبروميا ثام بنسيف زاخلين وعم ياعم تخزو باءتام تكيف وشيدثيم » .

تفسيره :

(١٢أ) مَأْكولا تمتاروا[1] منهم بفضَّة وتأكلوه ، وأيضاً ماءً تشتروا منهم بفضة وتشربوا .

فقد تبيَّن من نصِّ التوراة ، أنَّ المأكول مباح لليهود تناوُله من يد غيرهم من الأمم وأكله . وهم يعلمون أنّ (بنى العيص) كانوا عابدى الأصنام وأصحاب كفر .

فلا يكون المسلمون ، على كل حال ، بدون هذه المنزلة ، أعنى أن يساوى بينهم وبين بنى العيص . فينبغى لهم أنْ يأكلوا من مأكولات المسلمين وأنْ يجعلوا للمسلمين تفضيلا بتوحيدهم وإيمانهم وكونهم لا يعبدون الأصنام ، فموسى عليه

---

(١) من « الميرة » وهو ما يمتاره الإنسان ، أن يطعمه ويأكله ، ومنه قول أبناء يعقوب عليه السلام : ﴿ ونمير أهلنا ﴾ (سورة يوسف /٦٥) .
انظر : لسان العرب ، مادة (مير) .

السلام ، إنَّما نهاهم عن مناكحة عُبَّاد الأصنام ، وأكل ما يذبحونه بأسمائها .

ولسنا نعرف أحداً من المسلمين يذبح ذبيحة باسم صنم ولا وثن .

فما بال هؤلاء لا يأكلون من ذبائح المسلمين ؟ بل ما بال من سكن بالشام وبلد العجم منهم ، لا يأكلون من أيدى المسلمين اللبن والجبن والحلوى والخبز وغير ذلك من المأكولات ؟! .

فإن قالوا :

« لأنّ التوراة حرَّمتْ علينا أكل **الطريفا** » .

قلنا لهم :

إنّ الطريفا هى الفريسة ، التى يفترسها الأسد أو الذئب أو غيره من السباع . ودليل ذلك ، قول التوراة :

« وباساد بسّاذى طريفا لوثو حانو لمكيلب تشيلخووثو » .

تفسيره :

ولحماً فى الصحراء فريسة لا تأكلوا ، للكلب ألقوه .

فلمَّا نظر أئمتُّهم إلى أن التوراة غير ناطقة بتحريم مأكل الأمم عليهم ، إلّا عُبّاد الأصنام ، وأن التوراة قد صرّحت بأن تحريم مواكلتهم ومخالطتهم ، خوفَ استدراجهم – بالمخالطة – إلى مناكحتهم[1] ، وأن مناكحتهم إنما تُكره خوف استتباعها الانتقال إلى أديانهم وعبادة أوثانهم .

ووجدوا جميع هذا واضحاً فى التوراة ، اختلقوا كتاباً سمَّوْه : « هلكت شحيطا » ومعناه : « علم الذباحة » .

---

(١) انظر كلام دكتور آرثر روبن السابق .

ووضعوا فى هذا الكتاب ، من تشديد الإصْر عليهم ما شغلوهم به عمّاهم فيه من الذلّ والمشقة . وذلك أنّهم أمروهم بأنْ ينفخوا الرئةَ حتى تمتلىء هواءً ويتأمّلوها ، حتى يخرج الهواء من ثقب منها أم لا ؟ فإن خرج منها الهواء حرّموه !! وإن كانت بعض أطراف الرئةِ لاصقةً ببعضٍ ، لم يأكلوه !! . وأيضاً ، فإنّهم أمروا الذى قد الذبيحة أنْ يُدخل يده فى بطن الذبيحة ويتأمل بإصبعه ، فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر أو أحد الجانبين ، ولو كان الالتصاق بعِرْق دقيق كالشعرة ، حرّموه[1] ولم يأكلوه وسمُّوه « طريفاً » ويعنون بذلك أنّه نجس[2] !! .

وهذه التسميةُ ، هى أوّل التعدّى منهم ، لأنه ليس موضوعها فى اللغة إلّا المفْتَرَس ، الذى يفترسه بعض الوحوش .

ودليل ذلك ، قول يعقوب ، لمّا جاؤوه بقميص يوسف ملوثاً بالدم :

---

(١) هذا شأنهم ، فهم احترفوا التزييف والتحريف ، يقول تعالى : ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ (المائدة ١٣) ويقول سبحانه :

- ﴿ ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ (المائدة : ٤١) .

- ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا ﴾ (النساء : ٤٦) .

وللنظر فى بشاعة تحريفهم ، انظر الفروق الشاسعة بين كل من التوراة العبرانية ، والسامرية ، واليونانية .

(انظر : التوراة السامرية : نشرة ١٩٨٠ م دار الأنصار) (وانظر حواشى الكتاب المقدس ، نشرة جمعيات الكتاب المقدس فى الشرق الأدنى ، بيروت ١٩٧٦ م.) .

(٢) قارن مع كتاب : « هداية الحيارى » لابن القيم ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ولقد نقل الإمام ابن القيم كلام السّموأل هذا مرة أخرى ، فى كتابه : « أحكام أهل الذمة » انظر : جـ ١ ص ٢٦٧/٢٦٩ بتحقيق صبحى الصالح ، بيروت .

« ويكيراه ويومر كثوث بنى حياراعا احالا ثهوطاروف طوارف يوسيف »

تفسيره :

فتأمّلها ، وقال : دراعة ابنى وحشى ردىء أكله ، افتراساً افترس يوسف !! .

فقد تبيّن أنّ تفسير (طروف طوراف يوسف) افتراساً افترس يوسف . فالطريفا هى الفريسة . (١٢ ب) .

ودليل آخر أنه قال :

« ولحماً فى الصحراء فريسة لا تأكلوا » .

والفريسة أبداً إنما توجد فى الصحراء . وليس ينبغى أن يعجب من ذلك ! .

فإنّ هذا النّهى ، عن أكل الفريسة ، إنما ترك على قوم ذوى أخبيةٍ يسكنون البر .

وذلك أنّهم مكثوا يترددون فى التّيه والبرارى تمام أربعين سنة ، وكانوا أكثر هذه المدة ، لا يجدون طعاماً إلّا الْمَنَّ ، فلمّا اشتدّ قَرَمُهم[1] إلى اللحم ، جاءهم موسى بالسَّلْوى ؛ وهو طائر صغير يشبه السُّمَانى .

وخاصيته أنّ أكل لحمه يلين القلوب القاسيَة ويذهب بالخُنْزُوَانة[2] والقساوة ! .

---

(١) فى لسان العرب : القَرَمُ : هو - بالتحريك - شده اشتهائهم اللّحم . وفى الحديث : أنه كان يتعوذ من القرم .

(٢) فى لسان العرب : خُنْزُوانه ، من خنز ، أى : أنتن ، والخنزوة ، والخنزوانة والخنزوانية : الكِبْرُ . (مادة : خَنَزَ) .

وذلك أن هذا الطائر يموت إذا سمع صوتَ الرَّعد ، كما أنّ الخطاف يقتله البرد .

فيلهمه الله ، عز وجل ، أن يسكن جزائر البحر ، التى لا يكون بها مطر ، ولا رعد ، إلى انقضاء أوان المطر والرعد ، فيخرج من الجزائر وينتشر فى الأرض .

فجلَبَ الله إليهم هذا ، الطائر لينتفعوا بما فى أكل لحمه من الخاصية ، وهى تليين القلوب القاسية(١) .

وكان قد اشتد قرمهم إلى اللحم قبل ذلك ؛ بحيث لم يمنعهم من أكل الفريسة والميتة ، إلّا نزول تحريمها فى التوراة .

فقد تبين التعدِّى من شائخهم فى تفسير : الطريفا ، وأنه(أ) الفريسة .

ه يقول الله تعالى وتعظم :

﴿ يابنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ، وواعدناكم جانب الطور الأيمن ، ونزلنا عليكم المنَّ والسَّلْوى ﴾ (طه ٨٠) .

(١) ومن أقسى قلوباً من يهود ؟! يقول الله تعالى مخاطباً يهود .

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشَّقَّق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ... ﴾ (البقرة ٧٤) .

﴿ وقالوا : قلوبنا غُلْف بل لعنهم الله بكفرهم ، فقليلاً مايؤمنون ﴾ (البقرة : ٨٨) .

﴿ فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ... ﴾ (المائدة : ١٣) .
ويقول متّى عنهم : « لقد غَلُظ قلب هذا الشعب .... » (متى ١٣ : ١٥) .
ويقول حزقيل عنهم : ٣ :

فأمَّا فقهاؤهم ، فإنَّهم اختلقوا من أنفسهم هذيانات وخرافات تتعلق بالرئة والقلب !!

وقالوا :

ما كان من الذبائح سليماً من هذه الشروط فهو « **دخياً** » ، وتفسير هذه الكلمة « **طاهر** » **وما كان خارجاً عن هذه الشروط ، فهو : « طريفا »** ، وتفسير هذه الكلمة : « **حرام** » .

وقالوا معنى قول التوراة :

« ولحماً فريسةً فى الصحراء ، لا تأكلوا ، للكلب ألقوه » يعنى :

« إذا ذبحتم ذبيحتكم ، ولم توجد فيها هذه الشروط ، فلا تأكلوها ، بل تبيعوها على مَنْ ليس من أهل مِلّتكم ؛ وذلك أنهم فسّروا قوله : « للكلب ألقوه » أى :

لمن ليس على مِلّتكم أطعموه وبيعوه؛ ألا إنَّهم – على الحقيقة – أشبه بالكلاب ، وأحق بهذا اللّقب والتشبيه ، لقبح عقولهم ، وسوء ظنونهم واعتقادهم فيمن سواهم من الأمم[1] !! .

« لأن كل بيت إسرائيل صِلابُ الجباه ، وقساة القلوب ... إنهم بيت متمرد » .
والنصوص على ذلك تترى فى القرآن الكريم ، وفى العهد القديم ، وفى الأناجيل والرسائل .

(١) جاء فى القرآن العظيم ، ما بين فلسفة يهود ورأيها فى الأميين :

﴿ .... ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ﴾ (آل عمران : ٧٥) .

لا يفهم غير اليهودى التوراة مالم يدرك معنى كلمة (جوى) وجمعها (جوييم) ، فهى تعنى : الأمم ، أو الشعوب ، وهم غير اليهود ، أو الغرباء .

وطبقا للنصوص تستخدم الكلمة – فى الذهن اليهودى الغربى – لتعبر عن : العدو

العالمى البغيض ، أو السعادين الحليفة المهينة ، أو الحبيبات البشرية أو قطيع الجويم الغبى ، أو الإرث الذى وعدهم به (يهوه) . (التوراة : مرجع سابق) .

وشريعة اليهود التى كتبها فقهاؤهم (انظر كلام السموأل عنهم) تركز على الحقد الأبدى الذى يجب على اليهود تربيته فى نفوسهم ضد الجويم .

« وأرسل هيبتى أمامك ، وأكسر جميع الجويم الذين تصير إليهم ، وأجعل جميع أعدائك بين يديك ، مدبرين ، وأبعث الزنابير أمامك فتطرد الحويين والكنعانيين ، والحيثيين ، من ... وأجعل تخمك من بحر الكلام إلى بحر فلسطين ، ومن البرية إلى النهر ، فإنى أسلم أيديك سكان الأرض ، فتطردهم من أمام وجهك ، لاتقطع لهم ، ولا لآلهتهم عهداً ، ولايقيموا فى أرضك » (سفر الخروج ٣٣ : ٢٧ ومابعدها) .

(وفى سفر تثنية الاشتراع ٧ : ١) .

« وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها ، واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك ، ... وأسلمهم الرب إلهك بين يديك ، وضربتهم ، فأبْسِلهم : بسالاً ، لا تقطع معهم عهداً ، ولا تأخذك بهم رأفة .... إلخ » .

وجاء فى نفس السفر : ٧ : ١٦ :

« وتفترس جميع الغويم الذين يدفعهم إليك الرب إلهك ، فلا تشفق عيناك عليهم » .

ولهم فى ذلك سوابق تاريخية بشعة ، نفذوا فيها ما تأمرهم به الشريعة التى وضعها لهم الكتبة الفريسيون ، انظر :

(سفر العدد ٣١ : ١ - ٧) ، (العدد - ٣١) و (التثنية ٧ : ١٦) ، (العدد ٢١ : ٣) (يشوع ٦ : ٢١) ، (يشوع ، ٨ : ١ ، ٢٨) و (يشوع ٢١ : ٩ ، ١١) (العدد : ٣٣ : ٥٥) وقال لهم الكتبة : أنهم إن لم يفعلوا ذلك ، وأخذتهم الشفقة فإنّ (يهوه) سوف ينزل بهم عقابه الشديد ، وهلاكه : (تثنية ٨ : ٢٠) .

ثم إنّ اليهود فرقتان :

إحداها : عَرَفَتْ أنّ أولئك السّلف الذين ألّفوا « المِشْنا »[1] و « التلمود » ؛ وهم فقهاء اليهود ، قوم كذّابون على الله تعالى وعلى موسى النبى (عليه السلام) ، أصحاب حماقات ورقاعات هائلة !! .

من ذلك ، أن أكثر مسائل فقههم ، ومذهبهم ، يختلفون فيها ، ويزعمون أنّ الفقهاء كانوا إذا اختلفوا فى كل واحدة من هذه المسائل ، يوحى الله إليه[أ] بصوت يسمعه جمهورهم ، يقول :

« الحق فى هذه المسألة مع الفقيه فلان » وهم يسمون هذا الصوت : « بث قول » .

فلما نظر اليهود « القرّاؤون »[ب][2] – وهم أصحاب (عانان بن داود وبنيامين) – إلى هذه المحالات الشنيعة ، وإلى هذا الافتراء الفاحش ، والكذب البارد ، انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء ، وعن كل من يقول بمقالتهم ، وكذّبوهم فى كل ما افتَروا[ج] على الله – تعالى – ، وقالوا – بعد أن ثبت كذبهم على الله – وأنهم ادّعوا النُبُوّة ، وزعموا أن الله تعالى كان يوحى إلى جميعهم فى كل يوم مرّات ، فقد فَسَقُوا ، ولا يجوز قبول شىء منهم !! ، فخالفوهم فى سائر

(أ) فى : م : إليهم (ب) فى : م : القرّائيون (ج) زيادة (به) فى : م

(د) كلمة (ابن) زيادة فى : م .

(هـ) ما بين [ ] ساقط من : م .

(1) يزعم اليهود أن الله تعالى قد أوحى إلى موسى عليه السلام ، فى جبل سيناء نوعين من الوحى :

ما أضلُّوه من الأمور التى لم ينطق بها نَصُّ التوراة ، (١٣أ) وأكلوا اللّحم باللّبن ، ولم يحرِّموا سوى[د] ابن الجدى بلبن أمه [فقط مراعاةً للنّص ، أعنى قول التوراة : لا ينضج الجدى بلبن أمه][هـ] .

(أ) الشريعة المكتوبة أو المسجلة وهى التوراة .

(ب) الشريعة الشفهية وهى تعاليم سرية ، وتتضمن التفسير الحقيقى الصحيح ، الذى يعنيه الله ويريده من النصوص الظاهرة المكتوبة فى التوراة . ويزعمون أن هذه التعاليم نقلها اليهود شفاها عن موسى عليه السلام – عن ربه – عبر أربعين جيلاً ، حتى انتهت إلى الحاخام يهوذا هاناسى Judah Hanasi فيما بين ١٩٠ ، ٢٠٠ م .

والمشناه ، هو خلاصة القانون الشفهى ، الذى تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسيين ، التابعين لأهواء النفس . (التوراة ص ١٢) .

ذكر الحبر الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون (رمبم) فى مقدمة شرحه للمشناه :

« منذ أيام معلمنا موسى ، حتى حاخامنا المقدس (يهوذا هاناس ، لم يتفق أحد (من علماء اليهود) على أية عقيدة من العقائد التى كانت تدرس علانية ، باسم « القانون الشفهى » ، بل كان رئيس محكمة كل جيل (السنهدرين) أو بنيه ، يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه ، لينقلها شفهيا إلى شعبه ، وهكذا ألف كل فرد (من العلماء) كتابا مماثلا ليستفاد منه ، حسب كفاءته ، إذا كان متمكنا من القوانين الشفهية . وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة ، والقرارات التى أعلنت فى مختلف الأجيال ، وقررتها المحكمة العليا ، وهكذا تقدم الزمن حتى جاء حاخامنا المقدس الذى جمع – لأول مره – كل ما يتعلق بالسُّنة والأحكام والقرارات ، وشرح القانون المروىّ عن موسى – معلمنا – المأمور به فى كل جيل » .

« التلمود ص ١٢/١٣) ، Hebrew Literature, pp V,VI وانظر : نفتالى فيدر ، ص ٢٦ ، وانظر د. إسرائيل ولفستون : موسى بن ميمون ص ٢١ . نشرة القاهرة المعهد الفرنسى .

(٢) يقدم السموأل معلومات جيدة عن القرائين اليهود ، ونضيف إلى ذلك أنه يجب علينا ونحن ندرس حركة القرائين ، أن نتذكر الحقائق والوقائع التالية :

– أن حركة الفريسيين قد ظهرت – لأول مرة – قبل الميلاد بحوالى ٢٠٠ سنة ، وأنهم تبوأوا المسرح اليهودى – السياسى والفكرى والعقدى – حتى مائتى سنة ، بعد ميلاد =

وأمّا التُّرهاتُ التى ألّفها الحخاميم الفقهاء ، وسموها : : « هلكت شحيطا » ، أعنى : « علم الذباحة » ، وهى المسائل الفقهية التى رتّبها الفقهاء ،

المسيح ، وهم الذين أوجدوا القانون الشفهى ، وهم أتباع (عزرا) المتوفى ٤٤٤ ق.م ، ويشار إلى هؤلاء الكتبه بأنهم : رجال الكنيس العظيم ، الذين يعتبرون (عزرا) أكبر معلم يهودى بعد موسى ، عليه السلام .

- وهذه الطائفة قد انشقت على أتباع التوراة ، أو على الطائفة الصادوقية التى ثارت ضدهم ، وهم آل صادوق الكاهن (فى عهد الملك النبى داوود) .

- ثم ظهرت الحركة الكرائية أو القرائية من بين الفريسيين أنفسهم ، وهى « أول ثورة قامت ضد سيادة التلمود ، .... قامت فى معقل مفسّرى التلمود (الجيونيم) بعد مائتى سنة من تأليف المشناه ، والكرائيون التابعون للحاخام شمّاى متشددون فى اتباع التوراة » والقراءة فيه ورفض القوانين الشفهية جملة .

- سبب ظهورها يرجع إلى عدة أسباب من أهمها : اختلاف اليهود حول التلمود الذى اعتبره بعضهم بدعة فى الدين .

، تأثر اليهود بالانتصارات السياسية الإسلامية المدهشة ، وتأثرهم بالعقائد الروحية الإسلامية والجدل الفكرى والعقدى فى البيئة الإسلامية . (التلمود ص ٥٢/٥١/٥٠٣٢/٣١) .

- وعن تأثر اليهود بالإسلام ، يقول : نقتالى فيدر :

« والمعروف أن الديانة اليهودية قد تأثرت تأثراً عظيماً بالبيئة الإسلامية ، فقد أدت التيارات الروحية التى غمرت البيئة الإسلامية طوال مئات السنين إلى - إلى ثورة فى الحياة الروحية لليهود .... إذ إن المسائل الدينية التى قتلها المسلمون بحثاً عرفت طريقها إلى مدارس أحياء اليهود ، وقد عظم هذا التأثير أولا وقبل كل شىء فى ميدان النظر الفلسفى والفكر الدينى ، حين شعرت المراكز اليهودية بالحاجة إلى حل المشكلات الدينية التى صارت موضع نقاش وبحث .... » (ص ٩ ومابعدها : التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية) .

وانظر ترجمة الدكتور النشار وعباس الشربينى لكتاب الباحث اليهودى جورج فيدا : (مقدمة للفلسفة اليهودية فى العصور الوسطى) ، فى كتابهما : (الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية) ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

وانظر الفصل لابن حزم الجزء الأول ، والملل والنحل للشهرستانى ، نشرة محمد سيد كيلانى ، و « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للفخر الرازى ، بعناية على سامى النشار ص ٨٢ - ٨٣ تصوير دار الكتب العلمية / بيروت .

[ونسبوها إلى موسى عن الله تعالى][أ] .

فإنّ القرّائين اطَّرحوها مع غيرها وألْغَوْها ، وصاروا لا يحرِّمون شيئاً من الذبائح التى يتوَلَّوْنَ ذباحتها البتّة .

فهذا حال هذه الطائفة من اليهود ، أعنى : **القَرَّائين** ، ولهم – أيضاً – فقهاءُ أصحابُ تصانيف ، إلّا أنهم لم يبالغوا فى الكذب على الله تعالى إلى حد أن يدّعوا النبوّة ، ولا نسبوا شيئاً من تفاسيرهم إلى النبىّ ، ولا إلى الله تعالى ، بل إلى اجتهادهم .

والفرقةُ الثانية ، يقال لهم : « الرَّبَّانيُّون » .

وهم أكثر عدداً ، وهم شيعةُ الحخاميم الفقهاء المُفْتَرين على الله عز وجل ، الذين يزعمون أنّ الله كان يخاطبهم فى كل مسألة بالصوت ، الذى أسموه : « بث قول » .

وهذه الطائفة أشد اليهود[ب] عداوةً لغيرهم من الأمم[1] ؛ لأن أولئك الفقهاء المُفْتَرِين على الله تعالى ، قد أوهموهم أنّ المأكولات والمشروبات ، إنّما تحِلُّ للناس بأن يستعملوا فيها هذا العلم الذى نسبوه إلى موسى وإلى الله تعالى ، وأن سائر الأمم لا يعرفون هذا ، وأنهم إنما شرّفهم اللّهُ بهذا وأمثالِهِ من التُّرهات التى أفْسدوا بها عقولهم ، فصار أحدهم ينظر إلى من ليس على مِلَّته ، كما ينظر إلى بعض الحيوانات التى لا عقل لها ، وينظر إلى المآكل التى تأكلها الأُمم ، كما ينظر الرجل العاقل إلى العَذِرَة ، أو إلى صديد الموتى ، وغير ذلك من الأشياء القذرة التى لا يسوغ لأحد أكلها .

(أ) فى : م : « ونسبوها إلى الله عن موسى » .

(ب) سقطت (اليهود) من : م .

(1) قارن : « هداية الحيارى » ص ١٣٤ .

فهذا هو الأصل فى بقاء هذه الطائفة على أديانها ، لشدّة مباينتها لغيرها من الأمم ، ولأنهم ينظرون إلى الناس بعين النقص والإزراء إلى أبعد غاية .

وأمّا الطائفة الأولى ، وهم القرّاؤون .

فأكثرهم خرج إلى دين الإسلام أوّلاً فأوّلاً ، إلى أن لم يبق منهم إلّا نفرٌ يسير ؛ لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام ؛ لسلامتهم من مُحَاولات فقهاء الرّبانيين أصحاب الافتراء الزائد ، الذين شدّدوا على جماعتهم الإصْر .

فقد تبيّن مما ذكرناه ، أنّ الحخاميم هم الذين شدَّدوا على هذه الطائفة دينهم ، وضيّقوا عليهم المعيشة والإصْر فقصدوا بذلك مبالغتهم فى مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم ؛ فيؤدى اختلاطهم بهم ، إلى خروجهم من دينهم .

والسبب الثانى فى تضييق الإصر عليهم ، أن اليهود مبدّدون فى شرق البلاد وغربها ، فما من جماعة منهم فى بلدة إلّا إذا قَدِم عليهم رجل من أهل دينهم ، من بلاد بعيدة ، يُظهِر لهم الخشونة فى دينه والمبالغة فى التورُّع والاحتياط ، ، فإنْ كان من المتفقِّهة ، فهو يشرع فى إنكار أشياء عليهم ، ويوهمهم التنزُّه عما هم فيه ، وينسبهم إلى قلّة الدين وينسب ما ينكره عليهم إلى مشائخه وأهل بلده (١٣ب) ، ويكون فى أكثر ذلك الإسناد كاذباً .

ويكون قصده بذلك ، إمّا الرئاسة عليهم ، وإما تحصيل غرض منهم ؛ ولا سيما إن أراد المقام بينهم[أ] ، أو التدبير بينهم ، فتراه أول ما ينزل بهم ، لا يأكل من أطعمتهم ، ولا من ذبائحهم ويتأمّل سكين ذُبَّاحهم ، وينكر عليهم بعض [أمرهم] ويقول :

« أنا لا آكل إلّا من ذِباحة يدى » .

فتراهم معه فى عذاب ، لايزال ينكر عليهم الحلال والمباح ، ويوهمهم تحريمه

(أ) فى : م : عندهم .

بإسناداتٍ يخترعها ، حتى لا يَشُكُّوا فى ذلك .

فإنْ وصل بعد مدة طويلة ، من أهل بلده ، من يعرف أنه كاذب فى تلك الإسنادات ، فلا يخلو أمره من أن يوافقه أو يخالفه .

فإن وافقه ، فإنما يوافقه ليشاركه فى الرئاسة النّاموسية التى حصلت له ، وخوفاً من أن يُكْذَبَ ، إنْ خالفه ، وينسب إلى قلّة الدين .

وأيضاً ، فإن القادم الثانى – فى أكثر الأمر – يستحسن ما اعتمده القادم الأول ، من تحريم المباحات ، وإنكار المحلّلات ، ويقول لهم :

« لقد عظّم الله ثواب فلان ، إذْ قوّى . ناموس الدين فى قلوب هذه الجماعة ، وشيّد سياج الشرع عندهم »

وإذا لقيه على الانفراد ، يشكره ، ويجزيه خيراً ، أو يقول له :

« لقد زيّن الله بك أهل بلدنا » .

وإن كان القادم الثانى ، يُنكر ما أتى به القادم الأول ، من الإنكار عليهم والتضييق ، لم يبق من الجماعة واحد يستصحبه ، ولا يصدقه ، بل جميعهم ينسبونه إلى قلّة الدين[1] ؛ لأن هؤلاء القوم يعتقدون أن تضييق المعيشة وتحريم المحلّلات ، هو المبالغة فى الدين والزهد ، وهم – أبداً – يعتقدون أن الدين والحق مع من يضيّق عليهم !! ، ولا ينظرون : هل يأتى بدليل أم لا ؟ ، ولا يبحثون عن كونه مُحِقًّا أم مُبْطلاً ؟! .

هذا حال القادم إلى بلدٍ ، من متفقهتهم !! .

---

(١) أخزاهم الله :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ (التوبة : ٣١) .

« وربوبية الأحبار مقررة فى صلب التعاليم التلمودية » .

فأمّا إن كان القادم ، أحد أحبْار اليهود وعلمائهم ، فهنالك ترى العجب من الناموس الذى يعتمده ، والسنن التى يُحْدِثُها ويُلْحقها بالفرائض ، ولا يقدر أحدهم على الاعتراض عليه ، فتراهم مستسلمين إليه ، وهو يحتلب درَّهم ، ويجتلب – بحيله – درهمهم ، حتى لو بلغه أنّ بعض أحداث اليهود قد جلس على قارعة الطريق فى يوم السبت ، أو اشترى لبناً من بعض المسلمين أو خمراً، ثلبه وسبَّه فى مجمع من يهود المدينة ، وأباحهم عرضه ، ونسبه إلى قلَّة الدين .

فهذا السبب ، والسبب الذى ذكرناه قبله [هما[أ] العلَّة فى تشديد الإصر] ، الذى جعلته اليهود على أنفسها ، وتضييق المعيشة عليها ، وتجنُّبهم مآكل غيرهم ومخالطة منْ كان على غير مِلتَّهم[1] ، وقد أوضحناهما للمتأمل .

(أ) هما : سقطت من الأصل .

(١) لقد نقل الإمام ابن القيم هذه الفصول وضمنها كتابه « هداية الحيارى » قارن .

خاتمـــة الكتـــاب

أحقّ الناس بأن يوسم بالجهالة ويُنبذ بالضلالة ، من كان طبعُهُ آبِياً عن الانقياد للحقائق ، وعقلُه بعيداً عن فهم اليقين .

فأما من شقت درجته عن ذلك وكان ، مع امتناعه عن تسليم الحقائق ، مُسْرِعاً إلى قبول الباطل وتصديق المستحيل (١٤أ) ، فهو حقيق بالنسبة إلى الجنون والسقوط !! .

وهذه الطائفة أحقّ الناس بذلك ؛ لأن آباءهم كانوا يشاهدون فى كلّ يوم من الآيات الحسّيّة والنّار السماوية ، مالم يره غيرهم من الأمم ، وهم مع ذلك يهمُّون برجم موسى وهارون ، فى كثير من الأوقات !! .

وكفى باتخاذهم العجل فى أيّام موسى ، وإيثارهم العودة إلى مصر ، والرجوع إلى العبودية ليشبعوا من أكل اللّحم والبصل والقِثّاء ، ثم عبادتهم الأصنام ، بعد عصر يوشع بن نون ، ثمّ انضمامهم إلى (أبشالوم)[1] الولد العاق ولد داود من بنت ملك الكرج .

فإنّ سوادهم الأعظم ، انضمَّ إلى هذا الولد العاصى العاقّ ، وشدُّوا معه على حرب الملك الكبير والنبى الكريم ؛ نبيِّ الله داود .

ثم إنّهم ، لما عادوا إلى طاعة داود ، جاءت وفودهم وعساكرهم متقاطرة إليه ، مستغفرين ممّا ارتكبوه ، مُستبشرين بسلامة الملك داود ، بحيث اختصم

---

(١) انظر سفر صموئيل الثانى ، الأسفار ١٢ - ٢٠ .

الأسباط مع سبط يهوذا ، إذا عبروا بالملك الأردنّ ، قبل مجيء عساكر الأسباط ، غَيْرةً منهم على السَّبقِ إلى خدمة الملك .

وتعاتبوا فى ذلك عتاباً دَقيقاً .

فقال سبط يهوذا :

نحن أحقّ الناس بالسَّبق إلى الملك ، والاختصاص بخدمته ؛ لأنَّه منَّا ، فلا وجه لعتبكم علينا ، يا بنى إسرائيل .

فنبغ فضولى يقال له (شيبع بن بكرى) ، فنادى برفيع صوته : لا نصيب لنا فى داود ، ولا حظّ فى (ابن يسّاى)[1] ، ليمض كل منكم إلى خبائه ، يا إسرائيليين .

فما كان أسرع من انفضاض عسكر بنى إسرائيل عن داود ، بسبب كلمة ذلك الفضولى .

ولمّا توصّل الوزير (يوّاب) إلى قتل ذلك المشغِّب ، عادت العساكر جميعها إلى طاعة داود !! .

فما كان القوم إلا مثل رَعاعٍ همجِ العوام الذين تجمعُهم دبدبة وتفرقهم صَيْحة !! .

وأمّا عبادتهم الكبشين وتركهم الحج إلى القدس ، ثم إصرارهم على مخالفة الأنبياء إلى انقضاء دولتهم ، فمما لا يصدُر عن مُتمسِّكٍ بأهداب العقل وسبيلهم أنْ لا يتطرَّقوا إلى معايب أحد من الأمم إذا كانت هذه مَخازيهم وفضائَحهم .

فأمّا تَسرُّعهم إلى قبول الباطل والمستحيل ، فإنَّا نذكر منه طرفاً يُنْبيءُ عن

---

(١) يقصد داوود بن يسّى عليه السلام .

قلّة عقولهم ، وهو ما جرى فى زماننا من أذكاهم وأكيسهم . أمكرهم وهم يهود بغداد .

فإنّ محتالاً من شبّان اليهود نشأ بسواد الموصل ، يقال له (مناحيم بن سليمان) ، ويعرف بابن الروحى ، وكان ذا جمال فى صورته ، وقد تفقّه فى دينهم ، بالإضافة إلى الجمهور من اليهود الساكنين بالناحية المعروفة بالعمادية ، من بلد الموصل ، وكان المتولّى هناك[أ] ، ذا مَيْلٍ ، إلى ذلك المحتال وحُبٌّ له ، لحسن اعتقاده فيه ، ولِمَا توهّم فيه من ديانةٍ تظاهر بها ، بحيث كان الوالى يسعى إلى زيارته .

فطمع ذلك المحتال فى جانب الوالى واستضعف عقله !! .

فتوهمَّ أنّه يتمكن من الوثوب على القلعة وأخذها وأنها تضحى له معقلاً حصيناً .

فكتب إلى اليهود المستقرين بنواحى بلاد آذربيجان وما والاها ؛ لأنّه علم أن يهود الأعاجم (١٤ب) أقوى جهالةً من سائر اليهود !! .

وذكر ، فى كتبه ، أنه قائمٌ ، قد غار لليهود من يِدِ المسلمين وخاطبهم بأنواع من المكر والخديعة .

فبعض فصول كتبه التى رأيتها يحوى ما هذا معناه :

ولعلّكم تقولون : هذا ، لأىِّ شيءٍ قد استنْفَرنا ؟ ألحربٍ أم لقتال ؟! لا ، لسنا نريدكم لحرب ، ولا لقتال ، بل لتكونوا واقفين بين يدى هذا القائم ، ليراكم - هناك - مَنْ يغشاه من رُسُلِ الملوك الذين ببابه .

(أ) فى : م : زيادة كلمة (القلعة) .

وفى أواخر الكتب :

ينبغى أن يكون مع كل واحدٍ منكم سيف أو غيره ، من الآت الحرب ، ويخفيه تحت أثوابه .

فاستجابت إليه يهود الأعاجم ، وأهل نواحى العمادية ، وسواد الموصل .

ونفروا إليه بالسلاح المستتر ، حتى صار عنده منهم جماعة كثيفة .

وكان الوالى ، لحسن ظنّه به ، يظن أنّ أولئك القادمين إنّما جاءوا لزيارة ذلك الحبر الذى قد ظهر لهم – بزعمه – فى بلده ، إلى أن انكشفت له مطامعهم .

وكان حليماً عن سفك الدماء . فقتل صاحب الفتنة المحتال وَحْدَه .

فأمّا الباقون فتهاجوا مدبرين ، بعد أن ذاقوا وبالَ المشقّة والخسارات والفقر .

ولم تنكشف هذه القصّة لهم ، مع ظهورها لكل ذى عقل !! ، بل هم إلى الآن يفضلونه على كثير من أنبيائهم : أعنى يهود العمادية .

وفهم مَنْ يعتقده المسيحَ المنتظر بعينه !! ولقد رأيت جماعةً من يهود الأعاجم بخوى وسلماس وتبريز ومراغه[1] ، وقد جعلوا اسْمه ، قسَمَهم الأعظم .

وأمّا من بالعمادية ، من اليهود فصاروا أشدّ مباينة ومخالفة ، فى جميع أمورهم ، لليهود من النصارى .

---

(١) مدن فارسية .

وفى تلك الوِلاية ، جماعة منهم على دين يسببونه إلى مناحيم المحتال المذكور .

ولمّا وصل خبره إلى بغداد ، اتفق – هناك – شخصان من محتالى اليهود ودواهى مشيختهم ، فزوّرا على لسان (مناحيم) كتباً إلى بغداد تبشّرهم بالفرج الذى كانوا قديماً ينتظرونه ، وأنّه يعيّن لهم ليلةً ، يطيرون فيها أجمعين إلى بيت المقدس !! .

فانقاد اليهود البغداديون إليه ، مع ما يدّعونه من الذكاء ، ويفخرون به من الخِبّ[1] ، انقادوا بأسرهم إلى تصديق ذلك .

وذهبت نِسْوانهم بأَمْوالِهِنّ وحُلِيِّهِن إلى ذينك الشيخين ليتصدقا به ، عنهنّ ، على مَنْ يستحقّه بزعمهما .

وصرف اليهود جُلّ أموالهم فى هذا الوجه ، واكتسوا ثياباً خضراً ، واجتمعوا فى تلك الليلة على السُّطوح ينتظرون الطيران – بزعمهم – على أجنحة الملائكة ، إلى بيت المقدس !! .

وارتفع للنِّسوان منهم بكاء على أطفالهن المرتضعين ، خوفاً أنْ يطِرْن قبل طيران أولادهن ، أو يطير أطفالهن قبلهن ، فتجوع الأطفال بتأخُّر الرِّضاع عنهم .

وتعجَّبَ المسلمون ، هناك ، مما اعترى اليهود ، حينئذ ، بحيث أحْجموا عن معارضتهم ، حتى تنكشف آثار مواعيدهم العرقوبية .

فما زالوا متهافتين إلى الطيران ، إلى أن أسفر الصباح (١٥أ) عن خذلانهم وإمتهانهم !! .

---

(١) أى المخاتلة والخداع ، قال عمر رضى الله عنه : « لست بالخب ولا الخبُّ خدعنى » .

ونجا ذانك المحتالان بما وصل إليهما من أموال اليهود .

وانكشف لهم بعد ذلك وجه الحيلة ، وما تظاهر به من جِلْباب الرذيلة !! .

فسمّوا ذلك العام « عام الطيران » ، وصاروا يعتبرون به سِنِيَّ كهولِهم والشبّان[1] .

وهو تاريخ البغداديين من المتهوِّدة، فى هذا الزمان .

فكفاهم هذا الأمر عاراً دائماً ؛ وشناراً ملازماً !! .

وفيما قد أوردناه كفاية قاضية للوطر ، من إفحامهم ، وإلجامهم ، بما هو عينُ ما عندهم وأعوذ بالله ممَّا يشركون وإليه البراءةُ مما يكفرون[2] .

---

(١) أى اتخذوه تاريخاً لهم ، وحق لهم ذلك !! .

(٢) فى الأصل :

قال فى أصل هذه النسخة المباركة : منقول من خط مصنفه ، مما وجد مكتوباً فى آخر النسخة المنقول منها : « كتبه مؤلفه السموأل بن يحيى المغربى فى ثانى صفر سنة خمس وستين وخمسمائة هجرية ، حامداً الله على أفضاله ، ومصلياً على رسوله محمد وآله ، والحمد لله رب العالمين . وصلواته على محمد ، خير خلقه وآله وصحبه وسلامه .

رسالـة إلى السمـوأل وجوابهـا

بسم الله الرحمن الرحيم

انتقالُ سيِّدِنا الإمامِ الحبرِ ، العالِمِ الأوحدِ ، الرئيس مؤيِّدِ الدين ، شمسِ الإسلام ، أوحدِ العصر ، ملكِ الحكماء ، أدام الله تأييده ، وأرغم حسوده ، من المِلَّة الإسرائيلية إلى المِلَّة الإسلامية : إمّا هوىً واستحسان وعبث ، أو بدليلٍ وبرهان .

فأمّا الهوى والاستحسان والعبث ، فهو ما يقبح بمثله ، ولا يليق لمن وصل إلى درجته من العلم ، ولاسيَّما فى الاعتقاد والدين .

وإن قال : إنه بدليلٍ وبرهانٍ وبحثٍ ونظرٍ ، **فإن كان هذا البحث** والنظر ، بعقلٍ ، حدث له فيما بعد ، فربما حدث له عقل آخر فيُريه أنّ ما هو عليه الآن باطل .

وإنْ كان ذلك البحث بالعقل الأول ، فهلّا كان ذلك البحث ، قبل ذلك الوقت ؟ ولعلَّه لو ازداد فى البحث والنظر لعلم أن الحقّ فى غير المذهب الذى صار إليه .

وإن قال :

عرفت أن الحقّ فى هذا الدين بالدليل والبرهان قلنا : بأى طريق ؟ .

ثم إنه لا يعلم أحد أنّ مذهباً أصحّ من سائر المذاهب إلا إذا بحث واستقصى عن جميع المذاهب ، وتأمَّل جميع ما اصَّله أربابها ، وحججهم .

فإنْ هو أدّعى ذلك ، فهو محال لأنّ عمره لا يفى لمطالعة جميع ما أُصنّه سائر أصحاب المذاهب والأديان . ولعلّه ، لو سئل عن حقيقة دين المجوس والثنوية والبراهمة لما كان قيّماً بعلوم مذهبهم ، وأيضاً فإنّ الملة التى قد انتقل إليها هى على مذاهب كثيرة فإلى أيها انتسب وأيها اختار ؟ .

فإن كان إلى الآن غير منتسب إلى أحدها فهو إلى الآن غير مسلم .

وإن كان قد رجّح أحد المذاهب فبأىِّ طريق ؟ .

إن ادعى البرهان ، استحال ذلك ؛ لأنه يلزم منه أنْ يكون قد اطلّع على سائر كلام أصحاب الشافعى ، وابن حنيفة ومالك ، وأحمد .

وإن كان قد رجّح أحد المذاهب ، استحساناً وهوىً أو تقليداً ، فذلك مما لا يليق بالعلماء والحكماء .

وحينئذ يَرْتفع عنهم الملك[1] .

ورأى سيدنا الإمام الحبر فى تأمُّل ذلك والإجابة عنه أعلى .

---

(١) تعريض للسلطان عليه ، يفهم ذلك من كلام السموأل فى الجواب .

نُسْخَــةُ الْجَــوَابِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سيقولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ : ما ولّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِم التى كانوا عَلَيْها ؟ ، قُلْ : للهِ المشْرِقُ والمغْرِبُ ، يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم ﴾[١] .

تأمَّلتُ ما ذكره هذا المعترِضُ[٢] السائِل عمَّا لا يعنيه ، فليعلم أن الله هدانى بالدليل الواضح ، والحجَّة الثابتة ، من غير تقليد لمعلمٍ أو والد .

وأمّا سؤاله عن وقت الإذعان بالكلمة الإسلامية ، هل كان تالياً لاعتقادها أو تخلَّل بينهما زمان .

كانت هذه الكلمة فيه مضمرةً ، غير مظهرة - فهو ضرب من الفضُول لأن الإسلام مقبول عند الله وعند أهل الدين فى أىّ الوقتين كان .

وأمّا نسبته لتأخير إظهاره إلى العبث - فمن أين له أنّ تأخير الإذعان والإشهار لم يكن لتوخّى وقت أو لمحاذرة عدّو ؟ .

على أنّا نبرأ إلى الله من التضجيع[٣] فى إجابة الداعى إلى الحق بعد معرفته .

---

(١) سورة البقرة / آية رقم ١٤٢ .

(٢) لقد أزعج إسلام السموأل اليهود كثيراً ، وأقلقهم كتابه إفحام اليهود ، فحاولوا نقضه ودحضه بشبه متهافتة فجةٍ ، انظر لابن كمونة اليهودى : « تنقيح الأبحاث » فى عده مواضع من الكتاب .

(٣) فى لسان العرب : التضجيع فى الأمر : التقصير فيه ، وضجع فى أمره وأضجع : وهن .

ولكن عقيب ما كشف الله عن البصيرة ، وجاد بنور الهداية بادرت إلى الانضمام إلى زمرة الحق .

وأمّا قوله : إنّه كما حدث له هذا عقلاً ، فربما حدث له عقل آخر يريه أنّ ما هو عليه باطل .

فجوابه : أن هذا تمثيل فاسد ، وكلام مُختل ، لأنّ هذا الاعتراض إنما يرد على من انتقل إلى دين ببحثٍ ونظر ، ثم انتقل عن الدين الثانى إلى دين ثالث ببحثٍ آخر ، ونظر آخر ، لا على من نبذ المحالات التى حصلت فى وهمه بالتلقّف من الآباء فى الطفولة ، وأنس بها ، واعتادها من غير أنْ تصح عنده ببحثٍ ونظر ، ثم إنه ، لما اتفق له إعمالُ الفكر والبحث ، أدّاه العقل والأدلّة الصحيحة إلى الحقّ ، لأنّ ذلك المهجور المتروك لم يؤدّه إليه نظر .

فكيف يلزمه ما ذكر من الشبهة ؟

وأمّا قوله : هل بحث عن جميع المذاهب ، فإنّه لا حاجة لىّ إلى ذلك ، لأن الحقّ فى جهة واحدة وليس بمتعدّد .

فلمّا قادنى الدليل إلى المذهب الحقّ ، لزم من صحته بطلان سائر المذاهب المخالفة له ، من غير حاجة إلى الاطّلاع على جميع ما حرّره أربابها .

وأمّا قوله : لو بحث لعِلم أنّ الحقّ فى غير ما هو عليه . فهو محال لأنّ الحق لا يتعدّد .

وأما سؤاله : عن ما الطريق الذى صحّت به عندى دعوة المصطفى ، صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فإن شهادة هذه الأمم العظيمة بنبوّتِه مع المعجزِ الأعظم الذى لم يُبار فيه ، وهو فصاحة القرآن ، دلّنى على ذلك ، وأكدّ ذلك إشاراتٌ فهمتها من التوراة دلّت عليه ، **إلّا أنّ الأول هو الأصل فى الدّلالة** .

وأما سؤاله : عن المذهب الإسلامى الذى انتسبتَ إليه ، ومازعَم أنه يلزمنى من مطالعة جميع مذاهب الأئمة ، فهو شبهة لاتلزمنى وسئال عمّا لايعنيه ، إلّاأنّ جوابى عنه هو الجواب الأول بعينه وهو أن الدليل قادنى إلى مذهب اعتقد بصحته ، فلا حاجة لىّ إلى تصفّح غيره لأن الحقّ غير متعدد فى المذاهب ، كاأنّه غير متعدد فى الملّة .

على أن الاختلاف بين الأئمة المسلمين إنما هو فى توابع وصغائر ، لا فى أصل العقيدة بحيث يكفر بعضهم بعضا ، أعنى أصحاب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد ، رضى الله عنهم ، دون أصحاب البدع .

على أن هذا السائل عما لا يعنيه ، إذا قام هذا المقام ، فسبيله أن يقوّى ما هدّمتُ من حجج اليهود ، ويتشاغل بنصرتهم عن السؤال عما لا يعنيه ، لأنى قد أظهرت فسادَ اعتقادهم ، وتناقضَ ما عندهم فى « الإفحام » فذلك أولى من الإخلاد إلى شبهة الزنادقة ، وهذيانات المتفلسفة الكفّار ، الذين يجب قتلهم فى الملّة التى فارقتها والملّة التى هدانى الله إليها .

وأمّا ما ختم به كلامه فذاك أمر مرفوع على الحقيقة إلّا أنّ الملوك والسلاطين جرت عادتهم أنْ يخصُّوا كل واحد بما يرونه له أهلاً ، حراسة للمراتب من تطاول غير الأكْفاء .

والحسَدُ لا يزيدُ أهلَه إلّا خُمولاً !! .

وإذا خَفِيتُ على الغَبِيِّ فعاذِرٌ
أنْ لا ترانى مُقلةٌ عمياءُ

والسّــلام

تمّ الجواب

من مصـادر التحقيـق ومراجعـه

- أحمد سليم سعيدان :
تاريخ علم الحساب العربى ، عمّان ، ١٩٧١ م .

- ابن أبى أصيبعة : توفى ٦٦٨ هـ :
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ م ، نشرة ميللر ١٨٨٤ م .

- أوليرى (ديلاسى) :
الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ، ترجمة د. تمام حسان ، عالم الكتب بمصر .

- الباجى : أبو اليد :
رسالة راهب فرنسا وجواب القاضى الباجى ، تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى ، كلية الدعوة والإعلام بالرياض ، ١٤٠٤ هـ .

- بول ماسون أورسيل :
الفلسفة فى الشرق ، ترجمة محمد يوسف موسى ، دار المعارف بمصر ١٩٤٥ م .

- الترجمان : عبد الله (إلقس تورميدا سابقاً) :
تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، تحقيق د. محمود حماية ، ط ٢ دار المعارف - القاهرة .

- التوراة السّامرية ، نشرة دار الأنصار ١٩٨٠ م .

- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم توفى ٧٢٨ هـ) :

الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، مراجعة السيد المدنى ؛ مطبعة ومكتبة المدنى .

درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣ هـ .

الفتاوى ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث والدعوة والإرشاد بالرياض .

- د. التيجانى الماحى :

مقدمة فى تاريخ الطب العربى ، القاهرة ١٩٥٩ م .

- الجاحظ :

المختار فى الرد على النصارى ، تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى ، دار الصحوة - القاهرة ، ١٤٠٥ هـ .

- جماعة من العلماء اللاهوتيين اليهود والنصارى :

إسرائيل فى الكتاب المقدس ، ترجمة حسنى خشبة - مصر ١٩٧٢ م .

- د. جمال الدين الفندى :

الله والكون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ١٩٧٢ م .

- جورج فايد :

مقدمة للفكر اليهودى فى العصر الوسيط ، ترجمة د. على سامى النشار ، وعباس أحمد الشربينى ، ضمن كتاب الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية - الإسكندرية ، الطبعة الثانية .

- ابن حزم :

الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ، الجزء الخاص باليهود والنصارى - دار الندوة الجديدة - بيروت .

حواشى الكتاب المقدس ، طبعة بيروت ١٩٧٦ م ، الكتاب المقدس ، طبعة البروتستانت بمصر ١٩٧٠ م .

- الخطيب البغدادى :

الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ، تحقيق د. محمد رأفت سعيد ، مكتبة الفلاح بالكويت طبعة أولى .

- رحمة الله الهندى :

إظهار الحق ، نشرة عمر الدسوقى ، الدوحة - قطر .

- زكى شنودة المحامى :

موسوعة تاريخ الأقباط ، جـ ٨ ، ١٩٧٣ مكتبة النهضة المصرية .

- سباط : الأب بولس : رسائل دينية فلسفية ، (مجموعة رسائل لاهوتية نادرة لقدماء علماء النصارى) ١٩٢٩ م .

- سبنوزا :

رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ترجمة د. حسن حنفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧١ م .

- سعيد بن الحسن الإسكندرانى :

مسالك النظر فى نبوة سيد البشر ، نشرة : S. A. Wetson فى : Jornal of the American Oriental Society, Vol 24, Part 2 (1903) .

- سهيل ديب : (مترجم) :

التوراة : تاريخها وغاياتها ، دار النفائس .

- شاكر الكتبى :

فوات الوفيات ، تحقيق د. إحسان عباس ، نشر دار الثقافة - بيروت .

- الشرقاوى (د. محمد عبد الله) :

- ابن عربى : الرجل والمذهب ، حونية دار العلوم ، العدد التاسع ١٩٨٣ م .
- د. أحمد شلبى : اليهودية ، ط ٥ ، ١٩٧٨ دار النهضة بالقاهرة .
- الطبرى : المهتدى على بن ربن الطبرى : الدين والدولة فى إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، ط ٣ .
- الطبرى : أبو جعفر بن جرير :
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ، ١٣٨٦ م ، ١٩٦٣ م .
- ظفر الإسلام خان :
التلمود : تاريخه ، وتعاليمه ، دار النفائس ، ط. ٢ .
- القاضى عبد الجبار الأسد أبادى :
- تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق د. عبد الكريم عثمان ، بيروت ، دار العروبة .
- المغنى ، جـ ٥ ، تحقيق محمود الخضيرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- د. عبد الرحمن بدوى :
أفلاطون ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- د. عبد الستار فتح الله سعيد :
معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، دار الطباعة الإسلامية ، مصر - طبعة أولى .
- علاء الدين الباجى : (توفى ٧١٤ هـ) :
على التوراة ، نشرة د. أحمد السقا ، دار الأنصار ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- د. عبد اللطيف أحمد على :
مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٠ م .

- الغزالى : أبو حامد (توفى ٥٠٥ هـ ١١١١ م) :
الرد الجميل لإلّهية عيسى بصريح الإنجيل ، تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى نشر دار أمية بالرياض - ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

- الفخر الرازى :
المحصول ، تحقيق د. طه جابر العلوانى ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١ هـ .

- ابن الغوطى :
« الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٣٢ م .

- قدرى حافظ طوقان :
تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

- القرافى (أحمد بن إدريس القرافى الصنهاجى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) :
الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة فى الرد على اليهود والنصارى ، مطبوع بهامش كتاب : الفارق بين المخلوق والخالق .

نسخة مخطوطة رقم ١٧٧٢ مكتبة الثالث بتركيا ، ونسخة أخرى رقم 4832 R 506 مكتبة طوبيقيو سراى .

- ابن القفطى ، تاريخ الحكماء .

- ابن القيم :
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق محمد حامد الفقى ، نشر دار المعرفة - بيروت .

- ابن كمونة اليهودى :

تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ، نشرة موشى برلمان ، ١٩٦٧ م – كاليفورنيا .
– هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى – طبع الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة .

– د. محمد أسد :
الأصول العربية لتاريخ سوريا فى عهد محمد على ، طبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٣٣ م .

– د. محمد بيومى مهران :
دراسات تاريخية من القرآن الكريم طبع جامعة الإمام ١٤٠٠ هـ .

– د. محمد كمال جعفر :
دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، مكتبة دار العلوم طبعة أولى .

– محمد عزة دروزة :
اليهود فى القرآن الكريم . نشر المكتب الإسلامى .

– ابن ملكا : هبة الله بن الحسين البغدادى البلدى :
المعتبر فى الحكمة ، مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٣٢٢٢ (٢٢٥ ورقة) .

– منصور يوحنا جرداق :
مآثر العرب فى الرياضيات والفلك – الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٧ م .

– ابن منظور :
لسان العرب ، ترتيب يوسف خياط ، نشر دار اللسان بيروت .

– الموسوعة اليهودية ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٠٣ – ١٩٠٥ م .

- نفتالى فيدر :
التأثيرات الإسلامية فى العبادات اليهودية ، ترجمة د. محمد سالم الجرح ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- هنرى كوربان ، عثمان يحيى ، السيد حسين نصر :
تاريخ الفلسفة الإسلامية ، بيروت ١٩٧٧ م .
- د. يوسف حنا مسعد (مترجم) :
الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، نشر المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية .
- د. يوسف السويدى :
الإسلام والعلم التجريبى ، مكتبه الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ .

فهرس بأهم الأعلام التى وردت بالكتاب

جاء على رأس القائمة محمد بن عبد الله ﷺ ، ثم رتبنا الأعلام الباقية حسب التسلسل الأبجدى ، بعد إغفال (أل) و (أبو) و (أم) و (ابن) .

(الهمـزة)

(البـاء)

(التـاء)

(الجيـم)

(الحـاء)

(الخـاء)

(الـراء)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ن)

(هـ)

(ى)

فهرس بالجماعات والطوائف والقبائل

فهرس بالأماكن والمواقع التى وردت بالكتاب

ملحق بالنصوص الواردة في الكتاب مرتبة حسب ورودها

"بحروف عبرية"

(١)

שפך דם האדם באדם דמו ישפך כי בצלם אלהים
עשה את האדם

(٢)

תקע בשופר גדל לחרותנו ושא נס לקבצנו, וקבצנו יחד
מארבע כנפות הארץ אל נוה קדשך, ברוך אתה ה' מקבץ
נדחי עמו ישראל.

(٣)

השב שופטינו כבראשונה ויועצינו כבתחלה.
ובנה את ירושלים עיר קדשך בימינו ונחמנו.
ברוך אתה ה' בונה ירושלים.

(٤)

לא תוסיפו על הדבר אשר אנכי מצוה אתכם
ולא תגרעו ממנו.

(٥)



ואסח את הלוים תחת כל בכור בבני ישראל

(٦)

לא יסור שבט מיהודה ומחקק מבין רגליו

(٧)

נביא אקים להם מקרב אחיהם כמוך אליו ישמעון

(٨)

אתם עוברים בגבול אחיכם בני עשו היושבים בשעיר

(٩)

ולישמעאל שמעתיך הנה ברכתי אותו והפריתי אותו
והרביתי אותו במאד מאד

(١٠)

ואמר ארני מסיני אתגלי וזהור יקרה משעיר אתחזי לנא
אתגלי בגברתה מטורא דפארן ועמה רבון קדישין.

(١١)

וישב במדבר פארן ותקח לו אמו אשה מארץ מצרים

(١٢)

כי גוי אבד עצות המה ואין בהם תבונה

(١٣)

כגר כאזרח ככם יהיה לפני ה׳

(١٤)

תורה אחת ומשפט אחד יהיה לכם ולגר הגר בתוככם

(١٥)

אהבת עולם אהבתנו אדני אלהינו

(١٦)

השיבנו אבינו לתורתך

(١٧)

אבינו מלכנו אלהינו

(١٨)

אתה ה' אבינו גואלנו

(١٩)

ואת כל רודפי בניך ואויבי עדתך כלם כסמו ים
אחד מהם לא נותר.

(٢٠)

וגר זאב עם כבש יחדיו ירבצו ביניהם ופרה ודב תרעינה
ואריה כבקר יאכל תבן.

(٢١)

אלהינו ואלהי אבותינו מלך על כל יושבי תבל ארצך
ויאמר כל אשר נשמה באפו אדני אלהי ישראל מלך
ומלכותו בכל משלת.

(٢٢)

למה יאמרו הגוים איה נא אלהיהם

(٢٣)

עורה למה תישן אדני הקיצה משנתך

(٢٤)

ויראו את אלהי ישראל ותחת רגליו כמראה לבנת הספיר
וכעצם השמים לטהר.

(٢٥)

וינחם ה' כי עשה את האדם בארץ ויתעצב אל לבו

(٢٦)

וינחם ה' – ותב אדני במימרה

(٢٧)

ויתעצב אל לבו

(٢٨)

בעצב תלדי בנים

(٢٩)

נחמתי כי המלכתי את שאול למלך על ישראל

(٣٠)

וה' נחם כי המליך את שאול על ישראל

(٣١)

וירח ה' את ריח הנחוח ויאמר ה' אל לבו לא אוסף עוד
לקלל את האדמה בעבור האדם כי יצר לב האדם רע
מנעוריו ולא אוסיף עוד להכות את כל חי כאשר עשיתי

(٣٢)

ויכתב משה את התורה הזאת ויתנה אל הכהנים לבני לוי

(٢٣)

ויכתב משה את השירה הזאת וילמדה לבני ישראל

(٢٤)

והיתה לי השירה הזאת לעד בבני ישראל

(٢٥)

כי לא תשכח מפי זרעם.

(٢٦)

ראשית בכורי אדמתך תביא בית ה' אלהיך
לא תבשל גדי בחלב אמו.

(٢٧)

ובגפן שלשה שריגים והיא כפורחת עלתה נצה
הבשילו אשכלותיה.

(٢٨)

ולא ידע בשכבה ובקומה

(٢٩)

לא חפצתי לקחתה

(٤٠)

ככה יעשה לאיש אשר לא יבנה את בית אחיו

(٤١)

מאן יבמי להקים לאחיו שם בישראל לא אבת יבמי

(٤٢)

לא חפצתי לקחתה

(٤٣)

לא תתגרו בם כי לא אתן לך מארצם עד מדרך כף רגל

(٤٤)

אכל תשברו מאתם בכסף ואכלתם וגם מים תכרו מאתם בכסף ושתיתם.

(٤٥)

ובשר בשדה טרפה לא תאכלו לכלב תשליכו אתו

(٤٦)

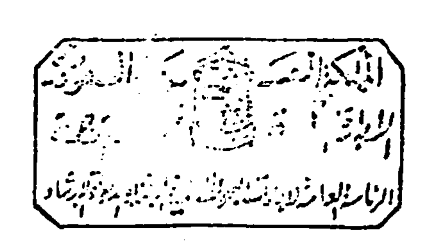
ויכירה ויאמר כתנת בני חיה רעה אכלתהו, טרף טרף יוסף

(٤٧)

נביא אקים להם מקרב אחיהם כמוך אליו ישמעון

(٤٨)

הופיע מהר פארן



(٤٩)

וישב במדבר פארן

اعتمدت في إيراد هذه النصوص على نشرة (برلمان).

الفهـــرس

رقم الإيداع ١٩٦٣ / ١٩٨٦